# التفوق والنجابة
## على نهج الصحابة

( وفق أحدث نظريات علم التفوق والموهبة)

نالت الدراسة درجة الامتياز


تأليف

**حمد بن بليه بن مرهان العجمي**

ماجستير في التفوق العقلي والموهبة


قدَّم له كل من

**د. جاسم بن محمد بن مهلهل الياسين**

الداعية الإسلامي، وأمين عام اللجان الخيرية ـ جمعية الإصلاح ـ الكويت

**د. أسامة بن حسن بن محمد معاجيني**

أستاذ التفوق العقلي والموهبة المشارك ـ جامعة الخليج العربي ـ البحرين


مكتبة العبيكان

ح مكتبة العبيكان، ١٤٢٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العجمي، حمد بليه مرهان

التفوق والنجابة على نهج الصحابة: وفق أحدث نظريات علم التفوق والموهبة. - الرياض.

ردمك: ٧ - ٥٨٢ - ٢٠ - ٩٩٦٠

١-الصحابة والتابعون ٢- الإسلام والعلم أ- العنوان

ديوي ٢٣٩,٩ ٢١٤٤/ ٢٠

رقم الإيداع: ٢١٤٤/ ٢٠

ردمك: ٧ - ٥٨٢ - ٢٠ - ٩٩٦٠

**الطبعة الأولى**

**١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م**

**الناشر**

**مكتبة العبيكان**

**الرياض ـ العليا ـ تقاطع طريق الملك فهد مع العروبة.**

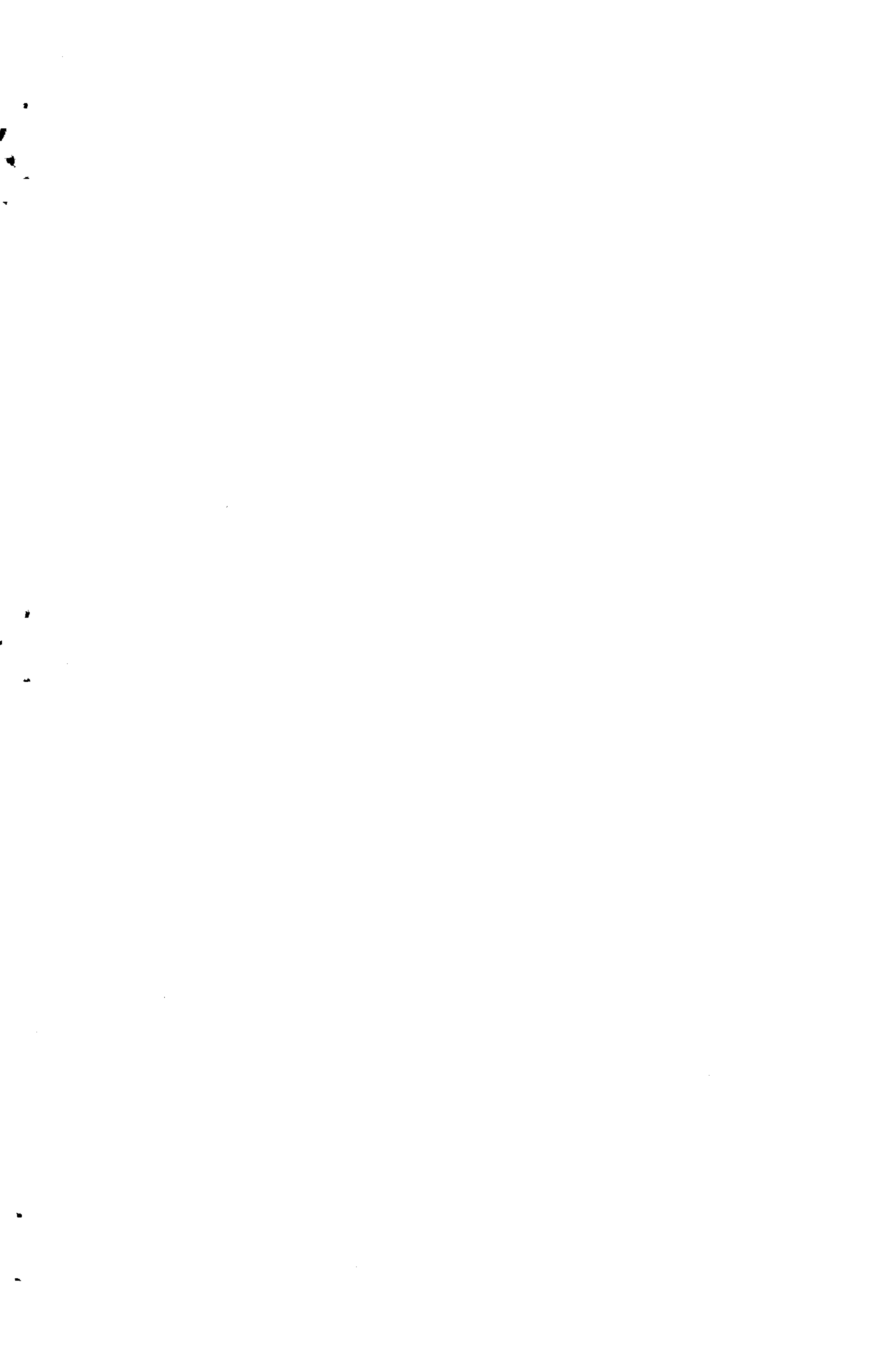
**ص.ب: ٦٢٨٠٧ الرياض ١١٥٩٥**

**هاتف: ٤٦٥٤٤٢٤، فاكس: ٤٦٥٠١٢٩**



﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً (٧٠) ﴾

(سورة الإسراء)



# إهــداء

إلى والــديّ العزيزين

أمدّ الله في عمريهما.. وأحسن أعمالهما

ومتعنا بصحبتهما.. ورزقنا رضاهما



# مقدمة الدكتور جاسم الياسين

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على إمام المهتدين، وقدوة الصالحين، والمبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمدﷺ ، وعلى آله وأصحابه وتابعيه إلى يوم الدين. . وبعد.

فكثيرة هي الكتب التي تناولت حياة صحابة رسول اللهﷺ بالسرد والبيان، كما فعل الأقدمون، أو بالتحليل وإبراز الدروس، كما فعل بعض المحدثين، الذين لا تخلو كتبهم من التركيز على صورة معينة، أو إبراز مهمة خاصة، أو إعلاء أمر معين، أو إظهار توجه غالب، أو إصلاح مسار في الحياة، أو إحياء الحق وإظهاره، وإخراس الباطل وطمسه، أو غير ذلك من أهداف الكاتبين الذين يجدون في حياة الصحابة طلبتهم وإن تعددت، ويجدون عندهم بُغيتهم وإن تشعبت.

وهذا الكتاب الذي بين يديك يسد ثغرة في مجال التربية التي تستهدف حياة المتفوقين؛ لترى أساليبهم في الحياة، ودورهم في رقيها، وإبعاد الفساد عنها، وقد كانت معظم كتب التربية التي تناولت حياة المتفوقين لا تلقي بالاً لفترة صدر الإسلام وعصوره الذهبية؛ لأنها تبحث عن مظاهر التفوق فيما قبل الإسلام، ثم تعبر بعد ذلك مباشرة إلى المتفوقين الأوروبيين في العصور الوسطى، ثم تصل إلى العصر الحديث.

ولكن أخانا الباحث الأستاذ: « **حمد العجمي** » خالف ـ عن عمد ـ هذه الخطة، ووقف عند فترة صدر الإسلام وحدها، وتتبع فيها حياة ثلاثة من المتفوقين في مجال العلم والجهاد، مستخلصاً من حياتهم المواقف التربوية النافعة، التي أخذت صورة نظرية، مطبقاً إياها على النظريات الحديثة بعد المقارنة، مبيناً أنها لا تختلف عن النظريات التربوية الحديثة إلا في السبق الذي يعطيها الأولوية والتفرد والامتياز والريادة.

وهو بهذا قد تحرى أحد المواطن الفكرية المهجورة فعمّرها، بل زيّنها بحياة هؤلاء الأعلام البارزين (زيد بن ثابت، وعبدالله بن عباس، وخالد بن الوليد) وأدخل بطريقته في البحث وربط حياة الأعلام بالنظريات التربوية شيئاً من الحيوية والحركة يمنع جفاف البحث، ويعطي الفكرة رواءً وبهاءً؛ ليجذب نحوها العقول والقلوب معاً.

وقد استطاع الباحث التعامل مع النصوص أخذاً وفهماً وشرحاً، مما جعله يستنبط قواعد مفيدة للعاملين في حقل التربية، ولم يمنعه من ذلك أو يعقه قلة الكتابات التربوية في مجال السيرة والتاريخ الإسلامي اللذين هما بحر ثقافي عظيم فيه كثير من اللؤلؤ والمرجان، يحتاجان في استخراجهما للناس إلى سباح ماهر يجيد الغوص ويعرف الأماكن التي يبحث فيها ليُخرِج للناس ما به يُسَرون.

وأسأل الله أن ينفع بجهود الباحث، وأن يجزيه خير الجزاء على ما بذل وقدم.

والله الهادي إلى سواء السبيل.

**أخوكم**

**د.جاسم بن محمد بن مهلهل الياسين**

**الداعية الإسلامي، وأمين عام اللجان الخيرية**

**جمعية الإصلاح ـ الكويت**

**٩/ ١١/ ١٩٩٨**

# مقدمة الدكتور أسامة حسن معاجيني

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، المربي الأمين محمد بن عبدالله، وعلى آله وأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين، ومن تبع هداه إلى يوم الدين.

قال تعالى في كتابه الكريم:

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً (٧٠) ﴾ (الإسراء).

بمثل هذه الآيات تقررت أفضلية الإنسان على سائر مخلوقات الله، وأحقيته في استخلاف الأرض واستعمارها إلى قيام الساعة، وعلى مر العصور التاريخية المتلاحقة قدم أشخاص متفوقون وموهوبون إسهامات متنوعة ومتعددة ساعدت في رفع الحضارة الإنسانية إلى أرقى الدرجات، وكانت هذه الإسهامات سبباً في حل معظم المشاكل والأزمات التي تصادف الإنسان، وبعض الأحيان كانت سبباً في دماره وتعاسته.

إن الإنسان، ومنذ استخلافه لعمارة الأرض، كان دائم التطلع إلى الأفضل، ويسعى إليه مجبولاً على حب المعرفة، واكتشاف المجهول، فتكونت عبر التاريخ الطويل حضارات عدة جاءت ثمرة طبيعية لإسهامات الأفراد اللامعين في مجالات مختلفة دون غيرهم من باقي أفراد المجتمع، أولئك النفر من الناس القادرين على إحداث تغييرات إيجابية في ثقافات ومقومات مجتمعاتهم نظراً لما يملكونه من قدرات ومواهب لازالوا يقدمون الكثير من عصارة أفكارهم ومواهبهم من أجل تقدم الإنسانية ورقيها.

غير أن المتأمل لواقع العالم في الوقت الراهن يلحظ التغيرات الجذرية التي تكاد تقصف بمعظم مقومات وثوابت الشعوب المختلفة وموروثاتها الحضارية

والاجتماعية والقيمة؛ لأن هذه الشعوب ليس أمامها سبيل سوى التأثر بدرجات متفاوتة بقوى التغيير المتسارع في عصر العولمة والانفجار المعلوماتي والتسابق نحو التسلح وغزو الفضاء، كما أن هذه الشعوب لا تملك أيضاً سوى أن تؤثر في قوى التغيير إذا كانت قادرة على الفعل والمبادرة بجهود أبنائها حتى تتكيف مع المشاكل والأزمات التي تزداد تعقيداً، ومع المستجدات التي تتراكم يومياً وقد تؤدي إلى صعوبة في الفهم، والسيطرة في أغلب الأحيان. . ومن خلال الواقع التاريخي، وفي خضم هذه التغيرات يأتي دور العقول المؤهلة - إذا أُعدت جيداً - في التصدي للمشاكل القائمة والمتوقعة من أجل الحلول الناجعة لها، أو تخفيف أضرارها إلى أدنى حد ممكن.

ومع غزارة ما هو متوافر في المكتبة العربية من مؤلفات متنوعة في موضوع رعاية المتفوقين والموهوبين «المتميزين» إلا أننا نلاحظ أن هناك قصوراً واضحاً، وفجوة كبيرة في تقصي منجزات الحضارة الإسلامية الأولى، وإسهامات رجالها الفائقين في شتى مجالات التفوق المتعارف عليها في تلك الحقبة التاريخية، والتي امتدت آثارها إلى وقتنا الحاضر، وستمتد إن شاء الله إلى عصور قادمة.

من هذا المنطلق جاءت فكرة هذا البحث الذي يركز على الربط بين الاتجاهات الحديثة في رعاية فئة المتفوقين بإسهامات المتفوقين في عصر الحضارة الإسلامية الأولى، حيث تناول البحث قضية عرض بعض النماذج التي تمثل بعض مظاهر التفوق العقلي لدى المسلمين الأوائل في عصر النبي ﷺ، ومقارنتها بأبرز مظاهر التفوق المتعارف عليها حديثاً، والخصائص السلوكية للأفراد المتفوقين في العصر الحديث، والمتداولة في أدبيات التراث التربوي المكتوب عن رعاية هذه الفئة.

وقد جاءت فكرة إجراء البحث هذا كردة فعل طبيعية لندرة البحوث التي تناولت هذا الموضوع من الوجهة التاريخية، ولكن بأسلوب تربوي، حيث هدف البحث بشكل أساسي إلى إبراز بعض مظاهر التفوق العقلي وخصائص الشخصيات المتفوقة عقلياً لدى عينة من الصحابة - رضوان الله عليهم - وهم:

زيد بن ثابت، وعبدالله بن عباس، وخالد بن الوليد ـ رضي الله عنهم أجمعين، ومقارنة ما جاء من عرض في سياق البحث بأحدث التعاريف والنظريات التي تطرقت لها الأبحاث والأدبيات المكتوبة في مجال رعاية المتفوقين خلال هذا القرن، مثل تعريف مكتب التربية الأمريكي (١٩٧٢م)، ونظرية رنزولي (١٩٧٦م)، والخصائص السلوكية التي يمكن أن تُستخدم في التعرف عليهم.

وانطلاقاً مما توصل إليه البحث يمكن للقارئ الواعد أن يسترشد بالمفاهيم والمظاهر التي وجدت في عصر النبي ﷺ عن التفوق والموهبة، ويتمكن من أن يقدم هو نماذج حية من واقعه الذي يعيشه، لأن مفهوم التفوق ومظاهره تتغير بتغير حاجات واهتمامات المجتمعات، فقيم كل مجتمع تحدد تعاريف للتفوق خاصة بها، وكل ثقافة لها ـ فيما يبدو ـ رأيها الخاص، وفكرتها الخاصة عن مكونات التفوق.

**المشرف**

**د. أسامة حسن محمد معاجيني**

**أستاذ التفوق العقلي والموهبة المشارك**

**كلية الدراسات العليا ـ جامعة الخليج العربي**

**البحرين**

**٣٠ أكتوبر ١٩٩٨م**



# مقدمة المؤلف

إن الحمد لله والصلاة والسلام على مُعلِّم البشرية وسيد المرسلين محمد بن عبدالله خاتم الأنبياء وخير البشرية جمعاء.

ظهر كثير من الأصوات ينادي بأهمية رعاية المتفوقين ومعرفة خصائصهم وطرق اكتشافهم، وإن المتأمل والمتفحص لكتب تاريخ التربية وبخاصة تربية المتفوقين يجد أنها تركّز على عصور ما قبل الإسلام، ثم تنتقل إلى العصور الأوروبية الوسطى، ثم الحديثة، مُغفلة العصور الإسلامية، ولعل السبب في ذلك قلة المؤلفات الإسلامية في هذا المجال مقارنة بالمؤلفات الأجنبية.

والاهتمام بالمتفوقين ليس وليد القرون الحديثة بل هو منذ اكتشاف الإنسان البدائي النار، ففي العصر البدائي قد يُطلق على الصياد الماهر أنه متفوق، في حين أن المجتمعات الأكثر تطوراً تطلق على «العالم الجيد»، و«الطبيب الماهر» صفة التفوق، فمفهوم التفوق يتغير بتغير حاجات واهتمامات المجتمعات، فقيم كل مجتمع تحدد تعاريف للتفوق خاصة بها، وكل ثقافة لها - فيما يبدو - رأيها الخاص وفكرتها الخاصة عن مكونات التفوق(١).

والتفوق بمفهومه الحديث لا ينحصر في مجال واحد بل يتعدد بتعدد اهتمامات المجتمعات، فقد جاء في تقرير ميرلند الذي دخل الكونجرس الأمريكي وأخذ الدعم الكافي وأصبح شعاراً معتمداً في مكتب التربية الأمريكي:

إن من مظاهر التفوق: القدرات العقلية العامة، والتفكير الابتكاري، والاستعداد الأكاديمي، والقدرات القيادية، والمهارات الفنية، و المهارات الحركية.

وبهذا نرى أن التفوق لا ينحصر في مجال واحد حسب ما جاء في تقرير يعتبر من التعاريف الأساسية للتفوق في العصر الحديث، وهذا ما عرفه

---

(١) (Gallaqher and wies),(1990) In: Maajeeny (1990), P. : 13 .

المسلمون الأوائل حيث تعددت أوجه التفوق عندهم ، مثل التفوق العلمي والعسكري والتفوق في الإنفاق والعبادة والقيادة والشعر والشجاعة والكرم وغيرها كثير من الصفات . إلا أن التفوق العلمي والعسكري كانا هما أبرز المظاهر نظراً لحاجة المجتمع لهما في تلك المرحلة وبخاصة أن المسلمين كانوا في بداية تكوين الدولة الإسلامية التي اعتمدت بشكل مباشر على العلم وعلى القوة العسكرية . ويركّز الباحث على شخصيات متفوقة تميزت في مظهرين من مظاهر التفوق هما : التفوق العلمي ، والتفوق العسكري (الجهاد) .

يتألف الكتاب من خمسة فصول :

١ ـ **الفصل الأول** : التفوق قديماً وحديثاً ، عالج فيه المؤلف قضية التفوق والاهتمام به منذ أن خلق الله البشرية إلى وقتنا الحاضر ، مشيراً إلى أهمية رعاية المتفوقين ومبررات تقديم البرامج لهم ، متطرقاً إلى صفاتهم السلوكية .

٢ ـ **الفصل الثاني** : سيرة الصحابي الجليل زيد بن ثابت رضي الله عنه .

٣ ـ **الفصل الثالث**: سيرة الصحابي الجليل عبدالله بن عباس رضي الله عنه .

٤ ـ **الفصل الرابع** : سيرة الصحابي الجليل خالد بن الوليد رضي الله عنه .

٥ ـ **الفصل الخامس** : استخلص فيه الباحث سمات وخصائص التفوق لدى الصحابة رضي الله عنهم ، وناقش فيه فرضي الدراسة ، وهما :

١ ـ اشتمال بعض مظاهر التفوق عند الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ لمظاهر التفوق المتخصص المعروفة في العصر الحديث .

٢ ـ تتصف عينة الدراسة من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ بكثير من خصائص وسمات التفوق المعروفة في العصر الحديث .

ثم استخلص النتائج والتوصيات .

وقد عمد الباحث في دراسته للشخصيات أن لا تكون الدراسة سرداً

تاريخياً، بل أمعن النظر واستخلص الدروس التربوية المستفادة من كل موقف، مركزاً في دراسته على ثلاثة أمور يرى المختصون أهميتها في دراسة الشخصيات:

١ ـ الصفات السلوكية مثل الدافعية والخصائص النفسية.

٢ ـ الصفات المهنية التي من خلالها أبدعت هذه الشخصيات في إنتاجها.

٣ ـ الصفات الاجتماعية كالتفاعل مع الآخرين[١].

وقبل البدء في هذا البحث فإن الباحث يضع تعريفاً إجرائياً للشخصيات التي تناول سيرتها في بحثه وهم:

«صحابة الرسول عليه الصلاة والسلام الذين برزوا في المجالين العلمي والعسكري وتبدأ سيرة الصحابي من ولادته إلى وفاته».

وتجدر الإشارة إلى أن الباحث وفي حدود إمكاناته لم يجد أي دراسة علمية سابقة تناولت مظاهر التفوق وخصائصه عند الصحابة رضي الله عنهم.

وتكمن مشكلة البحث في التعرف على بعض مظاهر التفوق لدى الصحابة رضي الله عنهم (العينة المختارة)، ومقارنتها بأبرز صفات التفوق الحديثة.

وكذلك تكمن أهمية البحث في:

١ ـ قلة البحوث التي تناولت هذا الموضوع مقارنة مع البحوث الأخرى.

٢ ـ إن البحث عملية اتصال مع البحوث التي سبقت، لاتصال الفكر والبحث ليكتمل عقد تطور رعاية المتفوقين منذ الإغريق والرومان والصينيين وتوصلاً إلى العصور الوسطى والحديثة.

٣ ـ الوقوف على بعض مجالات التفوق عند الصحابة رضوان الله عليهم.

---

(١) C.June Maker, (1982) Currlculum Development for the gifted, P.18.

وتلخص الهدف الأساسي من البحث في محاولة إبراز بعض مظاهر التفوق العقلي وخصائص المتفوقين عقلياً لبعض الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ ومقارنتها بأحدث ما تحتويه نظريات التفوق في العصر الحديث، وذلك مصداقاً لقوله صلى الله عليه وسلم:

**« خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم».**

وفي الختام يقول النبي عليه الصلاة والسلام:

**«لا يشكر الله من لا يشكر الناس»** (أخرجه الترمذي وأبو داود).

أسجل اعترافي بالفضل للدكتور أسامة حسن معاجيني ـ المشرف على هذا البحث، والذي كان لتوجيهاته وإرشاداته أبلغ الأثر في حياتي الدراسية، كما أتوجه بخالص الشكر والتقدير لفضيلة الشيخ الدكتور جاسم مهلهل الياسين الذي كرمني بتقديمه لهذا الكتاب ومراجعته، وزودني بملاحظات قيمة جعلتني أعيد النظر فيما كتبت، كما أشكر أستاذي الدكتور عبدالرحمن كلنتن على توجيهاته وعطائه المستمر لي طوال فترة الدراسة، ولا يسعني إلا أن أتوجه بالشكر وعظيم الامتنان إلى كل من مد لي يد العون لإخراج هذا الكتاب الذي أرجو أن يحوز على رضى الله ثم رضى القارئ، فإن أصبت فيه فمن الله، وإن كان غير ذلك فمن نفسي والشيطان.

وأخيراً أقول للجميع جزاكم اللـه خيراً، فقد قال النبي عليه الصلاة والسلام:

**«من قال لأخيه جزاك الله خيراً فقد أبلغ في الثناء»** (أخرجه الترمذي).

**الباحث**

**حمد بليه العجمي**

**ماجستير في التفوق العقلي والموهبة**

# الفصل الأول

## التفوق
## قديماً وحديثاً

# التـفوق قديماً وحديثاً

## أولاً: التفـوق قديمـاً:

يعتمد كل عصر في تقدمه ونهوضه على أبنائه، وخاصة الأبناء المتفوقين والذين وهبهم الله قدرات وملكات لم تتوافر لغيرهم من بني جنسهم، ويختلف هؤلاء الأفراد في توظيف قدراتهم إما للخير والرقي، أو للشر والدمار، ويأتي دور المجتمعات في كيفية استغلال مثل هذه العقول وتوظيفها التوظيف الأمثل بعد رعايتها والاهتمام بها، وتختلف المجتمعات في نظرتها إلى مفهوم التفوق، فلكل مجتمع مفهوم للتفوق يعتمد على حاجات المجتمع وتقاليـده، ومُثله العلـيا.

ففي عصر آدم - عليه السلام - أبو البشر، عندما لم يكن في الأرض سواه هو وعائلته كانوا في ندرة من الموارد وانعدام الخبرة في التعامل مع الكائنات الموجودة على سطح الأرض، فكان المتفوق من يمتلك مهارة الصيد لتأمين الغذاء.. وفي العصر اليوناني اختلفت الحاجة فاختلف مفهوم التفوق.

### التفوق عند اليونان:

في أسبرطة كانت المواهب الحربية مقدسة، فقد هدفت التربية إلى إعداد الفرد لخدمة الدولة، فكان الفرد يُعد ليكون ذا كمال جسمي، شجاعاً متحلياً بالطاعة والمسؤولية ليكون جندياً شجاعاً لا يُهزم.. أما البنت فتُربى جسمياً وخُلقياً لتكون زوجة تقدم للدولة محاربين أصحاء أقوياء.

وكان يتم فرز الطفل بعد ولادته مباشرة لمعرفة مدى ملاءمته من الناحية الجسمية والصحية، فإذا ما وافق الأفورز Ephors على صلاحيته ينخرط في طبقة الأسبرطيين، وإذا وجد أنه غير ملائم من الناحية الجسمية سلموه إلى طبقة

الأجانب أو الأقنان لينصرف إلى مهنة أخرى غير الجيش[١] ، والطفل المعاق يُقتل[٢] ، لذلك كان مفهوم التفوق عند الأسبرطيين ينحصر في القوة الجسمية والشجاعة في الحروب لحماية الدولة.

ويتميز نظام التعليم في أثينا بالمرونة، فالإدارة التعليمية بعيدة عن سلطان الدولة بخلاف ما كان موجوداً في أسبرطة . . وظهر في أثينا كثير من المدارس التي تبحث عن الامتياز والكمال، ومن هنا تحددت بعض الفضائل الأساسية التي ينبغي على الفرد أن يتحلى بها خُلقياً وجسمانياً من أجل بلوغ الكمال أو الامتياز، وبذلك كانت الفضيلة أو الكمال هي غاية العملية التربوية عند الإغـريق.

وكان الرأي العام في أثينا ناضجاً وقوياً لدرجة أن الناس أقبلت على تعليم أولادها دون قانون إجباري أو تدخل من الدولة في شؤون التعليم، فكان كلما وجد مدرس وجدت مدرسة، وليس العكس، وهذا ما حدث في أعقاب الحرب مع الفرس سنة ٤٨٧ ق.م، عند ظهور جماعة المعلمين الذين عرفوا في التاريخ باسم السوفسطائيين الذين أتوا من جزر بحر إيجه إلى أثينا في القرن الخامس ق.م، ووجدوا في أثينا بيئة صالحة لأفكارهم، فقد كانت المواطنة في أثينا تهتم ببعض المهارات مثل: القدرة على الكلام، والمهارة في المناقشة، وكان المحور الرئيس لفلسفة هؤلاء السوفسطائيين اعتبارهم أن الإنسان هو معيار كل شيء، وبالتالي فإن جميع المسائل قابلة للمناقشة وخاضعة لأحكام الإنسان، ويجب أن لا يتقيد الإنسان بقوانين جامدة تقليدية تحد من حرية المناقشة وحرية النقد.

أما التعليم العالي فقد بدأت أسسه توضع في القرن الرابع ق.م على يد فلاسفة اليونان مثل: أفلاطون وأرسطو، فكان هناك «أكاديمية أفلاطون» التي اهتمت بدراسة الفلسفة والرياضيات، ثم «لسيوم أرسطو» الذي اهتم أيضاً

---

(١) دراسات في تاريخ الفكر التربوي، ص ٥٨ .

(٢) مذكرة تاريخ التربية الخاصة، أسامة معاجيني.

بدراسة الفلسفة ولكنه عني بدراسة العلوم الطبيعية بوجه خاص، وهكذا، وضعت هذه المعاهد تقليداً قديماً لنشأة الجامعات الحديثة في أوروبا، ولا زال اسم الليسية «Lycee» يوجد في فرنسا، واسم «الليسوم» يوجد في ألمانيا[١].

ويعتبر سقراط أول من وضع أسلوباً لتنمية المتفوقين، حيث وضع أسلوب التعرف على المتفوقين، وذلك بملاحظة سلوك التلاميذ المتفوقين وملاحظة نموهم في مراحل النمو العمري، ليرى ما عندهم من خصائص النباهة ـ التذكر ـ التركيب.

ومن خلال تعامله مع تلاميذه كوَّن مفهوماً للتفوق فكان المتفوق هو الشخص الذي يسبق أقرانه في مرحلة من مراحل النمو.

ويعرف أفلاطون المتفوق بأنه: «الشخص الذي يمر خلال نفس مراحل التطور النمائي التي يمر بها جميع الأفراد، ولكن بسرعات مختلفة وبمستويات عالية من الكفاءة من الفهم والاستيعاب»، مثل: (السرعة في الحبو، والمشي، والكلام، وتركيب الجمل)، وهذه المرحلة يسميها أفلاطون بـ(الإشراق الكامل)[٢].

يتبين لنا مما سبق أن التربية في بلاد اليونان اختلفت باختلاف العصور والبلدان، إلا أنهم اهتموا بتنمية الشخصية الفردية من الناحية الخُلقية والعلمية والسياسية، ويؤخذ على هذا الاهتمام أنه كان لفئة دون أخرى، كما أن هذه التربية اختلفت في أثينا عن أسبرطة، ففي أثينا وُجِّهت العناية إلى الجسد والروح معاً، أما في أسبرطة فكانت العناية موجهة للتربية الجسدية، وكان هدف الأسبارطيين تكوين أبطال وجنود للدفاع عن أسبرطة، مما جعل التربية تركز على تنمية طباع الغلظة والتقشف لتكوين أكبر عدد من المحاربين الشجعان.

---

(١) دراسات في تاريخ الفكر التربوي، ص ٥٨.

(٢) مذكرة تاريخ التربية الخاصة، أسامة معاجيني.

## التفوق في الصين :

اهتم الصينيون بالمناصب العليا في القيادة، حيث كان الإمبراطور بنفسه يهتم بالمتفوقين ويقدم لهم التعليم والإقامة المجانية باعتبارهم كنز يجب حمايته[١] فكانت كل وظيفة تخضع لامتحانات عدة للكشف عن المتميزين وأصحاب العقول، وبطبيعة الحال أصبح هناك نوع من الاهتمام بالأبناء المتفوقين لإعدادهم لمثل هذه الاختبارات، فقد كان غرض التربية الصينية خدمة النظام القائم، وإعداد الموظفين للدولة، وهؤلاء يعينون حسب نتائج الامتحانات والشهادات التي يحصلون عليها، وقد أعجبت أفلاطون هذه الطريقة في التعيين في مناصب الدولة على أساس أنها لم تحل بين الشعب وتولي المناصب العامة، وبواسطتها لم يكن تولي المناصب العامة امتيازاً تتوارثه فئة قليلة دون أبناء الأمة، ولهذا كانت الدولة تعقد في أوقات معينة امتحانات عامة في كل مركز من المراكز يتقدم إليها من شاء من الذكور في سن معينة.

ومن هذه الامتحانات ما يؤهل لوظيفة من الوظائف الصغرى في المقاطعات أو يصبح عضواً في طبقة الأدباء، وهؤلاء من يحصلون على درجة «شيودزاي»، ويصبح من حق الناجح أن يتقدم لامتحان آخر أرقى وأصعب يعقد مرة كل ثلاث سنوات، ومن ينجح فيه يعين في الوظائف الحكومية الصغرى، وهو أرقى من وظائف المقاطعات، ومن حق الطالب أن يتقدم للامتحان مرة أخرى وثالثة ورابعة إذا رسب. . وقد يموت في سن الثمانين ولم تنجح محاولاته، فلا حد للسن في هذا الامتحان.

وأما الناجحون فيحق لهم التقدم لامتحان نهائي في كلية (هان لين يوان) أي غاية الأقلام، وهي أكاديمية إمبراطورية، وكان يعقد في بكين ذاتها في أغرب قاعة امتحان تتكون من عشرة آلاف حجرة، لكل طالب حجرة يأخذ فيها غذاءه وشرابه، حيث يستمر الامتحان ثلاثة عشر يوماً، ويعطى الطالب بعد دخوله

---

(١) مدخل إلى تربية المتميزين والموهوبين، ص ١٧ .

الحجرة أسئلة الامتحان كأن يكتب قصيدة عن «صوت المجاديف والتلال الخضراء والماء»، ويبقى في حجرة رديئة التهوية متحملاً البرد والشظف ليكتب عن كنفوشيوس والأدب والأخلاق والفلسفة. . وكان الناجحون يعينون في مناصب الدولة الكبرى، ولم يزد عدد الناجحين عن واحد في المائة(١) .

## التفوق في مصر القديمة :

كان هناك اهتمام وبحث للتميز، وشروط كثيرة لاختيار المتميزين المتفوقين اختلفت وتنوعت حسب ظروف كل عصر، ففي مصر القديمة كانت مهنة الكتابة الخط الأول للترقي إلى المناصب الكبرى، فتعلم الكتابة لم يكن سهلاً ميسوراً، إذا عرفنا أنها تتكون من ٥٠٠ رمز، ولذلك كان الكتَّاب يعفون من الأعمال اليدوية، وينالون منحاً ملكية، وينصح الأب ابنه ليكون كاتباً فيقول له: «لم أر مطلقاً الحداد أصبح سفيراً ولا الصانع مبعوثاً، ولكنني رأيت الحداد يتلظى بالنار أمام الفرن، وأصابعه كالتمساح، ورائحته أقذع من السمك والبيض».

وكان النظام في المدارس قاسياً، والجلد كان شائعاً إذا ما ارتكب التلاميذ مخالفة الأوامر أو أهملوا أداء الواجب، بل وصل الأمر إلى حبس المخالف لمدة وصلت ثلاثة أشهر.

وعرف نوع التعليم الذي يطلق عليه التلمذة الصناعية، فينضم الطالب إلى حاذق في صناعته، ويتتلمذ عليه، وكان هذا النوع من التعليم خارج نطاق المدارس بصورتها الشكلية.

## التفوق في الهند:

في الهند كانت جامعة (نالاندا) أشهر الجامعات بالمعاهد البوذية العالمية تبحث عن التفوق في مخرجاتها، فقد أنشئت بعد موت بوذا بزمن قصير،

(١) تطور الفكر التربوي، ص ٧٥ .

وخصصت لها الدولة دخل مائة قرية ليصرف منها على شؤون الجامعة، ويقال كان يؤمها عشرة آلاف طالب، وتحوي مائة قاعة، ولها مراصد عالية تبلغ السحاب ارتفاعاً، وكان المستوى العلمي بها عالياً جداً، لدرجة أن طلاب الدول المجاورة لا يستطيعون مجاراة طلابها في اطلاعهم ومناقشاتهم، فيعترفون لهم بالذكاء والغزارة الدراسية، حتى إن أحد علماء الصين ممن زاروا هذه الجامعة أعجب بها، ومكث في ربوعها خمس سنوات يناقش الطلبة ويجادلهم ويستمع إلى الأساتذة الجهابذة، ويدلل على صعوبة الدراسة بها أن عدد الذين كانوا يرسبون في الامتحانات أكثر من عدد الناجحين بالضعف[1].

## التفوق عند العرب:

تفوق العرب في كثير من المجالات سواء قبل الإسلام أو بعده، وقد تميز العرب في العصر الجاهلي بالبلاغة ونظم الشعر، وعقدوا للشعر كثيراً من المنتديات كسوق عكاظ، وشجعوا المتفوقين في الشعر بأن تُعقد مسابقة يشارك فيها كبار الشعراء، وتكافأ القصيدة المتميزة بأن تعلق على الكعبة، وعرفت هذه بالمعلقات العشر، وقد صنف العرب والمسلمون الشعر في قوالب نظمية اكتسبت كثيراً من سمات الخلود في الأدب العربي.

وتعدى النظم حدود الأحاسيس والمشاعر والانفعالات إلى مجالات أوسع من المعارف الإنسانية، فقد خرج القصيد عن الموضوعات التقليدية للشعر، كالمديح والهجاء، والعتاب، والفخر، والرثاء، والغزل، واتجه إلى مجالات المعرفة، ولعل هذا النظم قصد به تيسير الحفظ للأغراض التعليمية، ومن هنا جاء وصفه بالنظم التعليمي أو بالمنظومات التعليمية، حيث إنها تخلو من عنصري العاطفة والخيال، وهما ركيزتان من الركائز الأساسية التي يقوم عليها الشعر، ومن ثم فإننا نجد كثيراً من المنظومات قد صيغ في مجال العلوم العقلية كالكيمياء والطب والأغذية والفلك، والرياضيات، والموسيقى، وغيرها.

---

(١) تطور الفكر التربوي، ص ٨٤.

كما أن بعض هذه المنظومات قد جاء في بعض العلوم الإنسانية كالتاريخ والجغرافيا، والملاحة البحرية، والأمور العسكرية وما إليها.

كذلك فإن علوم اللغة العربية قد فازت بنصيب وافر من هذه المنظومات، فمنها ما أنشئ في ألفاظ اللغة، كالمثلثات اللغوية، وفي قواعد النحو والصرف، وفي علوم البلاغة من بيان ومعان وبديع، وفي العروض والقوافي، وفي البديعيات.

وكان الجانب الأكبر من المنظومات العربية قد أُلِّفَ في العلوم الدينية، من علوم قرآن، وحديث، وفقه، وسيرة، وأخلاق، ويؤدي نظم العلوم العقلية إلى سهولة حفظها، إذ إنه كلما دعت الحاجة لاسترجاع قاعدة ما فما عليه إلا أن يسترجع الأبيات التي تشير إليها، وتقف «ألفية ابن مالك» في النحو مثالاً واضحاً للنظم التعليمي[(١)].

وتعددت أوجه التفوق عند العرب قبل الإسلام، فكان الفارس المقدام الذي يمتلك الشجاعة والبسالة والذي لا يُهزم بغض النظر عن موقفه حقاً أو باطلاً، ظالماً أو مظلوماً، يعتبر متفوقاً له احترامه وتقديره وهيبته.

ويمتد مفهوم التفوق ليشمل الكرم والعطاء والبذل والشهامة والمروءة.. لذلك كان أهل مكة يتسابقون ويتنافسون في السقاية والرفادة لزوار بيت الله.

وأصبح يُضرب المثل بحاتم الطائي في الكرم، كما كانت القبائل تتنافس في الحسب والنسب، وتفتخر بذلك، ويمتد التفوق ليشمل القاضي ذا الرأي الصائب، والعقل الراجح، الذي يقضي في مظالم الناس، ويفك الاشتباك بين القبائل.

وبعد مجيء الإسلام ودخول الناس في الدين السماوي، تغيّرت بعض أوجه التفوق، فأصبحت الشجاعة المتفوقة ما كانت لنصرة الحق في سبيل الله،

(١) العلوم العقلية في المنظومات العربية، ص ٢٩.

وكذلك الكرم والعطاء، وزاد الاهتمام بالجانب العلمي، وبخاصة التفقه في هذا الدين الجديد، ونهى عن الافتخار بالأحساب والأنساب لأنها تولّد البغضاء بين أبناء المجتمع الواحد، وكان كل ذلك انطلاقاً من قول النبي عليه الصلاة والسلام: «**إنما بُعثتُ لأتمم صالح الأخلاق**»(١).

## علامات المتفوقين عند العرب:

استدل العرب قديماً على التفوق والتميز وقوة الذكاء، ورجاحة العقل، بعلامات تنقسم إلى قسمين من حيث الصورة والشكل، ومن حيث الأقوال والأفعال، وقد فصل في ذلك الإمام أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي:

**القسم الأول**: الخَلْق المعتدل والبنية المتناسبة، دليل على قوة العقل وجودة الفطنة، وإذا غلظت الرقبة دلت على قوة الدماغ ووفوره، ومن كانت عيناه تتحركان بسرعة واحدة فهو مكّار محتال لص، وإذ لم يظهر على العين حمرة ولا صفرة دلت على طبع جيد، وإذا كانت العين صغيرة غائرة فصاحبها مكار حسود، والمعتدلون في الطول صالحو الحال، كما يستدل بحُسن الوجه وطول القامة وفصاحة اللسان على قوة العقل.

**القسم الثاني**: الاستدلال على الفائقين بالأقوال والأفعال.

قال ابن الجوزي: يستدل على عقل العاقل بسكوته وسكونه، وخفض بصره، وحركاته في أماكنها اللائقة بها، ومراقبته للعواقب، فلا تستفزه شهوة عاجلة عقباها ضرر، وتراه ينظر في الفضاء فيتخير الأعلى والأحمد عاقبة في مطعم ومشرب وملبس وقول وفعل، ويترك ما يخاف ضرره، ويستعد لما يجوز وقوعه.

---

(١) صححه الألباني في الجامع الصغير وزيادته: ١/ ٤٦٤.

ويُروى أن لقمان قال لابنه : «يا بني ما يتم عقل امرئ حتى يكون فيه عشر خصال : الكبر منه مأمون ، والرشد فيه مأمول ، يصيب في الدنيا القوت ، وفضل ماله مبذول ، التواضع أحب إليه من الشرف ، والذل أحب إليه من العز ، لا يسأم من طلب الفقه طول دهره ، ولا يتبرم من طلب الحوائج من قبله ، يستكثر قليل المعروف من غيره ، ويستقل كثير المعروف من نفسه ، والخصلة العاشرة التي بها مجده وأعلى ذكره ، أن يرى جميع أهل الدنيا خيراً منه وهو شرهم ، وإن رأى خيراً منه سره ذلك ، وتمنى أن يلحق به ، وإن رأى شراً منه قال : لعل هذا ينجو وأهلَك أنا ، فهنالك يستكمل العقل»(١) .

كما كان يستدل على عقل الطفل وذكائه بحسن تصرفه ، فكان الأب يعمد إلى وضع الابن في مواضع التنفيذ ، وفي المواقف المحرجة التي تحتاج إلى حسم الأمر ، والمبادرة في اتخاذ القرار وتحمل ما يترتب عليه ، فإن أصاب شجعه وشد على يده ، وإن أخطأ قوَّمه وسدده(٢) .

## التفوق في صدر الدولة الإسلامية :

لقد تعددت أوجه التفوق في صدر الدولة الإسلامية وتجسدت في كثير من مظاهر الحياة ، إلا أننا في هذه الدراسة سنركّز على مظهرين من مظاهر التفوق في بداية الدولة الإسلامية ، وبهذا نمهد لدراسة الشخصيات في الفصول القادمة مع التركيز على إبراز هذين المظهرين وهما :

### ١ ـ التفوق العلمي:

لقد دعا الإسلام إلى العلم والاشتغال به ، ولم يقصر الأمر على علم

---

(١) كتاب الأذكياء ، ص ١٨ .

(٢) دور الأسرة في تنشئة الابتكار ، مشاري بن رطام ، ص ٧ .

الدين وحده . ولكن كل علم يمكنه أن يفيد المسلمين ويمنحهم العزة والقوة .

وقد اعتز المسلمون وازدهر وجودهم في كثير من عصورهم الذهبية بتطبيق المنهج الإسلامي السديد والأخذ بتوجيهاته في ميدان العلم ، حتى نبغ كثير من العلماء في معظم نواحي الحياة وارتقت الحياة العقلية والعلمية ، بيقظة العقل عند المسلمين ، فكوّنوا أعظم دولة رائدة ، تخطو في نور العلم وعلى هدى الإيمان ، وكان العلم دعماً لقوتهم كما كانت القوة دعماً للعلم والإبداع فيه(١) .

فقد كان للقرآن الكريم والسنة النبوية الفضل الأكبر في حث المسلمين على تقدير العلم والعمل على تحصيله في مواضع كثيرة لا تكاد تحصى .

والقرآن الكريم كتاب علم وهداية ونور ، يكشف للناس كل يوم عن جديد لم يكن معروفاً من قبل .

قال تعالى :

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ (فصلت) .

كما دعا القرآن الكريم إلى العلم والبحث والتفكير في كثير من الآيات .

قال تعالى :

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ (النحل) .

بل إن الاسلام جعل التفكير قربة وعبادة من أفضل القربات بوصفه طريقاً إلى الهدى والإيمان .

---

(١) التربية الإسلامية، ص ٤٥ .

قال تعالى :

**﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١) ﴾** (آل عمران) .

وبهذا أصبح العلم غذاء العقل ، والتفكير أداة العلم المنتج النافع ، لذلك طلب اللّه من الناس أن يتفكروا في خلقه وأن يعملوا عقولهم لا أن يحفظوا فقط ، وقد خاطبنا اللّه بما نعقل لا بما هو فوق طاقة عقولنا ، قال تعالى :

**﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢) ﴾** (يوسف)

ثم إن الإسلام لم يقيد العقل الإنساني أو يحده عن طلب العلم ، ولم يمنع المسلمين أن يصعدوا إلى القمر أو ما بعد القمر ، فالكون مسخر لبني آدم .

يقول تعالى :

**﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١٣) ﴾** (الجاثية) .

كما فرّق الاسلام بين من يعمل عقله ويفكر لحل مشاكل الحياة التي تزداد تعقيداً وبين من لا يعلم ولا يفكر وبالتالي لا يعمل . قال تعالى :

**﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾** (الزمر : ٩) .

كما حث النبي – عليه الصلاة والسلام – في أحاديث عديدة على طلب العلم ، يقول عليه الصلاة والسلام :

**«الدنيا ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالماً أو متعلماً»** [١] .

ونرى أن الإسـلام لم يفرِّق بين الدين والدنيا فلا دين لمن لا دنيا له وقد دعا النبي -عليه الصـلاة والسلام- بالجنة لمن سلك طريق العلم :

**«من سـلك سـبيلاً يلتمس فيـه علماً ، سـهّل الله له به طـريقاً إلى الجنة»**[٢] .

وقد جعل النبي -عليه الصلاة والسـلام- طلب العلم كنزاً لا يفنى إلى يوم القيامة وذخيرة لصـاحبه عندما قال :

**«إذا مـات ابن آدم انـقطع عـمله إلا مـن ثلاث: صـدقـة جـارية ، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»** [٣] .

وقد أمر النبي- عليه الصلاة والسلام- بالتداوي وحث على المحافظة على الصحة، وتعاطى هو نفسه الدواء وكان يقول :

**«مـا أنزل الله داء إلا أنـزل له دواء، علمـه من علمـه ، وجـهله من جهله»**[٤] .

ومن هنا انفتح أمـام المسـلمين طريق البحـث والتجربـة حتى كانـوا رواد الطب الذين تشد إليهم الرحال ، وتعلم الغربيون اللغة العربية ليتعلموا من المسـلمين ما نبغوا فيه وكانـت اللغة العربية هي لغة العلم [٥] .

---

(١) صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته الفتح الكبير ، ص ٦٤١ .
(٢) صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته الفتح الكبير ، ص ٠٧٩
(٣) صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته ، ص ١٩٩ .
(٤) صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته ، ص ٩٧٤ .
(٥) التربية الإسلامية ص ٥٢ .

## ٢ ـ التفوق العسكري :

اهتم الإسلام بالجهاد في سبيل اللّه وشجع عليه وجعل للمجاهد مميزات كثيرة سواء انتصر أو قتل؛ لأن شعار المسلمين في الجهاد إما النصر أو الشهادة .

والجهاد عامل من عوامل القوة وإبراز الهوية الإسلامية ، فكلمة اللّه هي العليا وشرعة اللّه يجب أن تكون هي المهيمنة ، هكذا أراد اللّه للمسلمين أن يكونوا ، اختارهم اللّه أهل توحيد حق ، وأراد لهم عزة تسمو على غيرهم ومكانة تعلو على بني البشر قال تعالى :

﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (المنافقون : ٨) .

والحروب في الإسلام ليست هي القاعدة وإنما هي الاستثناء ، ذلك بأن الأصل هو السلام ، ولكن السلام لا يمكن أن يستقر أو يستمر إلا إذا استند إلى القوة التي تحميه وتصونه ما دام في الطباع ذلك الصراع بين الخير والشر ، وفيها نزعات التسلط والبغي .

من أجل ذلك فرض الإسلام القتال على من يرفض دعوته السلمية أو وقف لصد الناس عن عبادة ربهم وتوحيده ، كما جاء الجهاد دفاعاً عن العقيدة والأرض والنفس والعرض والمال .

ولهذا قرر الإسلام ضرورة القتال للدفاع المشروع ودعا إلى السلام وعدم الاعتداء ، قال تعالى :

﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (١٩٠) ﴾ (البقرة)

وقال تعالى : ﴿ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٩٢) ﴾ (البقرة) .

ويقول عز من قائل :

﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا ﴾ (الأنفال) .

وقد حث القرآن المسلمين على الجهاد بالأنفس والأموال وجعل لهم أجراً عظيماً ، قال تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١) ﴾ (التوبة) .

والجنة غالية وتحتاج إلى تضحيات بالنفس والمال، كما أن اللّه اشترى من المؤمنين أنفسهم مقابل الجنة ، ثم إن الشهادة في سبيل اللّه ليست موتاً إنما هي الحياة السعيدة حقاً ، يقول جل وعلا :

﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) ﴾ (آل عمران) .

هكذا يدفع اللّه المؤمنين إلى القتال ويبين لهم أن الموت في أثناء المعركة والانتهاء من الدنيا إنما هو حياة أخرى في الآخرة ورزق ونعيم .

والمسلم أمامه إحدى الحسنيين إما النصر أو الاستشهاد، وكلاهما حياة، وبهذه العقيدة يستمد المجاهدون إقداماً بغير حدود وهم يرجون لقاء الجنة بلقاء أعدائهم :

﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ (٥٢) ﴾ (التوبة)

كما أخبر القرآن أن أجل الإنسان محدود لا يتقدم إذا شارك في القتال ولن يتأخر إذا لم يشارك . فالحرب لا تقصر أجلاً - والجبن لا يطيل عمراً، قال تعالى :

﴿ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ﴾ (نوح) .

ويقول عز من قائل :

﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ﴾ (المنافقون : ١١) .

كما بيّن النبي -عليه الصلاة والسلام- أن الدعوة إلى الجهاد ليست دعوة إلى الموت ولكنها دعوة إلى الحياة، ففي حديث يقول -عليه الصلاة والسلام- لمعاذ بن جبل :

**"ألا أدلك على رأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟".**

قلتُ : بلى يا رسول الله ؟

**قال:"رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد"**[١] .

فالجهاد ذروة سنام الإسلام والرسول -عليه الصلاة والسلام- يشير إلى سنام الجمل باعتباره سبب حياته في الصحراء التي لا طعام فيها ولا ماء، ولولا هذا السنام لمات الجمل جوعاً ، ولكنه يطعم من الدهن فوق ظهره، حتى إن السنام ليصغر ويذبل بعد الرحلة المتطاولة التي تبلغ خمسة عشر يوماً أو تزيد، وكذلك الجهاد هو سبب بقاء الأمة وحياطة عقيدتها ووجودها كلها [٢] .

وبهذا التعبير النبوي أصبح الجهاد بهذه المكانة العالية ، وكأن النبي -عليه الصلاة والسلام- يشير لأصحابه أن الجهاد من أعلى أوجه التفوق لأنه درع الأمة من الأخطار وحياطة عقيدتها .

---

(١) رواه أحمد والترمذي ، المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ٢/ ١٩٦ .

(٢) التربية الإسلامية ، ص ١٠٢ .

## ثانياً: التفوق حديثاً:

إن الاهتمام بالمتفوقين ليس بالأمر الجديد، بل هو منذ آلاف السنين (كما رأينا سابقاً)، إلا أنهم وعلى مر العصور لم يلقوا العناية الكافية التي لقيها المتخلفون عقلياً أو المعوقون بدنياً، وذلك رغم حاجة المجتمع الملحة إلى إمكانات هذه الفئة، بل إن معظم رجال التربية الخاصة حتى النصف الأول من القرن العشرين لم يدخلوا في اعتبارهم أن مجال التربية الخاصة يمتد فيشمل هؤلاء الأطفال. . ويجد من يتتبع تاريخ التربية الخاصة أن الأمريكيين مثلاً لم يهتموا بهذه الفئة بصورة جدية إلا منذ ابتداء النصف الثاني من هذا القرن، وبخاصة عندما أدركوا أن الروس قد سبقوهم في مجال الفضاء بإطلاق الصواريخ والأقمار الصناعية (١).

وبالرغم من قدم العناية بالمتفوقين إلا أن الدراسة العلمية المنظمة في هذا المجال لم تظهر إلا في نهاية القرن التاسع عشر على يد العالم الإنجليزي فرنسيس غالتون Francis Galton الذي قام سنة ١٨٩٢م بعدة دراسات تناولت علاقة العبقرية بالوراثة عند عدد من المشاهير في القضاء، والسياسة، والعلوم، والفن.

وفي بداية القرن العشرين كانت نسبة الذكاء المحك الوحيد للتفوق، ثم أضاف إليها باسو في العام ١٩٥٨م عامل التحصيل والأداء، وقام جيلفورد بإدخال بُعد آخر للتفوق هو الإبداع(٢).

## تعاريف التفوق:

يعرف ديهان وهامجهرست (١٩٦٠م) المتفوق عقلياً بأنه: «من وصل في أدائه إلى مستوى أعلى من مستوى العاديين في مجال من المجالات التي تعبر عن المستوى العقلي الوظيفي للفرد، بشرط أن يكون ذلك المجال موضع تقدير الجماعة».

---

(١) سيكولوجية الطفل غير العادي والتربية الخاصة، ص ٨٥.

(٢) فاعلية برنامج النشاطات الموجهة في تنمية مهارات التفكير العليا ـ عبدالناصر فخرو، ص ٤٢.

ويرى لوسيتو (١٩٦٣م) أن المتفوق عقلياً هو : «من تؤهله طاقاته العقلية للوصول إلى مستويات مرتفعة من التفكير الإنتاجي والتفكير التقويمي على نحو يسمح له بالوصول في المستقبل إلى مستويات مرتفعة من القدرة على حل المشكلات، والاختراع، وتقويم الثقافة، وذلك إذا توافرت له الخدمات والإمكانات التربوية المناسبة».

ويرى فليجروبيش أن المتفوق عقلياً هو : «الطالب الذي يصل في تحصيله الأكاديمي إلى مستوى يضعه ضمن أفضل ١٥ ـ ٢٠ ٪ من المجموعة التي ينتمي إليها، وهو من أصحاب المواهب التي تظهر في مجال كالرياضيات، المجالات الميكانيكية، العلوم، الفنون التعبيرية، الكتابات الابتكارية، القيادة الاجتماعية».

أما الجمعية الأمريكية القومية للدراسات التربوية (١٩٥٨م) فتعرف الطفل المتفوق عقلياً بأنه : «من يظهر امتيازاً مستمراً في أدائه في أي مجال له قيمة».

أو هو : «وصول الفرد في أدائه في مجال يرتبط بالتكوين العقلي إلى مستوى معين بشرط أن ينال تقدير الجماعة التي يعيش بينها»،

ويتضمن هذا التعريف ثلاثة شروط كي يصبح الفرد متفوقاً عقلياً:

١ ـ ارتباط النشاط الذي يقوم به الفرد بالتكوين العقلي.

٢ ـ وصول أداء الفرد إلى مستوى معين.

٣ ـ أن ينال هذا النشاط تقدير الجماعة[1].

ويميز دونلاب[2] بين ثلاث فئات على أساس الذكاء هي :

أ ـ فئة الممتازين وهم من تتراوح نسبة ذكائهم بين ١٣٥ ـ ١٤٠.

---

(١) تربية الموهوبين والتطوير التربوي، ص ١٦.

(٢) تربية الموهوبين والتطوير التربوي، ص ٩٥.

ب ـ فئة المتفوقين وهم من تتراوح نسبة ذكائهم بين ١٤٠ ـ ١٧٠ .

جـ ـ فئة العباقرة وهم من تزيد نسبة ذكائهم على ١٧٠ .

وهناك العديد من التعريفات للمتفوقين عقلياً منها ما هو تقليدي يحصر مفهوم التفوق العقلي في ضوء محك واحد كتعريف تيرمان الذي يرى أن المتفوق يكون من أفضل ١٪ من المجموعة التي ينتمي إليها، في مقياس ستانفورد بينية للذكاء[1] .

ومن التعريفات الأكثر اتساعاً للتفوق والتي لاقت قبولاً وانتشاراً:

١ ـ تعريف وزارة التربية والتعليم الأمريكية المعروف بتعريف ميرلند Marland, 1972: أن المتفوقين هم الأفراد الذين يمكن التعرف عليهم من قبَل المتخصصين، والذين تمكنهم قدراتهم العالية من القيام بأداء مميز، والذين يحتاجون إلى خدمات أو برامج تربوية خاصة، زيادة عما يقدم عادة في البرامج المدرسية العادية ليتمكنوا من تحقيق إسهامات متميزة نحو ذواتهم ومجتمعاتهم، إن الأفراد الذين يتمكنون من القيام بالأداء المتميز هم أولئك الذين يظهرون أداءً «متميزاً» في واحد أو أكثر من المفاهيم التالية:

أ ـ القدرات العقلية العامة.

ب ـ التفكير الابتكاري.

جـ ـ الاستعداد الأكاديمي.

د ـ القدرات القيادية.

هـ ـ المهارات الفنية.

و ـ المهارات الحركية.

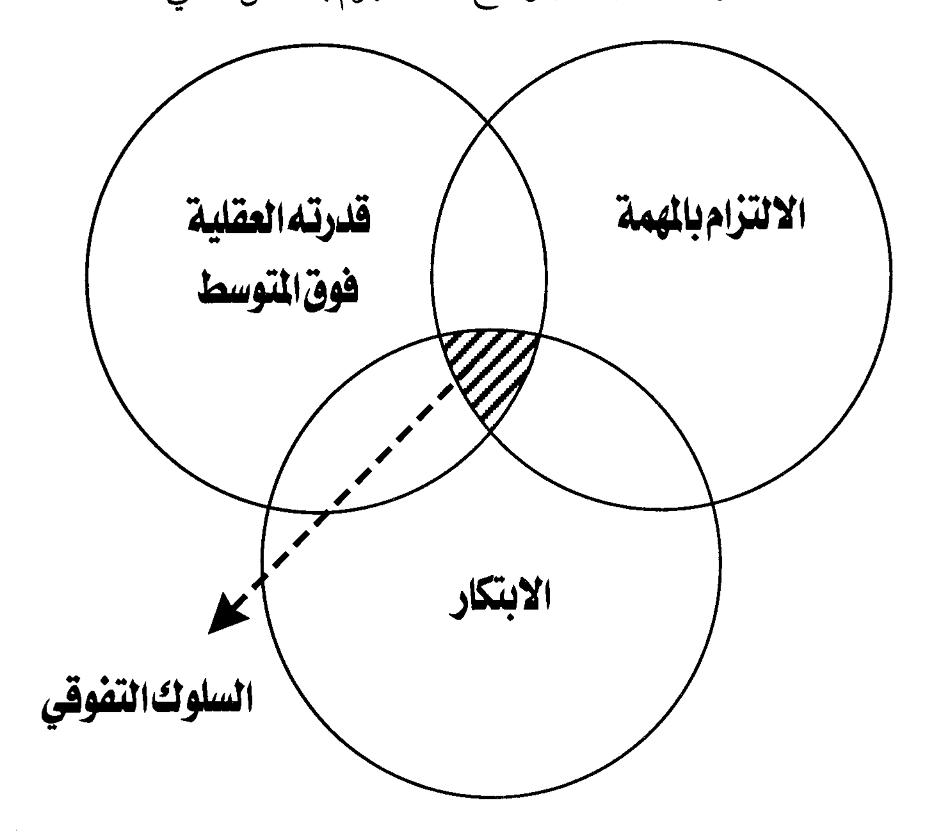
وقد عدل التعريف في سنة ١٩٧٦م وحذفت منه المهارات الحركية لأن

---

(١) تقدير الذات ودافع الإنجاز لدى الطلبة المتفوقين عقلياً، حمد بليه العجمي، ص ١٢ .

هناك مؤسسات تعطيها حقها من الاهتمام[١] .

٢ ـ مفهوم الحلقات الثلاث لرونزولي (رونزولي Renzulli, 1985)[٢] :
المتفوق هو الشخص الذي يتصف بقدرة عقلية عامة فوق المتوسط Above Average Ability ومستوي مرتفع من الالتزام بالمهمة التي يقوم بها High Task Commitment ، ومستوى مرتفع من الابتكارية High Creativity ، وبذلك يكون المتفوقون هم أولئك الذين يمتلكون هذه المجموعة من الخصائص والقادرون على تطويرها والاستفادة منها في الأداء ، والذين قد يحتاجون إلى خدمات وبرامج غير تلك المقدمة للأفراد العاديين ، ويوضح هذا المفهوم بالشكل التالي :




يوضح الشكل (رقم ١) نموذج رونزولي للسلوك المتفوق

(١) In : Maajeeny, 1990, PP. 13 - 21 .

(٢) Renzulli, 1985, p. 24 .

## خصائص وسمات المتفوقين :

اهتم علماء النفس والمختصين بتصنيف الطلاب إلى فئات تبعاً للسمات والخصائص السلوكية، وذلك ليسهل التعرف على حاجاتهم المعرفية والانفعالية والاجتماعية والجسمية، ومن ثم تقديم الخدمات المناسبة لهم ضمن البيئات الأنسب، فمن المعروف أن الأطفال يختلفون عن بعضهم في القدرات المعرفية واللغوية والاهتمامات وأنماط التعلم، ومستويات الدافعية الشخصية[١]، كما أن الطلبة المتفوقين ليسوا مجتمعاً متجانساً، بل يختلفون في سماتهم وخصائصهم السلوكية تبعاً لدرجة تفوق كل فرد، فكلما زادت درجة تفوق الفرد كلما زادت درجة تفرده عن الآخرين، إضافة إلى تأثر كل فرد بالبيئة التي يعيش فيها، مما يعني أنه ليس بالضرورة أن تظهر جميع الخصائص السلوكية الواردة لاحقاً عند كل المتفوقين، كما أن هناك تفاوتاً بالنسبة إلى ظهور كل من هذه الخصائص.

يذكر مجموعة من علماء التربية الخاصة [٢] عدداً من خصائص المتفوقين نورد منها ما يلي :

**أولاً : الخصائص الجسمية :**

أظهرت نتائج الدراسات المستفيضة ومن بينها دراسات ترمان وغيره من علماء النفس أن مستوى النمو الجسمي والصحة العامة للأطفال المتفوقين يفوق المستوى العادي، ولا يعني ذلك بالضرورة أن كل طفل متفوق عقلياً لابد وأن يكون أكثر طولاً ووزناً وأوفر صحة من غيره من الأطفال العاديين، أو أن من يعاني ضعفاً في نموه الجسمي أو عاهة بدنية لا يمكن أن يكون متفوقاً من الناحية العقلية، ولكن ما نعنيه هو أن اتصاف الفرد بالتفوق العقلي لا يؤدي إلى اعتلال صحته كما كان يشاع قديماً، بل على العكس من ذلك فإن المتفوق عقلياً إذا ما منح تكويناً بيولوجياً فوق المتوسط فإن ذلك التفوق سيهيئ له فرصة أحسن لتنمية

---

(١) الموهبة والتفوق والإبداع، ص ٤٧ .

(٢) سيكولوجية الطفل غير العادي والتربية الخاصة، ص ٩٨ .

تكوينه البيولوجي إلى مستوى أفضل من المستوى الذي يصل إليه الطفل العادي الذي يماثله في تكوينه، وقد يرجع ذلك إلى ما لهؤلاء الأطفال من قدرة فائقة على إدراك العلاقات السببية المختلفة مما يساعدهم على إدراك قيمة العادات الصحية السليمة، وأنسب طرق العناية لتنمية أجسامهم على نحو سليم.

**ثانياً: الخصائص العقلية:**

لاشك أن من أهم ما يميز الشخص المتفوق عقلياً عن غيره من الأشخاص العاديين يكمن في خصائصه العقلية، فالطفل المتفوق عقلياً يكون أسرع في نموه العقلي من غيره من الأطفال العاديين، إذ يبلغ نموه العقلي (٣, ١) على الأقل في حين أن معدل النمو العقلي للطفل العادي هو (١)، كما أن المستوى الذي يصل إليه مثل هذا الطفل أعلى من المستوى الذي يصل إليه الطفل العادي الذي يماثله في العمر الزمني، أو بعبارة أخرى، فالعمر العقلي (وهو ما يستدل منه على مستوى النمو العقلي) للطفل المتفوق عقلياً أكبر من عمره الزمني في حين أن العمر العقلي للطفل العادي يساوي تقريباً عمره الزمني، وعلى ذلك فإذا قيس ذكاء الطفل المتفوق عقلياً ـ هذا إذا اتفقنا على أن هناك عاملاً عقلياً خالصاً يُقاس بما نسميه اختبارات الذكاء فسنجد أن ذكاء المتفوق عقلياً أعلى من نسبة ذكاء الشخص العادي، وقد يضع بعض علماء النفس نسبة الذكاء (١٣٥) أو أكثر كحد فاصل بين العاديين والمتفوقين، وهناك منهم من يكتفي بنسبة ذكاء ١٢٠ كحد فاصل بين المتفوقين عقلياً والعاديين.

ويتميز هؤلاء الأطفال عن غيرهم بنموهم اللغوي فهم أسرع في اكتسابهم اللغة عن الأطفال العاديين، ويصلون في نموهم اللغوي إلى مستوى أعلى من المستوى الذي يصل إليه أقرانهم في السن.

كما أشارت الدراسات التي أجريت على المتفوقين فيما يتصل بنموهم في القراءة إلى النواحي الآتية:

١ ـ السن المبكرة التي يتعلمون فيها القراءة.

٢ ـ ميلهم غير العادي إلى القراءة.

٣ ـ نضجهم المبكر في قراءة كتب الكبار.

٤ ـ قراءتهم المستفيضة في مجالات خاصة .

**ثالثاً : الخصائص الاجتماعية :**

على الرغم من أن أهم ما يميز المتفوقين عن غيرهم يكمن في خصائصهم العقلية، إلا أنهم يتميزون عن غيرهم في قدرتهم على تكوين علاقات اجتماعية مع غيرهم، والتواؤم مع الجماعات التي يعيشون بينها، وكثير منهم يلعبون أدواراً قيادية على المستوى الاجتماعي، وتدل دراسات «كرودو» و«جالاجر» على أن المتفوقين بالصفوف الثانية حتى الخامسة بالمرحلة الأولى (الابتدائية) أكثر شعبية Socially Popular بين الأطفال العاديين، كما أنهم يفوقونهم في تكيفهم مع البيئة.

**رابعاً : الخصائص الانفعالية :**

تتفق أغلب الدراسات على أن المتفوقين يتمتعون باستقرار عاطفي، واستقلالية ذاتية، وأنهم أقل جموداً من العاديين، وأقل رغبة في السيطرة، وأكثر ميلاً إلى المخاطرة، ويعتمدون على أنفسهم واثقين من قدراتهم، وبصفة عامة أكثر نضجاً من العاديين في تعاملهم مع بيئتهم، كما يتميزون بالمثابرة ولديهم قدرة ممتازة على ضبط النفس، ويتحملون المسؤولية وهادئون ومسالمون إذا ما وجدوا الرعاية المناسبة.

والمتفوق شخص يهوى الإنتاج الأدبي والفني ولا يميل إلى كل ما هو روتيني كالأعمال الكتابية، أو الحسابية، أو الأعمال الميكانيكية، كما أن المتفوق قد يجمع بين الأشتات، وهو في جمعه للمتضادات سعيد ولعله سعادته هذه

ترجع إلى قدرته في إيجاد حالة من التوازن بين تلك المتضادات [١] .

## تصنيف جورج لمظاهر وخصائص التفوق:

ويتميز المتفوقون عقلياً بعدد من السمات والخصائص في عدة مجالات تميزهم عن غيرهم من العاديين، فقد صنف George[٢] تلك السمات والخصائص على أهم مجالات التفوق:

**القدرة العقلية العامة General Intellectual Apility :**

١ - الذكاء المرتفع (أعلى من ١٣٠).

٢ - التطور اللغوي المبكر.

٣ - الطموح الفكري المتوقد والمتعلق بالميول والهوايات المتنوعة.

٤ - القدرة غير العادية على التفكير النقدي والتقييمي.

٥ - سهولة التعلم والاسترجاع.

٦ - القدرة العالية على التركيز وطول مدى الانتباه.

٧ - دقة الملاحظة والحذر الشديد.

٨ - الإنجاز فوق المتوسط.

٩ - تفضيل الاستقلالية في التعلم.

١٠ - التطلع إلى معرفة مشاكل وقضايا البالغين.

١١ - القدرة على القراءة مبكراً.

١٢ - المواظبة والالتزام بالمهمة.

---

(١) سيكولوجية الطفل غير العادي والتربية الخاصة، ص ١١٠ .

(٢) George, D. (1992) The Challehy of the Able child PP. 16 - 24 .

**الاستعدادات الأكاديمية الخاصة Special Academic Aptitude (الرياضيات):**

١ ـ ميول غير عادية في النظم الرياضية المختلفة (العد، القياس، الأوزان. .).

٢ ـ التلاعب بالأرقام وفهم العلاقات المختلفة بينهم.

٣ ـ ميول حادة في مفهوم الوقت والساعة والتقويم.

٤ ـ ميول حادة في النظم المالية المختلفة.

٥ ـ سهولة رؤية العلاقات في المسائل الرياضية واستنتاج الحلول.

٦ ـ الاستخدام المبكر لأسلوب حل المشكلات.

٧ ـ القدرة على تطبيق الحلول المستخلصة على مسائل أخرى أو مواقف مختلفة.

٨ ـ سرعة وسهولة اصطياد الأخطاء.

٩ ـ الانزعاج الشديد من الأعمال غير المنتهية (لم تكتمل بعد).

١٠ ـ ذاكرة قوية.

١١ ـ نشاط ذهني قوي ليس من السهل إصابته بالإجهاد.

١٢ ـ الرغبة الشديدة في استخدام الحاسوب.

١٣ ـ قد لا تتواكب هذه المواهب مع مواهب أخرى.

١٤ ـ يكون في أعلى ٢٪.

**الفنون البصرية والأدائية Visual and Performing Arts:**

١ ـ حدة ملاحظة حتى لأدق التفاصيل.

٢ ـ رفاهة الأحاسيس والعواطف.

٣ ـ تفان عال في الأعمال.

٤ ـ مهارات فائقة في استخدام وسائل متعددة.

٥ ـ مهارات تقنية متقدمة.

٦ ـ ميول حادة في الفنون.

٧ ـ قوة تحمل وصبر شديدين.

٨ ـ قدرة على التقييم الذاتي.

٩ ـ الاستمتاع بزيارة المتاحف والمسارح وأي مكان يتضمن نوعاً من أنواع الفنون.

١٠ ـ التمتع بصحة بدنية جيدة تستخدم في التعبير غير اللفظي عن الأفكار.

١١ ـ تعدد وتنوع في مهارات التواصل وحسن استخدامها للتعبير عن المشاعر والأحاسيس.

١٢ ـ ذاكرة قوية.

١٣ ـ شدة تركيز ومدى انتباه طويل.

١٤ ـ تعاطف ومواساة شديدين.

١٥ ـ شعور جيد بالمرح والمزاح.

**القدرات نفس ـ حركية Psychomotor Apility :**

١ ـ الاستمتاع بالحركة والتمارين والأنشطة الحركية.

٢ ـ تعدد وتنوع الحركات.

٣ـ رشاقة وخفة حركة غير عاديين.

٤ ـ صحة بدنية وطاقة ونشاط منقطعي النظير بالنسبة للعمر الزمني للمتفوق.

٥ ـ قدرة غير عادية على استخدام وتنويع المهارات الحركية.

٦ ـ قدرة فائقة على توقع حركات الآخرين.

٧ـ شدة تركيز وانتباه.

٨ـ دقة وانضباط عظيمين.

٩ ـ قدرات إدراكية واستقبالية جيدة.

١٠ ـ دقة شديدة في التآزر البصري ـ الحركي.

١١ ـ ميل غير عادي للأنشطة التي تتطلب استخدام المهارات الحركية الدقيقة.

١٢ ـ انضباط ذاتي وتفانٍ في العمل.

**الإبداع والتفكير المنتج Crative of Productive Thinking :**

١ ـ ذكاء مرتفع غير عادي ولكن ليس من الضروري أن يكون نادراً.

٢ ـ الطلاقة اللفظية والفكرية.

٣ـ التحليل الدقيق للأفكار إلى أدق التفاصيل.

٤ ـ الاستمتاع بالتحديات الصعبة المعقدة.

٥ـ القدرة على اكتشاف الفجوات والنواقص في مجالات المعرفة التي قد لا يلاحظها الآخرون.

٦ـ صعوبة الاقتناع أو الانصياع لأفكار الغير.

٧- الولوع بالمغامرة والطموح الشديد لحب معرفة كل صغيرة وكبيرة عن أي شيء خصوصاً ما يتعلق بالميول الشخصية .

٨ـ سرعة الملل من الواجبات والأعمال المتكررة الروتينية .

٩ ـ خصوبة الخيال .

١٠ ـ رهافة الأحاسيس والعواطف .

١١ ـ قدرة فائقة في إنتاج الأفكار الأصيلة .

١٢ ـ مستوى نشاط عالٍ جداً .

١٣ ـ تفضيل المهام ذات النهايات المفتوحة .

١٤ ـ مرونة فائقة في التفكير .

**القدرات القيادية Leadership Apility :**

١ ـ قدرة عالية على التنظيم والتخطيط .

٢ ـ لباقة شديدة وحسن تصرف .

٣ـ قدرة جيدة على إصدار الأحكام .

٤ ـ قدرة جيدة وولع شديد لمساعدة الآخرين .

٥ ـ قدرة على إقامة علاقات اجتماعية جيدة .

٦ ـ تفاؤل دائم .

٧ـ قدرة فائقة في استخدام مهارات التواصل المختلفة مع الصغار والكبار .

٨ـ شهرة وبروز .

٩ـ ثقة عالية بالنفس .

١٠ ـ تحمل للمسؤولية بكل ما تعنيه العبارة .

١١ ـ حاذق في تحديد الأسباب والنتائج.

١٢ ـ مقنع.

١٣ ـ صانع قرار.

١٤ ـ قدرة متميزة على التفاوض.

وفي دراسة حاولت المقارنة بين المتفوقين العاديين من طلبة وطالبات المدارس الثانوية العامة، أثبت فيها محمد نسيم رأفت وآخرون[١] أن الطالب المتفوق يتميز بعدد من الخصائص من أهمها:

١ ـ الاكتفاء الذاتي والاعتماد على النفس.

٢ ـ التميز بقوة الأنا التي تنم عن الثبات الانفعالي والنضج والهدوء.

٣ ـ المخاطرة والإقدام التي تنم عن المغامرة والاندفاع.

٤ ـ الثقة الكاملة بالنفس.

٥ ـ أكثر ذكاء وأكثر قيادة وتصميماً.

٦ ـ أكثر مثابرة وقوة في العزيمة وأكثر تحملاً للمسؤولية.

٧ ـ أكثر واقعية ويتميزون بالتفكير المنطقي.

٨ ـ قوة التوتر الدافعي وسهولة الإثارة.

كما أثبت أديب محمد الخالدي (١٩٧٥م)[٢] في دراسة حاولت إظهار العلاقة بين التفوق العقلي وبعض جوانب التوافق الشخصي والاجتماعي لدى تلاميذ المدارس الإعدادية العراقية أن التلميذ المتفوق عقلياً في المدارس الإعدادية العراقية يتميز عن غيره من التلاميذ العاديين، بكونه أكثر قدرة على التوافق

(١) في: قدرات وسمات الموهوبين، خليل معوض، ١٩٨٤م.

(٢) في: تقدير الذات ودافع الإنجاز لدى الطلبة المتفوقين عقلياً، حمد بليه العجمي، ص ١٥.

الشخصي والاجتماعي، وذلك لارتفاع مستوى قدرته العقلية العامة.

كما اتصف المتفوق عقلياً بالاعتماد على نفسه في تقدير سلوكه إزاء المواقف الجديدة التي تواجهه لما يتمتع به من اكتفاء ذاتي، وثبات انفعالي، وثقة بالنفس، وقدرة على المثابرة، وتحمل المسؤولية، وكذلك شعوره بالحرية في تخطيط مستقبله، واختيار أصدقائه، وارتفاع مستوى قدرته العقلية العامة، يجعله يدرك العناصر المختلفة الموجودة في الموقف، ويكون أقدر من غيره على إدراك الاحتمالات المختلفة للسلوك، كما أنه يكون مدركاً لما يترتب على سلوكه، وقادراً على التوافق والانسجام مع الآخرين، ومتفهماً لأهمية العلاقات الاجتماعية ومتكيفاً تكيفاً حسناً، كما يتقبل أحكام الجماعة برضى، ويشارك في نشاطاتها، ويعمل على تحقيق أهدافها.

**استعدادات للتفوق عند الأطفال:**

يرى هيلدرث [١] بعض السمات التي يمكن عن طريقها التنبؤ بوجود قابليات عالية للتفوق والتميز لدى الأطفال يمكن ملاحظتها بدءاً من عشر سنوات (في رأي هيلدرث).

**الصفات المدرسية:**

١ ـ يتعلم بسهولة وسرعة.

٢ ـ موجود في صف متقدم بالنسبة إلى سنه.

٣ ـ يحب الدراسة، وبوسعه أن يدرس وحده، يفوز بامتيازات أكاديمية شتى.

٤ ـ يعرف المكتبات ويستخدمها أكثر بكثير من طفل متوسط في سنه.

٥ ـ يقرأ بيسر وسرعة أكثر بكثير مما يفعله الأطفال من فئته في العمر، يحب كتب الأطفال الأكبر منه عمراً، بل كتب الراشدين.

---

(١) في: الموهوبون: ريمي شوفان، ص ١٦١.

٦ - ينجح في الرياضيات.

٧ - مطّلع جداً على العلوم، يستخدم الآلات العلمية استخداماً بمهارة أكثر بكثير من فئة عمره.

٨ - مطّلع جداً على العلوم الاجتماعية والتاريخ والجغرافية.

٩ - يُعنى بالأحداث السياسية، ذو اتجاه نقدي إزاء الأحداث اليومية، وذو اهتمام بالأفكار الفلسفية والاجتماعية.

١٠ - يؤلف تأليفاً متميزاً قصصاً وقصائد.

١١ - بوسعه أن يتكلم ويقرأ ويكتب لغة ثانية بكل سهولة.

١٢ - يرغب في اختيار مهنة فكرية.

**الطبع:**

١ - يختار رفاقاً له أطفالاً أكبر منه أو راشدين.

٢ - قابل للتكيّف من الناحية الاجتماعية، سهولة في العلاقات.

٣ - يضطلع بدور الزعيم على نحو سهل، ويُختار بوصفه كذلك، منظم جيد، ويفرض احترام قراراته.

٤ - يعدّه الأطفال الآخرون مختلفاً، يفقد صبره إزاء أولئك الذين يستجيبون استجابة أقل سرعة منه، ذو موقف عدواني أو مسيطر إزاء فئة عمره.

٥ - يتمرد على ما يبدو أن ما يتطلبه الآخرون منه غير معقول.

٦ - يستجيب للسلطة استجابة الراشد، ويحترم القواعد.

٧ ـ يرغب في تقديم الخدمات، حريص على خير الآخرين.

٨ ـ حسه الأخلاقي حس الراشد، حريص على العدالة.

٩ ـ حس كبير بالمسؤولية، صادق وأمين لالتزاماته.

١٠ ـ متواضع فيما يخص تقدير قدراته، ينفي أن يكون لديه منها أكثر من الآخرين، يحترم ما يفعله الآخرون.

١١ ـ حس الدعابة.

١٢ ـ متقدم بالنسبة لسنه من الناحية الجسمية، قوي جداً ونشيط.

**النمــو:**

١ ـ يعترف به الآخرون على أنه ناضج أكثر من سنه منذ أصغر عمره.

٢ ـ كان يتكلم في سنته الثانية أو الثالثة على نحو مبتكر، ويخترع كلمات ويصوغ جُملاً.

٣ ـ مهارة يدوية أعلى من سنه مبكرة جداً.

٤ ـ موهبة خاصة فنية مبكرة النضج جداً.

٥ ـ اهتمام مبكر جداً بكتب الصور، ذاكرة للقصص مبكرة النضج جداً، كان يقرأ في البيت للمتعة قبل أن يدخل المدرسة.

٦ ـ يتعلم القراءة في المدرسة بيسر، بلغ سرعة القراءة الطبيعية قبل السن الطبيعية، سن ٩ ـ ١٠ سنوات.

٧ ـ يتقن كتابة اسمه وبعض الأعداد والكلمات البسيطة قبل أن يدخل المدرسة، يعرف الأبجدية في زمن مبكر جداً.

٨ ـ اهتمام مبكر بالأعداد والحساب، وبالتقاويم وساعات الحائط والزمن والمسافات.

٩ ـ يعرف في زمن مبكر جداً أسماء الأشياء المستعملة وطريقة استخدامها .

١٠ ـ متقدم في الكتابة .

١١ ـ يُعنى بالألعاب المعقدة ذات القواعد منذ زمن مبكر جداً .

١٢ ـ يلعب وحده بألعاب من اختراعه منذ نعومة أظفاره، له رفاق متخيّلون، يخترع عالماً متخيلاً .

١٣ ـ متقدم في صفه جداً بالنسبة إلى سنه .

١٤ ـ متحدر من أسرة ذات مستوى فكري عال .

١٥ ـ والدان متسامحان، يشجعان اهتمامات الطفل .

**سلبيات المتفوقين:**

لكل إنسان في هذه الدنيا سلبيات ونواقص مهما تمتع به من خصائص عقلية ومهما بلغ من رقي وعلم، فالكمال غاية يسعى لها الناس ويبحث عنها الجميع، ويختلفون في طموحهم كل حسب دوافعه وميوله واهتماماته، والكمال غاية كلية تتم من خلال الرضا، والرضا يتحقق بصفة نسبية في هذه الدنيا، ويتحقق بصفة مطلقة في الآخرة، حيث إن طبيعة هذه الدنيا تتسم بالتغير والفناء والابتلاء، لذلك فالكمال لله وحده عز وجل، والطالب المتفوق يتصف ببعض الخصائص السلبية إلى جانب تلك الإيجابية .

وقد ذكر إنجلر جيرد [1] أهم الخصائص العامة للطالب المتفوق الإيجابية والسلبية :

---

(١) Engelsgjerd , (1988) Characteristics of Gifted and Taknted Studints. PP. 13 - 20.

| الإيجابيــــة | السلبية |
|---|---|
| ١ ـ يتعلم بسرعة ويسر. | يمل بسهولة من الواجبات الروتينية. |
| ٢ ـ خيالي جداً . | قد يتصور أشياء لا يفهمها الآخرون. |
| ٣ ـ طموح جداً، يسأل عن كل صغيرة وكبيرة. | قد يتعود على ذلك مما يسبب مضايقة لبعض الناس . |
| ٤ ـ قوي الملاحظة ، وحذر جداً . | ربما يلاحظ أشياء أكثر مما ينبغي. |
| ٥ ـ يتمتع بطول فترة الانتباه. | ليس من السهل جذب انتباهه إلى مواضيع أخرى. |
| ٦ ـ يتمتع بتعدد وتنوع الميول والرغبات. | يصعب بعض الأحيان تلبيتها في الصف. |
| ٧ ـ يتذكر ما يُقال أو ما يُقرأ دون عناء أو مراجعة. | يمل بسرعة من الأعمال التكرارية. |
| ٨ ـ يستمتع بالقراءة، خصوصاً المواضيع التي تتخطى درجة نضوجه. | ربما يطلع على أشياء غير ملائمة له. |
| ٩ ـ مرح، ويفضل الدعابة والمزاح. | قد يطلق نكتاً على من هم أكبر منه على سبيل السخرية. |
| ١٠ ـ لديه رغبة قوية للتميز والتفوق. | يحبط بسرعة، يخاف من أقل فشل يواجهه. |
| ١١ ـ لا يفضل اتباع آراء وتنظيمات الآخرين. | يفضل العمل بالطريقة التي تناسبه. |
| ١٢ ـ يتمتع بحصيلة لغوية كبيرة يمكن أن يستخدمها بسهولة ودقة. | ربما يتسبب في إحراج الطلبة الآخرين أو يحبطهم. |
| ١٣ ـ قيادي في معظم الأنشطة التي يشارك فيها. | قد يصبح دكتاتورياً. |
| ١٤ ـ محط أنظار الآخرين في مواقف إبداء الرأي أو اتخاذ القرارات. | قد يتجاهل آراء الآخرين ويرفضها. |

وتذكر بعض الدراسات أن كثيراً من الطلبة المتفوقين يبحثون عن الكمال ويسعون نحوه في جميع مجالات الحياة، ولا يرضون بأقل من درجة الكمال مما قد يؤثر في حياتهم اليومية والمستقبلية ويجعلهم يتصفون ببعض السمات التالية والتي أوردها الدكتور محمد رفقي عيسى (١٩٨٨م) في كتابه الدافعية.

**١ ــ تأرجح المزاج :**

يضع لنفسه هدفاً وهو التفوق في اختبار الرياضيات، وفعلاً يحقق ذلك فيشعر بارتياح عظيم، لكنه لا يتفوق في الاختبار الثاني فيحصل على (B) فيشعر بالكآبة المتواصلة، وتتغير نفسيته، ويلاحظه أصدقاؤه وأفراد عائلته. . ولا يستجيب لهم عندما يحاولون التخفيف عنه، ثم تجده يفرح ويسر إذا قدم الاختبار الثالث وحصل فيه على درجة عالية.

**٢ ــ لعبة الأرقــام :**

الاهتمام بالشكل لا بالمحتوى : يهتم بجمع أكبر عدد من الإنجازات، من شهادات التفوق ومن الجوائز ومن لوحات الشرف، دون الاهتمام بالغاية التي من أجلها ربح هذه الجوائز.

ومع هذا لا يرضيه أي رقم وصل إليه بل يستمر في العد.

**٣ ــ التفكير التلسكوبي :**

ينظر من الطرف المكبر عندما ينظر إلى أهدافه لتبدو أكبر مما هي عليه في الواقع، وينظر من الطرف المصغر عندما ينظر إلى إنجازاته حتى تبدو صغيرة وغير جديرة بالتقدير.

مثال: لا يرضيه أن يكون الأول على المنطقة التعليمية، بل يريد أن يكون الأول على الدولة.

**٤ ـ التركيز على المستقبل :**

الانشغال عن الوقت الحاضر وعدم الاهتمام به، وذلك بالتفكير المستمر والدؤوب لتحقيق إنجازات المستقبل.

مثال : طالب بعد حفل تخرجه من الثانوية العامة أخذ كل من الحاضرين يقدم له التهنئة والتبريكات، إلا أن تفكيره كله ووجدانه أثناء تقديم التهاني كان يحمل هم الدراسة في الجامعة وكيفية التفوق .

**٥ ـ إلقاء المسؤولية على الماضي :**

«يا ليتني فعلت هذا. . . » ، «لماذا لم أفعل ذلك. . . »، «لم يكن ليحدث هذا لو بدأت أسرع. . . »، «لو وضعت هذا الجواب بدل ذلك لحصلت على معدل (A) بدلاً من (B)».

**٦ ـ الأهداف قبل كل شيء :**

- السهر وتفضيل الدراسة على النوم
- اختيار الدراسة على المتعة والأصدقاء.
- اختيار الدراسة على الأكل .
- تحقيق الأهداف حتى لو على حساب الصحة مما يؤدي إلى تناول المنبهات، وشد الشعر، ولطم الجسد ليبقى منتبهاً. . . إلخ.

**٧ ـ العمل المتقن :**

- لا يرضى الكمالي إلا بالكمال، لذلك يعيد الشيء مرة تلوالأخرى. . ومرة أخرى وأخرى، حتى يتقن ذلك العمل.

ـ وقد يعيد نفس المقررات الدراسية في المدرسة ليحصل على معدل (A) بدلاً من (B) لو سمح بذلك نظام الدراسة.

ـ وقد تكون هذه الإعادة سبباً في تأخره عن طلب علوم أخرى، أو سبباً في ضياع بعض الفرص المهمة.

ـ وعندما يشعر هذا الإنسان أنه لم يحقق ما يصبو إليه فإنه يبدأ بالشعور بالفشل والنقص، وتظهر عليه الكآبة، ومن ثم يداخله وسواس أنه ليس أهلاً لما هو فيه، مما قد يترتب عليه الانسحاب وعدم الإقدام.

### ٨ ـ عقلية كله أو عدمه:

يريد الطفل أن يحصل على جميع جوائز المدرسة وعلى جميع الأدوار في المسرحيات، كما يريد أن يحصل على أعلى درجة في جميع المقررات وإلا فإنه لا يقدم ولا يشارك.

وأحياناً يعزز الوالدان هذا الشعور عند الطفل.

مثال: يعطي الوالد ابنه عشر دولارات لكل درجة (A) في تقديرات الدراسة، (إذا كانت جميع المواد في درجة (A) ولكن لو حصل على (B) في أحد المقررات الدراسية فسوف يحرمه من كل المبلغ).

وبهذا تعلم الابن درساً بالإضافة إلى عقلية «كله أو عدمه» أن حب والده وتقديره له يعتمد على مقدار أدائه الدراسي[١].

## أهمية رعاية المتفوقين:

إن رعاية المتفوقين ذات أهمية خاصة بالنسبة للمتفوق نفسه والمجتمع الذي يعيش فيه، فالمتفوق يحتاج لأن يعيش في بيئة صالحة، فهو بالتالي كالشجرة المثمرة التي لا يمكن أن تعطي أجود ما لديها إلا إذا توافرت الظروف المناسبة لها.

---

(١) في: الدافعية، محمد رفقي عيسى، بتصرف.

والمتفوق يحتاج إلى بيئة مناسبة توفر له المناخ التربوي والاجتماعي والصحي والاقتصادي والنفسي المناسب لنمو قدراته، وألا يكون التقصير في إحداها سبباً في كبت قدرات التفوق لديه، فليس جميع المتفوقين يعيشون في بيئات غنية، وعليه يجب أن يتم الكشف عن هؤلاء المتفوقين في وقت مبكر، وذلك لكي نتحاشى أن يكون لقدرات التفوق دور سلبي على هذا المتفوق.

وقد أثبتت بعض الدراسات أن من نزلاء السجون من هم أذكياء ويتمتعون بقدرة عقلية عالية، ويمكننا أن نستنتج من ذلك أن سمة التفوق لدى الطفل ليست كافية لحمايته ودرئه عن استخدام قدرة التفوق لديه في السلوك المنحرف وغير المرغوب به اجتماعياً، ونتيجة لذلك يمكن القول: إن الكشف المبكر ورعاية الطفل المتفوق سوف تقيه من الوقوع في الخطأ على أقل تقدير، إذا لم نتمكن من تنمية قدراته بشكل إيجابي[١].

ويذكر الدكتور أسامة حسن معاجيني[٢] بعض الأسباب التي تحتم تقديم برامج تربوية خاصة للمتفوقين والموهوبين:

١ ـ التفوق العقلي نتاج عملية تفاعلية بين القدرات العقلية والاستعدادات الفطرية للفرد، والتحديات التي يفرضها المجتمع، حيث تثير هذه التحديات قدرات وملكات الفرد الكامنة، وتؤدي بالضرورة إلى إظهار إنتاج متميز.

٢ ـ مبدأ تكافؤ الفرص الذي تنص عليه معظم القوانين والتشريعات، وخصوصاً الديانات السماوية والنظم الديمقراطية.

٣ ـ الملل والإحباط ومظاهر الغضب التي تسيطر على المتفوقين نتيجة القيود المفروضة عليهم وعلى تفكيرهم.

٤ ـ مبدأ الصفوة المختارة من أبناء المجتمعات.

---

(١) تربية الموهوبين والتطوير التربوي، ص ٩٨.
(٢) دور الجامعات بالدول العربية في رعاية المتفوقين والموهوبين، أسامة معاجيني.

٥ ـ اختلاف آراء ورغبات وميول واحتياجات الطلبة المتفوقين عن بقية نوعيات الطلبة .

٦ ـ عندما تلبي رغبات واحتياجات الطلبة المتفوقين وتنمي قدراتهم إلى أقصى حد ممكن يظهر التفوق والإنتاج الإبداعي والانتماء إلى المجتمع .

٧ ـ إسهامات المتفوقين تفوق كماً وكيفاً ما يسهم به جملة أفراد المجتمع الآخرين ، فالأطفال المتفوقون يمثلون ثروة وطنية في غاية الأهمية ، ومن الواجب ألا يتم تبديدها بالإهمال وانعدام الرعاية .

ويضيف الدكتور فتحي جروان أن رعاية الطفل المتفوق ضرورة للنمو المتوازن ، فقد يتعرض بعض الأطفال المتفوقين لمشكلات تكيفية مع محيطهم من جراء التفاوت في مستويات نموهم الحركي والعقلي والانفعالي ، وقد أوضحت الباحثة هولينغرث (Holling Worth, 1942) أن الاختلالات الكبيرة بين مستوى النمو العقلي ومستوى النمو الانفعالي للطفل ، تؤدي في معظم الحالات إلى معاناة في الجوانب العاطفية والاجتماعية ، مما يؤثر على التكيف الانفعالي ، بل قد تمتد المشكلات لتشمل المستوى المعرفي كما يعكسه التحصيل الدراسي .

إن العزلة والانطوائية وعدم تقبل الروتين ونقد الذات ونقد الآخرين بقسوة والنزعة للكمال ، والهروب من مواجهة المواقف أحياناً ، وتدني التحصيل الدراسي ليست سوى أمثلة محدودة لبعض المشكلات التي قد يتعرض لها بعض الطلبة المتفوقين ، ومن هنا جاءت أهمية رعاية المتفوقين ووضع البرامج المناسبة لهم من خلال المؤسسات التربوية ، لتكون وسيلة فعالة لوقاية هؤلاء الطلبة وإنقاذهم من المعاناة والمضاعفات التي قد تترتب على استمرارها[١] .

ويركز معاجيني على الأدوار الأساسية التي يمكن أن تلعبها المؤسسات التربوية في تنمية قدرات المتفوقين والموهوبين وتوفير الفرص التربوية المناسبة لهم من خلال :

---

(١) الموهبة والتفوق والإبداع ، ص ٢٣٧ .

١ ـ تفهم طبيعتهم ووضعهم وتقدير احتياجاتهم وتقبلهم كأفراد فعالين في المجتمع.

٢ ـ مساندتهم وتأييد حقهم في خدمات خاصة متميزة.

٣ ـ توفير كل ما يساعدهم على النمو السليم والتكيف النفسي والاجتماعي.

٤ ـ الاستفادة قدر الإمكان من قدراتهم الكامنة وعطائهم الوفير.

## توجيه المتفوق نحو الكمال:

إذا ما قدمت الرعاية المناسبة للمتفوق ووجه التوجيه السليم من قبَل البيت والمدرسة والمجتمع، وصيغت الكمالية التي ينشدها في ضوء تعالَيم الدين الإسلامي الحنيف، فإننا سنقطف ثمار التفوق على المستوى الفردي والجماعي، ويعيش المتفوق في استقرار نفسي وهدوء انفعالي عارفاً بما له وما عليه من حقوق وواجبات، ويذكر الدكتور محمد رفقي عيسى (١٩٨٨م)، عدداً من الخصائص الرئيسة في شخصية المسلم الباحث عن الكمال:

ـ الاعتراف بالنقص البشري، والتعامل معه بلا تأليه للإنسان.

ـ الاهتمام بالواحد في إطار الكل ورفع قيمة الجماعة على قيمة الفرد عند الترجيح فقط، ولا يؤدي ذلك إلا إلى مزيد من التوافق النفسي الذي يجعل من يموت في سبيل الأمة يقول: «فزتُ ورب الكعبة».

ـ إقرار الفروق الفردية على أساس الاختلاف لا التخلف، وربط التميز بالاستطاعة.

ـ وضوح الغاية الكلية (الهدف النهائي) والربط بينها وبين الأهداف المرحلية والتعامل معها في إطار يجمع بين الواقعية المقبولة والمثالية المحببة.

ـ الإدراك الكامل من أن وجودنا لم يكن عبثاً وإنما هو لغاية (عبادة الله)

تستهدف صالحنا في هذا الوجود الحالي والوجود المستقبلي، فاتباع المنهج يبعدنا عن الضلالة والشقاء في هذه الدنيا، ويحقق لنا الرضا الكامل في الآخرة.

ـ الربط بين الغاية والوسيلة بغض النظر عن الناتج، فالإنسان ما عليه إلا أن يقدم العمل الجيد المتقن ويبحث عن جميع الوسائل المناسبة لتحقيق أهدافه، وذلك بعد توكله على الله، فإن حقق ما يصبو إليه فإن ذلك يرجع إلى توفيق الله، ثم إلى ما قدم من عمل متقن، وإن لم يوفق في تحقيق النتائج المطلوبة فإنه ينظر إلى ذلك في إطار قضاء الله وقدره وتفويض الأمر لله، ولعل ذلك من باب الرحمة الربانية فيكون خيراً له لجهله بالغيب، وبهذه النظرة لا يلوم الإنسان نفسه ولا يلوم الماضي، فإنه قد قدم جميع الوسائل، يقول الشاعر:

لا تلم كفي إذا السيف نبا صح عزمي والله أبا

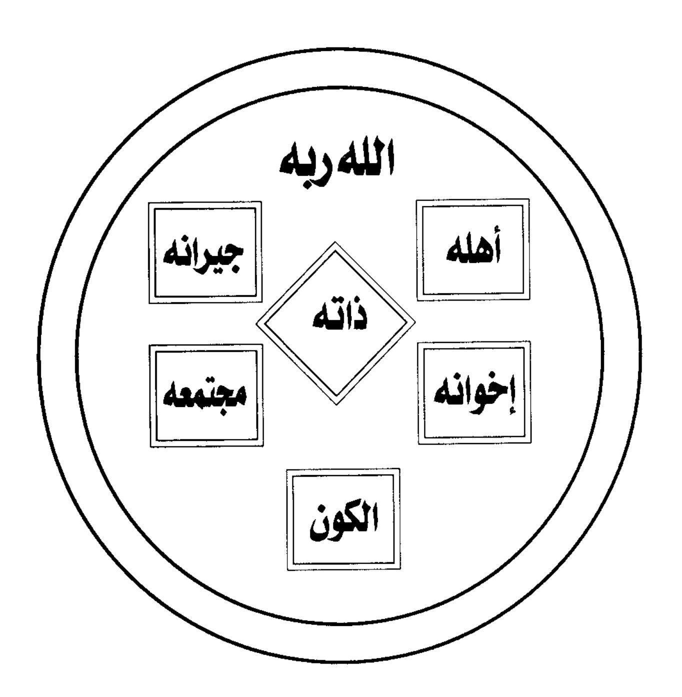
ويقول النبي عليه الصلاة والسلام واصفاً لأمته قاعدة ربانية، وهو يوصي الصحابي الجليل عبدالله بن عباس:

**"يا غلام! إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف"** (١).

ويمكن أن نتصور علاقة الإنسان مع غيره من الوحدات البشرية في إطار علاقته مع ربه.

---

(١) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.




شكل (رقم ٢) يوضح علاقة الإنسان مع غيره من البشر
سواء بالسلب أو الإيجاب من خلال علاقته بربه

**علاقة الإنسان الكامل مع ربه :**

مؤمن بربوبيته ووحدانيته، مطيع لحدوده في افعل ولا تفعل، ومتحمّل لمسؤولياته، متمثل للعبودية المطلقة لله، مؤمن بالغيب وبالقضاء والقدر خيره وشره.

**علاقته بذاته :**

يؤمن بأنه مستخلف فيما له، فيرعاه ولا يبدده، يرعى جسمه، وينمي عقله، ويتقن ما كان عليه فرض عين ويزكّي روحه، ويحرر إرادته، ولا يتدخل فيما لا يعنيه.

**علاقته بأهله :**

بارّ بأهله، يحسن لوالديه، ويودهما في حياتهما ومماتهما، خيّر لزوجته، قوّام بالحق على أسرته بالمودة والرحمة، يصل رحمه مهما كانت العوائق.

**علاقته بإخوانه :**

ينصرهم بالحق والموعظة الحسنة، كلهم عليه حرام في النفس والمال والعرض، متحاب ذو إيثار يطبق مبدأ الأخوّة الإسلامية .

**علاقته بجيرانه :**

يحسن معاملتهم، سمح معهم، عون لهم، صبّار على أذاهم، يسعد به جاره، ولا يشقى به جليسه، عفيف ذو حياء، ستّار يفشي السلام.

**علاقته بمجتمعه :**

أهل خير وعدل، يوفي بعهده معهم، يدرأ المفسدة عنهم، ويجلب المصلحة لهم، يبتغي وجه الله فيهم، ولا يخرج عن الجماعة.

**علاقته بالكون :**

يتعامل مع الكون المسخر له تعامل الإنسان العارف بربه الحافظ لحدوده، فالكون مسخر بإرادة الله ومشيئته، عون للإنسان على القيام بعبادة الله في إعمار الأرض، وما يستتبع ذلك من واجبات الرعاية وحسن الاستخدام.

ويشير المربع داخل الآخر إلى اتساع المحيط دوماً، ويضمن هذا الاتساع استمرار الجهد وتزايد الكل مع عدم انتقاص قدر الواحد في هذا الكل[1] .

---

(١) الدافعية، محمد رفقي عيسى، ١٩٨٨م بتصرف.

# الفصل الثاني

# زيد بن ثابت

رضي الله عنه

# زيد بن ثابت (رضي الله عنه)

## نسبه ونشأته:

هو زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن لوذان بن عمرو بن عبد عوف بن غنم بن مالك بن النجار [١] قال الذهبي في وصفه : الإمام الكبير ، شيخ المقرئين والفرضيين ، مفتي المدينة أبو سعيد وأبو خارجة ، الخزرجي ، النَّجاري الأنصاري ، كاتب الوحي رضي اللّه عنه[٢] . هذا ما وصف به الإمام الذهبي زيد بن ثابت الذي قلما وجد إنسان بمثل تفوقه وذكائه ودافعيته التي أهلته لتلك الإنجازات العظيمة .

وقد عاش زيد بن ثابت يتيماً من والده الذي قُتل يوم بعاث وهو ابن ست سنين[٣] ونشأ تحت رعاية أمه وزوجها عمارة بن حزم من بني النجار[٤] .

كان زوج والدته عمارة بن حزم رضي اللّه عنه ممن شهدوا بيعة العقبة الثانية من الأنصار وكان عددهم ٧٣ رجلاً وامرأتين وبعد رجوع المبايعين إلى المدينة قاموا بنشر الدين فبدأ عمارة رضي اللّه عنه بزوجته النوار[٥] .

ثم بولدها زيد بن ثابت فأسلما رضي اللّه عنهم أجمعين، وفي هذه البيئة المؤمنة الموحدة نشأ زيد بن ثابت منذ نعومة أظفاره فكان من توفيق اللّه له أن هيأ له المحيط الإسلامي، والوسط الإيجابي.

---

(١) الاستيعاب ١/ ٥٥١ .
(٢) سير أعلام النبلاء ٢/ ٤٢٦ .
(٣) الاستيعاب ١/ ٥٥١ .
(٤) زيد بن ثابت ص ١٩ .
(٥) زيد بن ثابت ص ٢٦ .

## البحث عن مواطن التفوق:

لقد تعددت مظاهر التفوق في العهد النبوي إلا أن من أبرزها الجهاد وطلب العلم فما كان من زيد بن ثابت إلا أن أخذ يبحث عن مواطن التفوق ليظهر فيه ما يمتلكه من قدرات .

في السنة الثانية للهجرة عندما خرج الرسول صلى الله عليه وسلم إلى بدر جاء زيد بن ثابت إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وهو لم يتم الحادية عشرة وفي يده سيف يساويه في الطول أو يزيد عليه قليلاً ، ودنا من الرسول صلى الله عليه وسلم وقال : جعلت فداك يا رسول الله ائذن لي أن أكون معك وأجاهد أعداء الله تحت رايتك ، فنظر إليه الرسول الكريم نظرة سرور وإعجاب وضرب بيده على كتفه برفق وود وطيّب خاطره وصرفه لصغر سنه [١] وقد أعجب النبي عليه الصلاة والسلام من نجابته ودافعيته .

وعاد الغلام الصغير يجرجر سيفه على الأرض حزيناً ، وعادت من ورائه أمه النوار بنت مالك وهي لا تقل عنه أسى وحزناً ـ وعندما رأى الغلام أنه قد منع من أحد مواطن التفوق لسبب خارج عن إرادته ، تفتقت فطنته عن مجال آخر لا علاق له بالسن ـ يقربه من الرسول عليه الصلاة والسلام . ذلك المجال هو مجال العلم والحفظ .

فذكر الغلام الفكرة لأمه فهشت لها وبشت ونشطت لتحقيقها فحدثت بها بعض رجال قومها وكان عمره ذاك الوقت لم يتجاوز الحادية عشرة فمضوا به إلى رسول الله صلوات الله عليه وقالوا :

يا نبي الله ، هذا ابننا زيد بن ثابت يحفظ سبع عشرة سورة من كتاب الله ، ويتلوها صحيحة كما أنزلت على قلبك .

وهو في ذلك حاذق يجيد الكتابة والقراءة ، وهو يريد أن يتقرب بذلك

---

(١) صور من حياة الصحابة، ص ٣٥٥ .

إليك وأن يلزمك فاستمع منه إذا شئت[١] .

وهنا نلحظ ذكاء وفطنة هذا الغلام عندما لم يوفق في مجال التفوق الأول الذي يشترك فيه الرجال وغاية كل مسلم وذلك لصغر سنه . تحولت نظرته إلى البحث عن مجال آخر يظهر فيه تفوقه وتميزه على أقرانه الذين أرجعهم النبي صلى اللّه عليه وسلم معه ولم يسمح له بالاشتراك في معركة بدر فكان اختياره موفقاً جداً في طلبه للعلم والاقتراب من النبي -صلى اللّه عليه وسلم-، ويبرز في هذا الموقف الدافع الداخلي عنده لطلب العلم حيث إنه لم يذهب إلى الرسول صلى اللّه عليه وسلم إلا وقد حفظ سبع عشرة سورة حتى يثبت للنبي -صلى اللّه عليه وسلم- كفاءته وإنجازه . ولم يكن ظهوره معتمداً على دوافعه الداخلية فقط بل كانت هناك دوافع خارجية وهي رغبة والدته وأقربائه وسعيهم الجاد عند رسول اللّه -صلى اللّه عليه وسلم- لكي يقبله في مجلسه ويعتني بتربيته وتنمية قدراته .

**ومن هذا الموقف نأخذ بعض الدروس التربوية:**

١ - أهمية دور الأسرة في مشاطرتها أبناءها في أفراحهم وأتراحهم فهاهي أم زيد ابن ثابت ترجع حزينة كئيبة لأن النبي -عليه الصلاة والسلام- لم يحقق لابنها ما يريد في الجهاد .

٢ - مؤازرة الأبناء وتشجيع دوافعهم والسعي لتحقيقها بما هو مفيد .

٣ - البحث عن المعلم الكفء لما له من أثر على سلوك المتعلم ، فهدف التربية إصلاح سلوك المتعلم وليس حشو الأذهان بالمعلومات فقط .

**اكتشاف النبي ﷺ لتفوق زيد بن ثابت:**

ولكي يتأكد النبي -صلى اللّه عليه وسلم- من فطنة زيد وحذاقته كما

(١) صور من حياة الصحابة، ص ٣٥٦ .

يقول أهله اختبر حفظه وذكاءه وجديته لطلب العلم في مواقف منها :

١ ـ سمع منه النبي -صلى اللّه عليه وسلم- بعضاً مما يحفظ، وفي رواية عن زيد رضي اللّه عنه قال : «فاستقرأني فقرأت (ق)»[١]، وبعد أن سمع النبي -عليه الصلاة والسلام- بعض السور من زيد فإذا هو مشرق الأداء مبين النطق وإذا تلاوته تنم عن تأثر بما يتلو، ووقفاته تدل على وعي لما يقرأ وحسن فهم، فَسُرَّ به الرسول صلى اللّه عليه وسلم ووجده فوق ما وصفوه .

٢ ـ نظر النبي -عليه الصلاة والسلام- في كتابته فسر بها وقد كان تعلمه للكتابة بحث من النبي صلى اللّه عليه وسلم . فقد حث النبي غلمان الصحابة على التعلم ، من أسرى بدر . وذلك بعد أن انجلت غزوة بدر عن مقتل سبعين من المشركين ، وأسر سبعين منهم فما كان من النبي -صلى اللّه عليه وسلم- بعد استشارة أصحابه إلا أن قبل الضريبة من الأسرى فأعتق منهم من فدى نفسه بماله، وكانت الضريبة يومئذ أربعة آلاف درهم ، وكان من تقدير اللّه -عز وجل- أن بعض الأسرى من قريش كان يحسن الكتابة فمن كان منهم لا يملك مالاً يفدي نفسه من الأسر قبل منه -صلى اللّه عليه وسلم- أن يُعلِّم عشرة من أولاد المسلمين الكتابة ، فإذا فعل ذلك خلى سبيله[٢] ، فما كان من النبي -صلى اللّه عليه وسلم- إلا أن حث غلمان الصحابة على التعلم . فكان زيد بن ثابت أحد غلمان الصحابة الذين تعلموا الكتابة في ذلك اليوم من أسارى بدر وفي هذا دليل على اهتمام الرسول صلى اللّه عليه وسلم بالعلم والكتابة ، وحرصه على الاستفادة من الفرصة المتاحة ، وعدم إضاعة الفرص التي قد لا تتكرر.

كما حرص النبي -عليه الصلاة والسلام- على حسن الخط وجماله لأن الخط الواضح يزيد الحق وضوحاً ، فقد ورد عن زيد بن ثابت أنه قال : قال رسول اللّه -صلى اللّه عليه وسلم- «**إذا كتبت بسم اللّه الرحمن الرحيم**

---

(١) أخرجه البخاري في التاريخ ٣/ ٣٨٠ (في زيد بن ثابت ، ص ٢٧) .

(٢) زيد بن ثابت ، ص ٦٩ .

**فبيِّن السـين فيه**»[١] .

٣ـ طلب منه النبي صلى اللّه عليه وسلم أن يتعلم اللغات .

أ ـ قول زيد رضي اللّه عنه : «أُتي بي النبي صلى اللّه عليه وسلم مَقدَمَه المدينة، فقالوا : يا رسول اللّه ، هذا غلام من بني النجار ، وقد قرأ مما أنزل عليك سبع عشرة سورة ، فقرأت على رسول اللّه ، فأعجبه ذلك ، وقال : **يا زيد تعلّمْ لي كتاب يهود ، فإني واللّه ما آمنهم على كتابي** . قال : فتعلمته فما مضى لي نصف شهر حتى حذقته ، وكنت أكتب لرسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم إذا كتب لهم»[٢] .

ب ـ يقول زيد رضي الله عنه : قال لي رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : **"أتحسن السريانية إنها تأتيني"** ؟

**قلت: لا، قال: "فتعلمها"، فتعلمتها في سبعة عشر يوماً**[٣] ويقول ابن عبد البر : كانت ترد على رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم كتب بالسريانية ، فأمر زيد بن ثابت فتعلمها في بضعة عشر يوماً[٤] .

جـ ـ وذكر ابن كثير أنه تعلم الفارسية من رسول كسرى في ثمانية عشر يوماً[٥] .

د ـ وقيل : إنه تعلم الفارسية من رسول كسرى ، والرومية من حاجب رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ، والحبشية من خادم النبي صلى اللّه عليه وسلم والقبطية من خادمه عليه الصلاة والسلام[٦] .

---

(١) زيد بن ثابت ، ص ٧٥ .
(٢) أخرجه البخاري (في زيد بن ثابت ، ص ٢٧) ، الإصابة ١/ ٥٦١ .
(٣) الإصابة ١/ ٥٦١ .
(٤) الاستيعاب ١/ ٥٥٢ .
(٥) البداية والنهاية ٨/ ٣١ (في زيد بن ثابت ، ص ٧٩) .
(٦) زيد بن ثابت ، ص ٧٩ .

وهذا مما يدل على نبوغ زيد منذ صغره وعلى شدة ذكائه وسرعة إنجازه حيث تعلم اللغة اليهودية في نصف شهر والسريانية في سبعة عشر يوماً والفارسية في ثمانية عشر يوماً .

هكذا اكتشف النبي عليه الصلاة والسلام ذكاء زيد بن ثابت من خلال الاختبارات التي تمثلت في بعض المواقف التي تستثير القدرات العقلية ، فاختبارات الذكاء ليست غريبة على المسلمين ، صحيح أنهم لم يعرفوها بصورتها الحالية ، يقول الدكتور إسماعيل عبد الفتاح : «اهتم العرب المسلمون بالذكاء واختبارات الذكاء كثيراً ، في كافة صوره وأشكاله ، وذلك ينبع من اهتمام الإسلام بالعقل البشري الذي هو ما يميزه عن غيره من المخلوقات ، فالذكاء في نظرهم قدرة عقلية ، وهذا ما يماثل أحدث مفاهيم الذكاء العصرية»(١) .

## خصائص التفوق عند زيد بن ثابت :

اختص سيدنا زيد بن ثابت رضي الله عنه بخصائص عدة لعل من أهمها :

### ١ ـ سرعة التعلم ودقة الإنجاز :

مما يدل على نبوغه منذ صغره وسرعة التعلم ما قام به من تعلم اللغة اليهودية في نصف شهر ، والسريانية في سبعة عشر يوماً والفارسية في ثمانية عشر يوماً كما أنه تعلم الحبشية والقبطية .

ويبدو أن تعلمه لبعض هذه اللغات لم يقتصر على المحادثة بل كان محادثة وقراءة وكتابة .

روى خارجة عن أبيه ، قال : قدم النبيُّ صلى الله عليه وسلم المدينة وأنا

---

(١) الذكاء وتنميته ، ص ٢٥٦ .

ابنُ إحدى عشرة سنة . وأمره النبيُّ صلى اللّه عليه وسلم أن يتعلم كتابة اليهود . قال : وكنتُ أكتبُ . فأقرأ إذا كتبوا إليه (١) .

**٢ ــ الالتزام بالمهمة:**

ومما يدل على مواظبته والتزامه بالمهمة ما قاله ابن عبد البر : كان أبيّ بن كعب ممن كتب لرسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم الوحي قبل زيد بن ثابت ومعه أيضاً ، وكان زيد ألزم الصحابة لكتابة الوحي ، وكان يكتب كثيراً من الرسائل ، وكان أبيّ وزيد يكتبان الوحي بين يدي رسول اللّه -صلى اللّه عليه وسلم-(٢) .

وهذه شهادة من ابن عبد البر تبين أن زيداً كان ألزم الصحابة لكتابة الوحي، التي كانت من المهام الصعبة التي تستلزم ملازمة النبي -عليه الصلاة والسلام- بصفة مستمرة حيث إن الوحي ليس له وقت محدد بل كان ينزل متفرقاً وحسب الأحداث .

ومما يؤكد التزامه بالمهمة سيرته العطرة في تعلمه اللغات في فترات وجيزة، كما أنه -رضوان اللّه عليه- كان يلتزم بالمهمة التي يندب لها حتى ينجزها بإتقان مهما كانت صعوبتها ، ومن أمثلة ذلك جمعه للقرآن الكريم، يقول زيد وهو يصور الصعوبة الكبرى التي شكلتها قداسة المهمة وجلالها : «واللّه ، لو كلفوني نقل جبل من مكانه لكان أهون عليّ مما أمروني به من جمع القرآن» (٣) .

**٣ ــ الدافعية الذاتية:**

أ - ونجد ذلك من خلال بحثه عن مواطن التفوق، فعندما منع من القتال اتجه إلى العلم بعد أن تعلم القراءة والكتابة وحفظ سبع عشرة سورة .

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢/ ٤٢٨ .
(٢) زيد بن ثابت ، ص ٧١ .
(٣) رجال حول الرسول، ص ٤٩٣ .

ب - يقول الرسول عليه الصلاة والسلام حاثاً أمته على طلب العلم والاهتمام بعلم المواريث: "**تعلموا الفرائض وعلموه، فإني امرؤ مقبوض، وإن العلم سيقبض حتى يختلف الاثنان في الفريضة فلا يجدان أحد يفصل بينهما**" (١).

فلما طرقت كلمات رسول اللّه -صلى اللّه عليه وسلم- آذان زيد بن ثابت رضي اللّه عنه ما كان منه إلا أن شمّر عن ساعد الجد لتحصيل هذا العلم والخوض فيه، حتى قام بهذا الأمر أتم قيام، واضطلع به وتصدى له، ونهض بأعبائه، حتى غدا بحق أعلم الصحابة فيه وأشهرهم به كما قال عليه الصلاة والسلام شاهداً له بذلك: «**أفرض أمتي زيد بن ثابت**» (٢).

### ٤ ـ الميل لفهم النظم المالية المعقدة:

من خصائص زيد بن ثابت أنه يميل إلى فهم المسائل الحسابية المعقدة كالميراث وتقسيمه؛ وهو ما يسمى في الفقه بعلم الفرائض الذي يعتبر من أصعب العلوم وأدقها لما يحتاج من فهم للمسائل الرياضية المعقدة، وهي من المهارات التي لا يتقنها إلا القليل من الناس الذين وهبهم اللّه قدرات عقلية عالية واستعداداً كبيراً لطلب العلم وبخاصة في ذلك العصر من الزمن، يقول جعفر بن برقان: سمعت الزهري يقول: «لولا أن زيد بن ثابت كتب الفرائض لرأيت أنها ستذهب من الناس» (٣).

### ٥ ـ الإنجاز المتقن:

لقد قدم زيد بن ثابت أعمالاً جليلة أنجزها بكل إتقان وسرعة، وقد مر بنا الكثير من المواقف فمن إنجازاته:

---

(١) صححه الذهبي في (زيد بن ثابت، ص ٣٢) وأفرض مشتقه من علم الفرائض أي علم قسمة التركة على مستحقيها.

(٢) الاستيعاب ١/ ٥٥٣، سير أعلام النبلاء ٢/ ٤٣١.

(٣) سير أعلام النبلاء ٢/ ٤٣٦.

**أ ـ تعلمـه للغات الأجنبية:**

حتى غدا بحق ترجمان الدولـة الإسـلامية والترجمان لـه مكانة رفيعة في الدولة ، إذ هو الذي يطّلع على أسرار الدولـة وما يأتيها من مراسلات ، أو ما ترسله من مخاطبات ، إذ لا يصح أن يطلع كل إنسان على تلك الكتب الصادرة أو الواردة لئلا تختل الدولة وتكشف أسرارها ، وكان النبي -عليه الصلاة والسلام- عارفاً بهذا غير غافل عنه ، فلذلك طلب من زيد رضي اللّه عنه تعلُم اللغات .

**ب ـ تعلمه لعلم الفرائض:**

حتى شهد له رسول البشرية الذي لا ينطق عن الهوى إنما هو وحي يوحى بأن زيد بن ثابت قد أتقن علم الفرائض وتفوّق فيه على غيره . عن أبي قلابة ، عن أنس ، عن النبي عليه الصلاة والسلام قال : "**أفرض أمتي زيد بن ثابت**"(١) .

**جـ ـ كاتباً للوحي :**

عندما تعلَّم زيد الكتابة وهو صغير لا يجاوز الثانية عشرة من عمره اختاره النبي -صلى اللّه عليه وسلم- لكتابة الوحي . وهذه المهنة مهنة عظيمة وجليلة يتشرف بها من يعمل فيها ، ولم يمنع زيد صغر سنه مع أهليته عن تولي هذه الوظيفة ، فكان زيد موضع ثقة رسول اللّه -صلى اللّه عليه وسلم- ، فباشر بأداء هذه المهمة بأمانة وإخلاص مع غيره من الصحابة .

فقد أخرج الطبراني في الكبير برقم ٤٨٨٢ وحسنه الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ١٧ ، عن زيد بن ثابت رضي اللّه عنه قال : **كان رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم إذا نزل عليه الوحي بعث إليّ فكتبته** (٢) .

---

(١) ذكر المرجع سابقاً .

(٢) زيد بن ثابت ، ص ٧٣ .

وكان النبي يثق به ويحرص على كتابته ، بالإضافة إلى أن زيداً كان متفرغاً لصغر سنه وقلة أعماله .

ويمكن أن نقول : إن كتابة زيد بن ثابت الوحي للنبي عليه الصلاة السلام كانت أحد الأسباب الرئيسة لاختياره لجمع القرآن .

**د ـ جمعه القرآن الكريم:**

إن لزيد بن ثابت رضي اللّه عنه خصوصية عظيمة ومزية كريمة وشرفاً عالياً، وأي شرف أعظم من جمع القرآن، وقبل الشروع في المقصود نقول : إن كلمة (جمع القرآن) يراد بها معنيان :

المعنى الأول : حفظه في الصدور وعلى هذا قوله تعالى :

﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) ﴾ . (القيامة) .

أي جمعه في صدرك ثم تقرؤه [١] .

المعنى الثاني : كتابته في السطور ونسخه في الصحف وهو بهذا جمع أكثر من مرة .

وكانت الكتابة في عهد النبي -صلى اللّه عليه وسلم- على عسيب النخل والحجارة الرقيقة والرقاع من الجلود وغيرها ، وعظام الأكتاف والأضلاع حسب الأدوات المتيسرة في زمانهم حتى انتهى نزول القرآن كله على النبي -صلى اللّه عليه وسلم- . فكان كله مكتوباً في عهده ، لكنه لم يكن مجموعاً في موضع واحد ، ولا مرتب السور، ومن هنا يقول زيد بن ثابت : قبض النبي صلى اللّه عليه وسلم ولم يكن القرآن جمع في شيء [٢] .

(١) زيد بن ثابت، ص ٨٨ .
(٢) فتح الباري ٩ / ١٢ في (زيد بن ثابت، ص ٩٠).

وقد كان زيد بن ثابت رأس من جمعوا القرآن في عهد أبي بكر الصديق وذاك عندما رأى أبو بكر أن كثيراً من الصحابة قتلوا في موقعة اليمامة . وكان عمر أول من أشار على أبي بكر بجمع القرآن الكريم .

وقد اختار أبو بكر -رضي اللّه عنه- زيد بن ثابت لهذه المهمة العظيمة ، وذلك لأنه رأى فيه المقومات الأساسية للقيام بها وهي [١] :

١ ـ كونه شاباً، حيث كان عمره ٢١ سنة ، فيكون أنشط لما يطلب منه ، وكما قال الشاعر : والخير كل الخير في عصر الشباب

٢ ـ كونه أكثر تأهيلاً ، فيكون أوعى له ، إذ من وهبه اللّه عقلاً راجحاً فقد يسّر له سبيل الخير .

٣ ـ كونه ثقة ، فليس هو موضعاً للتهمة ، فيكون عمله مقبولاً ، وتركن إليه النفس ، ويطمئن إليه القلب .

٤ ـ كونه كاتباً للوحي ، فهو بذلك ذو خبرة سابقة في هذا الأمر ، وممارسة عملية له فليس غريباً عن هذا العمل ، ولا دخيلاً عليه .

هذه الصفات الجليلة جعلت الصديق يُرشِّح زيداً لجمع القرآن فكان به جديراً ، وبالقيام به خبيراً .

٥ ـ ويضاف لذلك أنه أحد الأربعة الذين جمعوا القرآن على عهد النبي صلى اللّه عليه وسلم ، فعن قتادة قال : سألت أنس بن مالك رضي اللّه عنه : من جمع القرآن على عهد النبي صلى اللّه عليه وسلم ؟ قال : أربعة كلهم من الأنصار : أبي بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، وأبو زيد [٢] .

---

(١) زيد بن ثابت ، ص ٩٢ ، بتصرف .

(٢) أخرجه البخاري ٩/ ٤٦ في (سير أعلام النبلاء ٢/ ٤٣١) .

## طريقة جمع القرآن :

والطريقة التي اتبعها زيد في جمع القرآن أنه لا يثبت شيئاً من القرآن إلا إذا كان مكتوباً بين يدي النبي صلى اللّه عليه وسلم ، ومحفوظاً من الصحابة ، فكان لا يكتفي بالحفظ دون الكتابة ، خشية أن يكون في الحفظ خطأ أو وهم .

وأيضاً لم يقبل من أحد شيئاً جاء به إلا إذا أتى معه شاهدان يشهدان أن ذلك المكتوب كتب بين يدي رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ، وأنه من الوجوه التي نزل بها القرآن .

فقد أخرج ابن أبي داود عن عروة قال : إن أبا بكر قال لعمر ولزيد : اقعدا على باب المسجد ، فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب اللّه فاكتباه [١] .

وعلى هذا المنهج استمر زيد -رضي اللّه عنه- في جمع القرآن حذراً متثبتاً مبالغاً في الدقة والتحري ، ولم يثبت ما يحفظه هو حتى يجد ما يؤيده ، وفي ذلك يقول زيد رضي اللّه عنه : لما نسخنا الصحف في المصاحف فقدت آية من سورة الأحزاب ، كنت كثيراً أسمع رسول اللّه -صلى اللّه عليه وسلم- يقرأها ، لم أجدها .

كما كان زيد في طليعة من وحّدوا المصاحف في زمن عثمان بن عفان رضي اللّه عنه .

ففي أواخر سنة أربع وعشرين وأوائل سنة خمس وعشرين من الهجرة بعث عثمان بن عفان -رضي اللّه عنه- جيشاً لفتح بلاد أرمينية وأذربيجان ، وكان في الجيش حذيفة بن اليمان كاتم سر رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ، وحدث في هذا الفتح اختلاف كبير يقصه علينا أنس بن مالك خادم رسول اللّه -صلى اللّه عليه وسلم- فيقول : إنّ حذيفة بن اليمان قدم على عثمان ، وكان يُغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق ، فأفزع حذيفة

(١) في المصاحف ، ص ١٢ في : زيد بن ثابت ، ص ٩٦ .

اختلافهم في القراءة ، فقال حذيفة لعثمان : يا أمير المؤمنين ، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى ، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ، ثم نردها إليك ، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان ، فأمر زيد بن ثابت ، وعبدالله بن الزبير ، وسعيد ابن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فنسخوها في المصاحف ، وقال عثمان للرّهط القرشيين الثلاثة : إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش ، فإنما نزل بلسانهم ، ففعلوا . حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة ، فأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا ، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق [1] .

ففي هذا الجيش اجتمع أهل الشام وأهل العراق ، فإذا أهل الشام يقرؤون بقراءة أبيّ بن كعب رضي الله عنه ، فيأتون في قراءتهم بشيء لم يسمعه أهل العراق ، وإذا أهل العراق يقرؤون بقراءة عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ، فيأتون في قراءتهم بما لم يسمع به أهل الشام ، فنشأ الخلاف بينهم [2] .

**٦ ـ القدرة القيادية :**

تميز زيد بن ثابت بكثير من الصفات الحميدة كان من بينها الصفة القيادية التي تتطلب قوة الحجة وسرعة اتخاذ القرار والعلم ومحبة الناس .

من مواقفه العظيمة ذاك الموقف الذي استطاع من خلاله أن يجمع الصف الإسلامي بعد أن كاد يتمزق وتذهب به الأهواء ، فبعد أن توفي النبي –عليه الصلاة والسلام– اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة وقالوا : نحن أحق

---

(١) أخرجه البخاري في فضائل القرآن ، باب جمع القرآن ، فتح الباري ٩/ ١١ في (زيد بن ثابت ، ص ١١١) .

(٢) زيد بن ثابت ، ص ١١١ .

بخلافة رسول الله . وقال المهاجرون : بل نحن أحق ، ودب الخلاف بين الفريقين ، وكادت الفتنة تقع . فقد روى داود بن أبي هند ، عن أبي نَضرْه ، عن أبي سعيد ، قال : لما تُوفي رسول الله ، قام خطباء الأنصار ، فتكلموا ، وقالوا : رجلٌ منا ، ورجلٌ منكم . فقام زيدُ بن ثابت ، فقال : إنّ رسول الله كان من المهاجرين ونحنُ أنصاره ؛ وإنّما يكون الإمامُ من المهاجرين ونحنُ أنصاره(١) .

وزاد الإمام الطيالسي في مسنده أن أبا بكر قال : (جزاكم الله خيراً يا معشر الأنصار ، وثبّت قائلكم ، لو قلتم غير هذا ما صالحناكم) (٢) .

ولنا أن نتخيل لو أن زيد بن ثابت لم يقف هذا الموقف ضد قومه الأنصار لكانت فتنة كبيرة وبخاصة أن كثيراً من الناس قد ارتدوا عن الإسلام وجمعت جيوش عديدة لمحاربة المسلمين في المدينة كما سيأتي في سيرة خالد بن الوليد . إنها السرعة في اتخاذ القرار ، والكلمة المسموعة التي أذعن لها الجميع .

وبلغت ثقة الخلفاء الراشدين بقدرة زيد بن ثابت القيادية أن أخذوا يولونه الحكم في فترة غيابهم ، وأصبح بمثابة ولي للعهد .

قال نافع عن ابن عمر : كان عمر يستخلف زيداً إذا حج وكان عثمان يستخلفه أيضاً على المدينة إذا حج (٣) . وعن يعقوب بن عتبة أن عمر استخلف زيداً ، وكتب إليه من الشام : إلى زيد بن ثابت ، من عمر (٤) .

قال خارجة بن زيد : كان عمر يستخلف أبي ، فقلما رجع إلا أقطعه

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢/ ٤٣٣ ، زيد بن ثابت ، ص ١٦٥ ، صور من حياة الصحابة ، ص ٣٥٨ . وجاء في تاريخ الطبري وسيرة ابن هشام أن أول مَنْ بايع كان عمر بن الخطاب . ولكي يوفق الباحث بين القولين فإنه يرى : لعل زيداً كان أول مَنْ بايع من الأنصار .

(٢) إسناده صحيح في مسند الطيالسي ٢/ ١٦٩ في (سير أعلام النبلاء٢/ ٤٣٣) .

(٣) الاستيعاب ١/ ٥٥٣ .

(٤) سير أعلام النبلاء ٢/ ٤٣٤ .

حديقة من نخل[١] ، وقد فرّق عمر كبار الصحابة في الأقطار الإسلامية وأبقى زيداً إلى جانبه في المدينة ليفتي أهلها فإن عنده من العلم ما لا يوجد عند غيره[٢] يظهر لنا من المواقف السابقة قدرة زيد بن ثابت القيادية وما حظي به من مكانة عند الخلفاء جعلته محل إعجابهم : ولم تقتصر خلافته في غياب عمر على الحكم فقط بل شملت كثيراً من وظائف الدولة .

عن سليمان بن يسار ، قال : ما كان عمر وعثمان يقدمان على زيد أحداً في الفرائض والفتوى والقراءة والقضاء [٣] .

كما يظهر لنا الاهتمام بأصحاب العلم وإفساح المجال أمامهم ليظهروا قدراتهم الكامنة ، فالقدرة لا تقتصر على المجال العلمي فقط بل تظهر في مجالات أخرى كما رأينا قدرة زيد بن ثابت في قيادة الدولة حتى نال إعجاب عمر ومكافأته .

ومن الدروس التربوية التي نستخلصها من هذا الموقف أهمية مكافأة المحسن ، فالمكافأة لها أثر عظيم على نفسية الإنسان حيث يشعر بتقدير الناس لعمله ومن ثم تزداد دافعيته وعطاؤه للعمل .

### ٧ ـ حبه للجهاد :

ما إن دخل زيد بن ثابت الإسلام حتى دخل حب الجهاد إلى قلبه رغم صغر سنه ، وحاول مراراً الخروج مع الجيش المسلم إلا أن النبي -عليه الصلاة والسلام- رده لصغر سنه ولم يجزه إلا في غزوة الخندق بعدما بلغ الخامسة عشرة[٤] ، وكان النبي -عليه الصلاة والسلام- يطيب قلوب الصغار عندما

(١) سير أعلام النبلاء ٢/ ٤٣٤ ، الإصابة ١/ ٥٦٢ .
(٢) زيد بن ثابت ، ص ١٧٨ .
(٣) سير أعلام النبلاء ٢/ ٤٣٤ .
(٤) زيد بن ثابت ، ص ١٤٦ .

يردهم عن الجـهاد ، ويوكل لهم مهـمة تتناسب مع أعمارهم بأن يكونوا حرساً على الذرية (١) .

وفي هذا اليوم العصيب (يوم الخندق) كان بلاء زيد حسناً ، فسر به النبي كما تقدم، وقد بقي يعمل حتى غلبه التعب والنصب، وهو شاب طري العود، وجرى له في هذا اليوم حادث طريف ، وذلك لما أدركه الجهد من عمله طيلة النهار ما كان منه إلا أنْ غلبته عيناه فنام ، فجاء عُمارة بن حزم فأخذ سلاحه وهو لا يشعر ، فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : **"يا أبا رُقاد نمت حتى ذهب سلاحك ؟"** ثم قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : **"من له علم بسلاح هذا الغلام ؟" فقال عمارة بن حزم : أنا يا رسول اللّه أخذته ، فرده، فنهى رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم أن يروِّع المؤمن، وأنْ يؤخذ متاعُه لاعباً وجداً** (٢) .

وقد أعجب النبي -عليه الصلاة والسلام- قائد المعركة بذلك الجندي الصغير الذي يخوض أول تجاربه في القتال ، فقال في حقه : **"أما إنه نعم الغلام"**(٣). ويُروى عن زيد أنه قال : «أجازني رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يوم الخندق وكساني قبطية»(٤) .

وكان المشهد الثاني الذي شهده زيد مع النبي -عليه الصلاة والسلام- هو غزوة بني قريظة ، وكانت في سنة خمس من الهجرة ، وقد غنم المسلمون منها غنائم كثيرة . ورجع زيد بن ثابت فرحاً مستبشراً بما تحقق من نصر وغنائم (٥) .

كما خرج -رضي اللّه عنه- في غزوة تبوك وأعطاه النبي عليه الصلاة والسلام راية بني النجار (٦) .

---

(١) صور من سير الصحابة ، ص ٨٨ بتصرف .

(٢) زيد بن ثابت ، ص ١٤٨ .

(٣) الاستيعاب ١/ ٥٥٢ .

(٤) سير أعلام النبلاء ٢/ ٤٣٢ ، والقبطية : ثوب رقيق من ثياب مصر .

(٥) زيد بن ثابت ، ص ١٤٩ .

(٦) الإصابة ١/ ٥٦١ .

ومن مشاهده بعد وفاة النبي -عليه الصلاة والسلام- موقعة اليمامة في حروب الردة، حيث أُصيب بسهم لكنه لم يضره [١] واشترك رضوان اللّه عليه في معركة اليرموك وتولى قسمة الغنائم بين المسلمين وكانت غنائم كثيرة[٢].

**من الدروس التربوية التي نأخذها من جهاده :**

- أن التفوق لا ينحصر في مجال واحد بل يتعدد كما رأينا ذلك في سيرة زيد بن ثابت .

- يمكن تدريب الفتى عسكرياً من سن الخامسة عشرة .

- عدم السماح للصغير بالخروج في الحرب مراعاة لأمور منها النفسية والانفعالية إضافة إلى عدم قدرته على مقاومة أهوال القتال .

- أهمية اتباع الأسلوب الحسن في منع الطفل وعدم الموافقة على طلبه، كما فعل النبي -عليه الصلاة والسلام- في تطييب قلوب الصغار عندما يردهم عن القتال، فإن المنع بلا تبرير قد يولد ردة فعل سيئة فضلاً عن الضيق النفسي وعدم الارتياح، فلذلك عوضهم النبي -عليه الصلاة والسلام- بوظيفة تناسب قدراتهم بأن يكونوا حرساً على الذرية ، مما يجعلهم يشعرون بأنهم ليسوا كالأطفال والنساء.

- مشروعية التشجيع المادي للمبتدئ في العمل لكسر حاجز الرهبة من نفسه وزيادة دافعيته كما فعل النبي -عليه الصلاة والسلام- عندما كسا زيد بن ثابت القبطية .

- الأدب النبوي الرفيع ، والخلق البديع ، الذي ينهى عن ترويع المؤمن وإخافته بأي سبب من الأسباب ، وعن أخذ متاعه وسلاحه سواء كان الفاعل

---

(١) الاستيعاب ١/ ٥٥٣ .
(٢) الإصابة ١/ ٥٦١ .

لاعباً أو جاداً ، ولا سيما أن الموقف موقف حرب وشدة حتى لا تحبط عزائم المؤمنين في القتال أو يلقى الرعب في صدورهم[١] .

ـ إثبات تفوق زيد في الجهاد حتى إن النبي -عليه الصلاة والسلام- سلمه راية بني النجار في غزوة تبوك ، كما تولى قسمة الغنائم في موقعة اليرموك مما يثبت قدرته الحسابية ، حيث إنه خص بتوزيع الغنائم من بين الصحابة .

**وفاتــــه:**

اختلف في وفاته -رضي الله عنه- على أقوال . ولعل أصحها ما ذكره الواقدي وهو أمام المؤرخين : مات سنة خمس وأربعين عن ست وخمسين سنة[٢] .

توفي -يرحمه الله- والناس لا يزالون في حاجة إلى علمه وفقهه يقول أبو هريرة حين مات زيد بن ثابت : «اليوم مات حبر هذه الأمة وعسى الله أن يجعل في ابن عباس منه خلف» [٣] .

وفيه يقول حسان بن ثابت :

فمن للقوافي بعد حسان وابنه ومن للمثاني بعد زيد بن ثابت

---

(١) زيد بن ثابت ، ص ١٤٩ .
(٢) سير أعلام النبلاء ٢/ ١٤١ .
(٣) الإصابة ١/ ٥٦٢ .

# الفصل الثالث

# عبدالله بن عباس

رضي الله عنه

# عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما)

## نسبه ونشأته:

هو حبر[١] الأمة ، وفقيه العصر ، وإمام التفسير ، أبو العباس عبدالله ، ابن عم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- العباس بن عبد المطلب شيبة بن هاشم ، واسمه عمرو بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب ابن فهر القرشي الهاشمي المكي الأمير رضي الله عنه[٢] .

هذا الصحابي الجليل ملك المجد من جميع أطرافه فما فاته منه شيء ، فقد اجتمع له مجد الصُحبة ، ولو تأخر ميلاده قليلاً لما شرُف بصُحبة رسول الله ، ومجد القرابة ، فهو ابن عم رسول الله -عليه الصلاة والسلام- ، ومجد العلم ، فهو حبرُ أمة محمد وبحر علمها الزاخر ومجد التُقى ، فقد كان صواماً بالنهار قواماً بالليل ، مستغفراً بالأسحار ، بكاءً من خشية الله حتى خدد الدمع خديه[٣] .

روى الواقدي أن ابن عباس ولد قبل الهجرة بثلاث سنين وكان ابن ثلاث عشرة سنة إذ توفي رسول الله عليه الصلاة والسلام[٤] .

وأكّد ذلك ما جاء في المستدرك للحاكم في ترجمة عبدالله بن عباس أنه توفي سنة ثمان وستين وكان عمره خمسة عشر عاماً عند وفاة النبي عليه الصلاة والسلام[٥] .

---

(١) الحبر : العالم الصالح .
(٢) سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٣٢ .
(٣) صور من حياة الصحابة ٣/ ٤٢ .
(٤) الاستيعاب ٣/ ٩٣٣ .
(٥) كنز العمال ١١/ ٧٣١ .

## صفاته:

كان وسيماً ، جميلاً ، مديد القامة ، مهيباً ، كامل العقل ، ذكي النفس ، من رجال الكمال (١) .

قال عبدالله بن منده يصف ابن عباس :

أمه هي أم الفضل أخت أم المؤمنين ميمونة ، ولد قبل الهجرة بسنتين ، وكان أبيض، طويلاً ، مُشْرباً صُفرة ، جسيماً ، وسيماً ، صبيح الوجه ، له وفرة، يخضب بالحناء ، دعا له النبي صلى الله عليه وسلم بالحكمة، وهو ابن خالة خالد بن الوليد المخزومي(٢) .

روى سعيد بن سالم قال حدثنا ابنُ جريج قال : كنا جلوساً مع عطاء في المسجد الحرام ، فتذكرنا ابن عباس فقال عطاء : ما رأيت القمر ليلة أربع عشرة إلا ذكرت وجه ابن عباس (٣) .

وروى إبراهيم بن الحكم بن أبان، عن أبيه، عن عكرمة، قال: كان ابن عباس إذا مر في الطريق ، قلن النساء على الحيطان أمر المسك أم مر ابن عباس؟(٤).

وكان يصعر(٥) لحيته وقيل كان يخضبها بالحناء (٦) .

وهكذا يتبين لنا أن ابن عباس ممن يشار إليه بالبنان سواء في صفاته الخُلقية أو الصفات الخلقية التي يدخل فيها جانب الوراثة، فهو من قريش تلك القبيلة التي عرفت بالقيادة والمجد والسلطة، وهو ابن عم النبي عليه الصلاة والسلام.

---

(١) سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٣٣ .
(٢) سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٣٦ وأسد الغابة ٣/ ١٩٣ .
(٣) سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٣٦ .
(٤) عبدالله بن عباس ، ص ٣١ .
(٥) كذا في أُسد الغابة، ولعل الصواب (يصفِّر) بالفاء.
(٦) أسد الغابة ٣/ ١٩٥ .

كما أنه ابن خالة خالد بن الوليد الذي قلما عرفت الإنسانية مثل تفوقه العسكري .

كما أنه -رضي اللّه عنه- كان ممن يتسم بالموازنة بين حاجات الدنيا ومتطلبات الآخرة ، فقد أقبل على العلم وعلى العبادة لكنه لم ينس نصيبه من الدنيا ، فنجده يتجمل ويختار أفضل الطيب حتى عرفت النساء داخل البيوت بمروره ، وروى جويبر عن الضحاك ، قال : ما رأيت بيتاً أكثر خبزاً ولحماً من بيت ابن عباس(١) .

وروى ابن جريج عن عثمان بن أبي سليمان أن ابن عباس كان يتخذ الرداء بألف(٢) .

عن عبداللّه بن عبد الرحمن عن أبي حسين قال : ما رأيت بيتاً كان أكثر طعاماً ولا شراباً ولا فاكهة ولا علماً من بيت عبداللّه بن عباس(٣) .

وهكذا يجب على المسلم أن يوازن بين متطلبات الدنيا ومتطلبات الآخرة ، وأن يربي أولاده وتلاميذه على الاعتدال والموازنة .

## طلبه للعلم:

انتقل ابن عباس مع أبويه إلى دار الهجرة سنة الفتح ، وقد أسلم قبل ذلك ، وقد صح عنه أنه قال : كنت أنا وأمي من المستضعفين ، أنا من الولدان ، وأمي من النساء(٤) .

وعندما بلغ سن التمييز لازم الرسول عليه الصلاة والسلام ملازمة العين لأختها . وكان عمره حين ذاك ما يقارب الحادية عشرة ، فكان يُعد له ماء وضوئه

---

(١) سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٥١ .
(٢) سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٥٥ ، الحلية ١/ ٣٢١ .
(٣) الحلية ١/ ٣٢١ .
(٤) أخرجه البخاري ٨/ ١٩٢ في (سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٣٤) .

إذا هَمّ أن يتوضأ ، ويصلي خلفه إذا وقف للصلاة ، وقد صاحب النبي عليه الصلاة والسلام ما يقارب ثلاثين شهراً حتى توفي عليه الصلاة والسلام .

كان ابن عباس يبيت عند خالته ميمونة زوج النبي صلى اللّه عليه وسلم ، ويصادف أن يكون الرسول عندها في ليلتها ، فينام هو ورسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم في بيت واحد . فلا غرابة في أن ينقل لنا شيئاً من حياة رسول اللّه الخاصة .

**فعن ابن عباس قال : بت في بيت خالتي ميمونة بنت الحارث زوج النبي صلى اللّه عليه وسلم . وكان النبي صلى اللّه عليه وسلم عندها في ليلتها ، فصلى العشاء ثم جاء إلى منزله فصلى أربع ركعات . ثم نام ثم قام ثم قال : نام الغليم أو كلمة تشبهها ، ثم قام فقمت عن يساره . فجعلني عن يمينه فصلى خمس ركعات ، ثم صلى ركعتين . ثم نام حتى سمعت غطيطه أو خطيطه . ثم خرج إلى الصلاة** (١) .

ويتبين لنا من الحديث السابق أهمية تكوين العلاقة الإيجابية بين المعلم والتلميذ . كما يتبين لنا أهمية القدوة الحسنة المؤثرة في الطفل ، فالأطفال يتأثرون بمراقبتهم لسلوك الكبار .

وقد بلغت شدة ملازمته للنبي -عليه الصلاة والسلام- أن يصاحبه في تنقلاته فكان يركب مع النبي عليه الصلاة والسلام على راحلته .

وأخرج أحمد عن ابن عباس -رضي اللّه عنهما- أن رسول اللّه -صلى اللّه عليه- وسلم أردفه على دابته ، فلما استوى عليها كبّر رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ثلاثاً وحمد الله ثلاثاً وسبّح اللّه ثلاثاً وهلّل اللّه واحدة ثم استلقى عليه فضحك ، ثم أقبل عليّ فقال : **"ما من امرئ يركب دابته فيصنع كما صنعت إلا أقبل اللّه تبارك وتعالى فضحك إليه كما ضحكت إليك"** (٢) .

---

(١) صحيح البخاري : ١/ ٣٧ في (عبداللّه بن عباس ، ص ٤١) .

(٢) حياة الصحابة ٤/ ٦٠ في (عبداللّه بن عباس ، ص ٤٦)، مسند الإمام أحمد (١/ ٣٣٠) .

**روى قيس الصفائي عن ابن عباس قال : كنت خلف رسول اللّه -صلى اللّه عليه وسلم- فقال : "يا غلام أني أعلمك كلمات أحفظ اللّه يحفظك احفظ اللّه تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل اللّه، وإذا استعنت فاستعن باللّه، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه اللّه لك، وإن اجتمعوا على أن يضرّوك بشيء لم يضرّوك إلا بشيء قد كتبه اللّه عليك رفعت، الأقلام وجفت الصحف»** (١) .

وهكذا نرى اختيار النبي -عليه الصلاة والسلام- للوقت المناسب الذي يوجه فيه الأطفال . ففي الحديثين السابقين يتبين أن النبي قد وجه ابن عباس في الهواء الطلق وليس في غرفة مغلقة الأبواب إنما أخذه في رحلة ونزهة ليكون الطفل في أتم استعداد للتلقي . وهكذا نخرج بأهمية اختيار الزمان والمكان المناسبين للتوجيه والتعليم .

## فضله:

**روى خالد الحذاء ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : مسح النبي صلى اللّه عليه وسلم رأسي ، ودعا لي بالحكمة** (٢) .

وروى الزبير : حدثني ساعدةُ بن عُبيد اللّه المزني ، عن داود بن عطاء ، عن زيد بن أسلم ، عن ابن عمر ، أن عُمر دعا ابن عباس ، فقرّبه . وكان يقول : إني رأيت رسول اللّه -صلى اللّه عليه وسلم- دعاك يوماً ، فمسح رأسك ، وتفل في فيك ، وقال :

« **اللهم فقّهْهُ في الدين وعلمه التأويل** » (٣) .

---

(١) أخرجه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح .

(٢) أخرجه البخاري ١/ ١٥٥ في (سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٣٤)، سند أحمد (١/ ٣٣٠).

(٣) أخرجه البلا ذري في أنساب الأشراف ٣/ ٣٧ في (سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٣٧) .

عن ابن عباس :

« **دعا لي رسول اللّه بالحكمة مرتين** »(١) .

روى عبد المؤمن بن خالد : عن ابن بريده ، عن ابن عباس : انتهيت إلى النبي -صلى اللّه عليه وسلم- وعنده جبريل ، فقال له جبريل :

« **إنه كائن هذا حبر الأمة فاستوص به خيراً** »(٢) .

عن ابن عمر أن النبي -صلى اللّه عليه وسلم- قال لابن عباس :

« **اللهم بارك فيه وانشر منه** »(٣) .

وقال مجاهد عن ابن عباس :

**رأيت جبريل عند النبي -صلى اللّه عليه وسلم- مرتين ، ودعا لي رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم بالحكمة مرتين**(٤) .

ومما سبق نرى مشروعية الدعاء للصغير بالبركة ، ثم إن هذا الدعاء له أثر في انشراح نفسية الطفل وتقبله للحياة بروح سعيدة متفائلة بالخير وزيادة دافعيته للتعلم وتشجيعه على بذل الجهد أضعافاً مضاعفة .

وتزيد أهمية الدعاء إذا كان من الوالدين ؛ لأن الدعاء يقوي العاطفة ويزيدها متانة ويزيد قلبي الوالدين رحمة وشفقة . كما أن الدعاء يجلب البركة والخير ، كما رأينا من دعاء النبي -عليه الصلاة والسلام- لابن عباس حتى أصبح حبر الأمة وترجمان القرآن .

---

(١) أسد الغابة ٣/ ١٩٣ .
(٢) الحلية ١/ ٣١٦ في (سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٤٣) رجاله رجال الصحيح .
(٣) كنز العمال ١١/ ٧٣١ .
(٤) الاستيعاب ٣/ ٩٣٥ .

كما نهى النبي -عليه الصلاة والسلام- من الدعاء على الأبناء ، فقد روى أبوداود عن رسول اللّه -عليه الصلاة والسلام- قال :

**"لا تدعوا على أنفسكم ولا تدعوا على أولادكم .. ولا تدعوا على خدمكم ولا تدعوا على أموالكم لا توافقوا من اللّه ساعة فينزل فيها إعطاء فيستجاب لكم»** (١) .

## شهادة الصحابة بتفوقه:

وكان ابن عباس -رضي اللّه عنه- من أعلم الصحابة في تفسير القرآن(٢) .

عن ابن مسعود قال : لو أدرك ابن عباس أسناننا ما عاشره منا رجل وكان يقول : «نعم ترجمان القرآن ابن عباس» .

روى أبو زرعة الدمشقي في تاريخه عن ابن عمر ، قال : «هو أعلم الناس بما أنزل اللّه على محمد» .

عن مسروق قال : «كنت إذا رأيت ابن عباس ، قلتُ: أجمل الناس ، فإذا نطق ، قلت : أفصح الناس . فإذا تحدث ، قلت: أعلم الناس» .

وفي هذه الشهادة نرى أن ابن عباس قد حاز أغلب مجالات خصائص التفوق من ناحية الجمال والحسن ، ومن ناحية الطلاقة اللغوية والفصاحة في عصر تميَّز بالفصاحة . كما تعددت أوجه تفوقه في أغلب مجالات الحياة .

وقال أبو عمرو بن العلاء : نظر الحطيئة إلى ابن عباس في مجلس عمر بن الخطاب -رضي اللّه عنه- غالباً عليه فقال : من هذا الذي برع الناس بعلمه، ونزل عنهم بسنه ، قالوا : عبداللّه بن عباس ، فقال فيه أبياتاً منها :

---

(١) منهج التربية النبوية ، ص ٣٢٣ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٣٧ .

إني وجـــدت بيان المرء نافلة تهدى له ووجدت العي كالصمم

والمرء يفنى ويبقى سائر الكلم وقد يلام الفتى يومـــاً ولـم يلـم[١]

قال عبيد اللّه بن عبداللّه بن عتبة : «كان ابن عباس قد فات الناس بخصال؛ بعلم ما سبقه، وفقه فيما احتيج إليه من رأيه، وحلم ونسب وتأويل، وما رأيت أحداً كان أعلم بما سبقه من حديث رسول اللّه -صلى اللّه عليه وسلم- منه ولا بقضاء أبي بكر وعمر وعثمان منه، ولا أفقه في رأي منه، ولا أعلم بشعر ولا عربية ولا تفسير القرآن ولا بحساب ولا بفريضة منه، ولا أثقب رأياً فيما احتيج إليه منه، ولقد كان يجلس يوماً ولا يذكر فيه إلا الفقه، ويوماً التأويل، ويوماً المغازي، ويوماً الشعر، ويوماً أيام العرب ، ولا رأيت عالماً قط جلس إليه إلا خضع له، وما رأيت سائلاً قط سأله إلا وجد عنده علماً» [٢] .

روى ابن جريج ، عن طاووس قال : «ما رأيتُ أورعَ من ابن عمر ، ولا أعلم من ابن عباس» [٣] .

عن سعيد بن جبير قال : « كان ابن عباس يحدثني بالحديث فلو يأذن لي أن أقبل رأسه لقبلت» [٤] .

روى الأعمش ، عن مجاهد ، قال : « كان ابن عباس يسمى الحبر لكثرة علمه»[٥] .

ومما قال حسان رضي اللّه عنه :

---

(١) الاستيعاب ٣/ ٩٣٦ .
(٢) أسد الغابة ٣/ ١٩٣ .
(٣) تاريخ الفسوي ١ / ٤٩٦، (في سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٥٠ ).
(٤) فضائل الصحابة ٩٥١ .
(٥) الحلية ١ / ٣١٦ .

إذا مـا ابنُ عـبـاس بدا لك وجـهـه
رأيتَ له في كل أقـوالـه فـضـلا
إذا قـال لـم يتـرك مـقـالـةً لقـائل
بمنتظـمـات لا ترى بينهـا فـصـلا
كفى وشفى ما في النفوس فلم يدع
لذي أرب في القـول جداً ولا هزلا
سـمـوتَ إلى العليـا بغـيـر مـشـقـةٍ
فنلـتَ ذُراها لا دنيـا ولا وغـلا
خُلِقتَ حليـفـاً للمـروءة والندى
بليجاً، ولم تُخلق كهاماً ولا خبلا(١)

لقد عمدت إلى ذكر شهادات الصحابة والتابعين بتفوق ابن عباس لنقف على عدة أمور من أهمها :

١ ـ أن أصحاب النبي -عليه الصلاة والسلام- قد عرفوا التفوق بمختلف مظاهره في ذلك الوقت وأدركوا أهمية المتفوقين ودورهم في المجتمع .

٢ ـ تعددت الشهادات في أكثر من مظهر مما يعني أن الصحابة قد عرفوا للتفوق عدة مظاهر منها : العلم، الفصاحة في اللغة ، رجاحة الرأي ، الحلم ، القضاء ، الفقه ، الحساب ، التاريخ ، تفسير القرآن .

٣ ـ تشجيع الكبار ومدحهم للمتفوقين يزيد من دافعيتهم، مثال ذلك ما قاله ابن مسعود : «نعم ترجمان القرآن ابن عباس» .

(١) سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٥٤ .

٤ ـ إن تعدد الشهادات التي تثبت تفوق ابن عباس يُزيد التأكيد على تفوقه ونبوغه في مجتمعه، وتجدر الإشارة إلى أن ما ذكرته في هذا البحث من شهادات الصحابة تعتبر غيضاً من فيض .

## دور الأسرة في توجيه ابن عباس:

لقد كان لأسرة ابن عباس دور مهم في تربيته وتنشئته التنشئة السليمة . فقد سلمه والده منذ صغره للنبي -عليه أفضل الصلاة والسلام- وجعله يرافقه وينهل من علمه ويتحلى بأخلاقه . وقد وردت أحاديث كثيرة تبين أنه كان ينام في بيت النبي عليه الصلاة والسلام . أضف إلى ذلك أنه ابن عم رسول اللّه عليه أفضل الصلاة والسلام .

وقد ثبت أن النبي -عليه الصلاة والسلام- كان يداعبه ويردفه معه على راحلته ويستقبله إذا رجع من الغزو ويصطحبه معه إلى صلاة العيد رغم صغر سنه، كما أن ابن عباس قد رأى جبريل في مجلس الرسول عليه الصلاة والسلام[١] .

وقد كان لمصاحبته النبي -عليه الصلاة والسلام- أعظم الأثر في تربيته وتوجيهه منذ نعومة أظفاره .

ولم يغفل العباس -رضي اللّه عنه- عن توجيه ابنه مع ما أنعم اللّه عليه من علم وذكاء، فعندما رأى أن عمر بن الخطاب يدنيه ويقربه مع كبار الصحابة خاف أن تزل قدمه عند عمر فأخذ يوصيه ويوجهه .

عن مجالد حدثني عامر الشعبي عن ابن عباس قال لي أبي : أي بني إني أرى أمير المؤمنين يدعوك ويقربك ويستشيرك مع أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم . فاحفظ عني ثلاث خصال ، اتق اللّه ولا يجربّن عليك كذبه

---

(١) عبداللّه بن عباس ، ص ٤٣ ـ ٤٨ .

ولا تفشي له سراً ، ولا تغتابن عنده أحداً ، قال عامر : فقلت لابن عباس : كل واحدة خير من ألف : قال كل واحدة خير من عشرة آلاف [(١)] .

ولنا في سيرة الصحابة وطريقة تنشئتهم لأبنائهم دروس عديدة لعل من أهمها :

١ ـ أهمية رعاية وتنشئة الأطفال منذ الصغر وقديماً قالوا : العلم في الصغر كالنقش على الحجر .

٢ ـ مشروعية اصطحاب المعلم تلميذه أو قريبه الذي يتعلم على يديه إلى بيته .

٣ ـ إن التربية ليست نقل معلومات فقط ، وإلا لرأينا النبي –عليه الصلاة والسلام– يعطي ابن عباس ما يشاء من المعلومات ولا يكلفه أن يصاحبه ويبيت عنده في بيته ، وهنا يتبين أن التربية قد عرفت في ذلك العصر بمفهومها الحديث وهو تعديل سلوك المتعلم .

٤ ـ مراعاة نفسية الطفل وإدخال السرور إليه بمداعبته واصطحابه واستقباله بعد الرجوع من السفر . ومما يساعد في إدخال السرور إلى نفسية الطفل شراء الألعاب التي يجب أن تكون مما يتحدى قدرات الطفل العقلية وأن تكون مما يحتاج إلى تفكيك وتركيب والتي تستدعي عند الطفل حب الاستكشاف .

٥ ـ من أهم الأمور التربوية أن نغرس في نفسية الطفل حب الرسول عليه الصلاة والسلام ، وأن يتخذ النبي عليه الصلاة والسلام قدوة له . مما يجعل الطفل يفتخر بانتمائه لخير البشرية جمعاء .

٦ ـ إن دور الأسرة لا ينتهي بوصول الطفل إلى سن الرشد مثلاً والاعتماد

---

(١) الحلية ١/ ٣١٨ ، فضائل الصحابة ، ص٩٥٧ .

على نفسه ، بل إن دور الأسرة يبقى دوراً توجيهياً مثلما فعل العباس رضي اللّه عنه عندما وجه ابنه عبداللّه وأخبره كيف يتعامل مع الخليفة .

## أبرز خصائص التفوق لديه :

لقد تميّز عبداللّه بن عباس بكثير من الصفات التي تدل على تفوقه وحرصه على طلب العلم ، ولعل من أبرزها :

### ١ ـ الالتزام بالمهمة والإصرار على طلب العلم :

يقول ابن عباس : كان إذا بلغني الحديث عند رجل من صحابة رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ، أتيت باب بيته في وقت قيلولته وتوسدت ردائي عند عتبة داره ، فيسفي علي الريح من التراب ما يسفي ، ولو شئت أن أستأذن عليه لأذن لي . وإنما كنت أفعل ذلك لأطيب نفسه فإذا خرج من بيته رآني على هذه الحالة ، وقال يابن عم رسول اللّه ، ما جاء بك ؟! هلا أرسلت إليَّ فآتيك [١] ؟ .

### ٢ ـ الدافعية للمستقبل واستغلال المواقف :

روى جرير عن حازم عن يعلى بن حكيم ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : لما توفي رسول اللّه -صلى اللّه عليه وسلم- ، قلت لرجل من الأنصار : هلمَّ نسأل أصحاب رسول اللّه -صلى اللّه عليه وسلم- ، فإنهم اليوم كثير ، فقال : واعجباً لك يابن عباس أترى الناس يحتاجون إليك ، وفي الناس من أصحاب النبي -عليه السلام- من ترى ؟ فترك [٢] ذلك . وأقبلت على المسألة ، فإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل ، فآتيه وهو قائل ، فأتوسد ردائي على بابه ، فتسفي الريح عليَّ التراب ، فيخرجُ ، فيراني ، فيقول : يابن عم رسول اللّه ! ألا

(١) سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٤٣ .

(٢) المرجع السابق .

أرسلت إليَّ فآتيك ؟ فأقول : أنا أحق أن آتيك ، فأسألك . قال : فبقي الرجلُ حتى رآني وقد اجتمع الناس عليَّ ، فقال : هذا الفتى أعقلُ مني (١) .

### ٣ ـ الحرص على الإتقان مع سرعة الإنجاز :

قال هشيم : أخبرنا أبو بشر عن سعيد عن ابن عباس قال : جمعت المحكم في عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأنا ابن عشر (٢) .

روى عبدالملك بن أبي سليمان ، عن سعيد بن جبير ، قال : كان ناس من المهاجرين قد وجدوا على عمر في إدنائه ابن عباس دونهم . فقال عمر : أما إني سأريكم اليوم منه ما تعرفون فضله ، فسألهم عن هذه السورة : ﴿ **إذا جاء نصر الله** ﴾ . فقال بعضهم : أمر الله نبيه إذا رأى الناس يدخلون في الدين أفواجاً أن يحمده ويستغفره . فقال عُمر : يا ابن عباس ، تكلم . فقال : أعلمهُ متى يموت ، أي : فهي آيتك من الموت ، فسبح بحمد ربِّك واستغفره (٣) .

عن يحيى بن يمان : عن عبد الملك بن أبي سليمان ، عن سعيد بن جبير قال : قال عُمر لابن عباس : «لقد علمت علماً ما علمناه» (٤) .

ومن شدة حرصه على الدقة في صحة ما يتعلم ما نُقل عنه ، فقد روى يزيد ابن إبراهيم عن سليمان الأحول ، عن طاووس عن ابن عباس ، قال : إن كنت لأسأل عن الأمر الواحد ثلاثين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم (٥) .

ومع شدة حرصه في السؤال لكل ما يتعلمه فقد أتقن علوماً شتى كان

---

(١) إسناده صحيح ، (في سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٤٣ ، فضائل الصحابة ، ص ٩٧٧ .
(٢) إسناده صحيح أخرجه أحمد ١/ ٢٥٣ في (سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٣٥) ، معرفة القراء الكبار ، ص ٤١ .
(٣) أخرجه البخاري في المناقب في (سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٤٣) ، الحلية ١/ ٣١٧ .
(٤) أخرجه البلاذري ٣/ ٣٧ في سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٤٥ .
(٥) إسناده صحيح (في سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٤٤) .

مصدرها التحصيل المتقن والبناء السليم والمعلومات الصحيحة حتى أقبل عليه الناس وأصبح بمثابة جامعة شاملة للعلوم والمعارف .

عن عطاء قال : كان ناس يأتون ابن عباس في الشعر والأنساب وناس يأتون لأيام الحرب ووقائعها ، وناس يأتون للعلم والفقه ، ما منهم صنف إلا يُقبل عليهم بما شاؤوا [١] .

وذكر عبيدالله بن عبدالله عن ابن عباس :

« . . . لقد كان يجلس يوماً ولا يذكر فيه إلا الفقه ويوماً التأويل ويوماً المغازي ويوماً الشعر ويوماً أيام العرب ولا رأيت عالماً قط يجلس إليه إلا خضع له وما رأيت سائلاً قط سأله إلا وجد عنده علما» [٢] .

**٤ ـ العمر العقلي أكبر من العمر الزمني :**

وكما رأينا في الحديث السابق كيف استطاع ابن عباس أن يفهم ويفسر ﴿ **سورة النصر** ﴾ مع حداثة سنه في حين لم يتوصل كبار الصحابة إلى عمق فهمها وسر مغزاها . مما جعل عمر بن الخطاب يدنيه ويقربه مع كبار الصحابة .

وقد أصبح ابن عباس مستشاراً للخلافة الراشدة رغم حداثة سنه فكان إذا عرض لعمر بن الخطاب أمر أو واجهته معضلة دعا شيوخ الصحابة ودعا معهم عبدالله بن عباس ، فإذا حضر رفع منزلته وأدنى مجلسه وقال له :

« لقد أعضل علينا أمر أنت له ولأمثاله » .

وقد عوتب مرة في تقديمه له وجعله مع الشيوخ ، وهو ما زال فتىً ، فقال : «إنه فتى الكهول ، له لسان سؤول وقلب عقول»[٣] .

---

(١) الاستيعاب ٣/ ٩٣٩ .
(٢) أسد الغابة ٣/ ١٩٣ .
(٣) صور من حياة الصحابة ٣/ ٥٩ .

كما روى الأعمش، عن مسلم بن صبيح عن مسروق ، عن عبدالله بن مسعود ، قال : «لو أدرك ابن عباس أسناننا ما عاشرهُ منا أحد» [(١)] .

وروى الأعمش ،عن إبراهيم ، قال : قال عبدالله : « لو أن هذا الغلام أدرك ما أدركنا ما تعلقنا معه بشيء » .

روى عاصم بن كليب ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : دعاني عمر مع الأكابر، ويقول لي : لا تتكلم حتى يتكلموا ، ثم يسألني ، ثم يقبل عليهم، فيقول: ما منعكم أن تأتوني بمثل ما يأتيني به هذا الغلام الذي لم تستو شؤون رأسه[(٢)] .

## ٥ ـ قوة الذاكرة:

قال المبرد: ويروى أن ابن الأزرق أتى ابن عباس فجعل يسأله حتى أمله ، فجعل ابن عباس يظهر الضجر ، وطلع عمر بن عبدالله بن أبي ربيعة على ابن عباس وهو يومئذ غلام ، فسلم وجلس ، فقال له ابن عباس : ألا تنشدنا شيئاً من شعرك ؟ فأنشده :

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر

غداة غدٍ أم رائح فمهجر

حتى أتمها وهي ثمانون بيتاً ، فقال له ابن الأزرق : للّه أنت يا ابن عباس ، أنضرب إليك أكباد الإبل نسألك عن الدين ، فتعرض؟ ! ويأتيك غلام من قريش فينشدك سفهاً فتسمعه ؟! فقال: تا للّه ما سمعت سفهاً ، فقال ابن الأزرق: أما أنشدك:

---

(١) صفة الصفوة ص ٣٨٤ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٤٥ ، صفة الصفوة ، ص ٣٨٠ ، فضائل الصحابة ، ص٩٧٠ .

رأت رجلاً أما إذا الشمس عارضت

فيخــزى وأما بالعشــي فيخســـر

فقال: ما هكذا، قال : إنما قال : فيضحى ، وأما بالعشي فيخصر . قال : أو تحفظ الذي قال ؟ قال : واللّه ما سمعتها إلا ساعتي هذه ، ولو شئت أن أردها لرددتها . قال: فارددها، فأنشده إياها (١) .

روى الواقدي ، حدثنا أبو بكر بن أبي سرة ، عن موسى بن سعد ، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص : سمعت أبي يقول : ما رأيت أحداً أحضر فهماً ، ولا ألب لباً ، ولا أكثر علماً ، ولا أوسع حلماً من ابن عباس ، لقد رأيت عمر يدعوه للمعضلات فيقول : قد جاءت معضلة ، ثم لا يجاوز قوله ، وإن حوله لأهل بدر (٢) .

## ٦ ـ قيادته لمعظم الوقائع التي يشارك فيها:

- تقديم عمر بن الخطاب لابن عباس على كثير من كبار الصحابة .
- تقديم عمر بن الخطاب لرأي ابن عباس على آراء كبار الصحابة في كثير من المواقف ، مما يدل على اتجاه الأنظار إليه في كل مجلس شورى.
- في الإصابة أن علياً ولى ابن عباس البصرة فلم يزل بها حتى قُتل علي . فاستخلف على البصرة عبداللّه بن الحارث ومضى إلى الحجاز ، ولقد كان ابن عباس في إمارته يسعى إلى تثقيف الناس وتعليمهم معاني القرآن وبخاصة في رمضان(٣) .

---

(١) شرح الكامل ٧/ ١٦٥ - ١٦٦ في (ابن عباس ، ص ١٨٣) .
(٢) رجال حول الرسول ، ص ٧١٧ .
(٣) عبداللّه بن عباس ، ص ١٦٠ .

- وقد وصف صعصعة بن صوحان ابن عباس حين إمارته على البصرة عندما سأله علي بنَ أبي طالب فقال صعصعة : يا أمير المؤمنين ، إنه آخذ بثلاث وتارك لثلاث . آخذ بقلوب الرجال إذا حدث ، وبحسن الاستماع إذا حُدث ، وبأيسر الأجرين إذا خولف ، وتارك المراء ، ومقارنة اللئيم ، وما يعتذر منه(١) .

- وقد ثبت أنه تولى إمارة إحدى المواسم كما جاء في حديث أبي وايل قال : «خطبنا ابن عباس ، وهو أمير على الموسم . . . » (٢) .

- عن ابن إسحاق عن سيف قال : قالت عائشة من استعمل على الموسم ؟ قالوا : ابن عباس ، قالت : هو أعلم بالسنة (٣) .

يتبين من الأحاديث السابقة تولية ابن عباس للإمارة في أكثر من مرة ، حتى ظهرت قدرته في الإدارة .

وإن الناظر إلى تولية ابن عباس الإمارة يخرج بعدة نقاط أهمها :

- تفوق ابن عباس في القيادة مما جعله يتولى الإمارة أكثر من مرة .
- من وسائل تنمية قدرات ومواهب الفائقين إفساح المجال لهم في المجالات التي لم يظهر فيها تفوقهم بشكل واضح .
- مشروعية طلب المتفوق للقيادة لكي يستطيع أن يُصلح ويُوجه من كرسي الكلمة المسموعة ولعل خير دليل على ذلك ما فعله سيدنا يوسف عندما طلب أن يتولى القيادة :

﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ (٥٥) ﴾ (يوسف) .

---

(١) البداية والنهاية ٨/ ٣٠٠ في (عبدالله بن عباس ، ص ١٦١) .
(٢) الاستيعاب ٣/ ٩٣٦ ، ويقصد أنه كان أميراً على قافلة الحج .
(٣) إسناده صحيح في فضائل الصحابة ، ص ٩٥٤ .

فمن واجب المتفوق أن يسعى للإصلاح ما استطاع إليه سبيلاً، وهذا ما فعله ابن عباس في إمارته، حيث كان يسعى إلى تثقيف الناس وتعليمهم وبخاصة في شهر رمضان المبارك .

**٧ ـ قوة تأثيره وإقناعه :**

روى يعقوب بن سفيان بإسناد صحيح عن أبي وائل قال : قرأ ابن عباس سورة النور ، ثم جعل يفسرها ، فقال رجل :

«لو سمعت هذا الديلم لأسلمت» (١) .

وروى الأعمش قال : حدثنا أبو وائل قال : خطبنا ابن عباس ، وهو أمير على الموسم ، فافتتح سورة النور ، فجعل يقرأ ، ويفسر ، فجعلت أقول ما رأيت ولا سمعت كلام رجل مثل هذا ، لو سمعته فارس ، والروم والترك ، لأسلمت (٢) .

وعن طاووس قال : «أدركت نحواً من خمسمائة من الصحابة ، إذا ذاكروا ابن عباس ، فخالفوه ، فلم يزل يقررهم حتى ينتهوا إلى قوله» (٣) .

بعث به الإمام علي ـ كرم اللّه وجهه ـ ذات يوم إلى طائفة كبيرة من الخوارج فدار بينه وبينهم حوار رائع وجَّه فيه الحديث وساق الحجة بشكل يبهر الألباب .

ومن ذلك الحوار الطويل نكتفي بهذه الفقرة . .

سألهم ابن عباس :

[ ماذا تنقمون من علي . . ؟؟]

---

(١) سير أعلام النبلاء ٣ / ٣٣٧ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٣ / ٣٥١ ، الاستيعاب ٣/ ٩٣٦ .

(٣) رجال حول الرسول، ص ٧٢٠ .

قالوا :

[ننقم منه ثلاثاً :

«أولاهن : أنه حكَّم الرجال في دين اللّه ، والله يقول : إن الحكم إلا للّه . .

والثانية : أنه قاتل ، ثم لم يأخذ من مقاتليه سبياً ولا غنائم ؛ فلئن كانوا كفاراً ، فقد حلَّت له أموالهم ، وإن كانوا مؤمنين ، فقد حرمت عليه دماؤهم . . !

والثالثة : رضي عند التحكيم أن يخلع عن نفسه صفة أمير المؤمنين ، استجابة لأعدائه ، فإن لم يكن أمير المؤمنين ، فهو أمير الكافرين . . ] .

وأخذ ابن عباس يُفَنّد أهواءهم ، فقال :

[أما قولكم : إنه حكَّم الرجال في دين اللّه ، فأي بأس . . ؟

إن اللّه يقول :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ (المائدة) .

فنبئوني باللّه : أتحكيم الرجال في حقن دماء المسلمين أحق وأولى ، أم تحكيمهم في أرنب ثمنها ربع درهم ؟!

وتلعثم زعماؤهم تحت وطأة هذا المنطق الساخر والحاسم . . واستأنف حبر الأمة حديثه :

وأما قولكم : إنه قاتل فلم يسب ولم يغنم ، فهل كنتم تريدون أن يأخذ عائشة زوج الرسول وأم المؤمنين سبياً ، ويأخذ أسلابها غنائم . . ؟ ؟

وهنا كست وجوههم صفرة الخجل ، وأخذوا يوارون وجوههم بأيديهم . . وانتقل ابن عباس إلى الثالثة :

وأما قولكم : إنه رضي أن يخلع عن نفسه صفة أمير المؤمنين ، حتى يتم

التحكيم ، فاسمعوا ما فعله رسول اللّه يوم الحديبية ، إذ راح يُملي الكتاب الذي يقوم بينه وبين قريش ، فقال للكاتب : اكتب . هذا ما قاضى عليه محمد رسول اللّه . . فقال مبعوث قريش : واللّه لو كنا نعلم أنك رسول اللّه ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك .

فاكتب : هذا ما قاضى عليه محمد بن عبداللّه . . فقال لهم الرسول : واللّه إني لرسول اللّه وإن كذبتم . . ثم قال لكاتب الصحيفة : اكتب ما يشاؤون : اكتب : هذا ما قاضى عليه محمد بن عبداللّه] . !

واستمر الحوار بين ابن عباس والخوارج على هذا النسق الباهر المعجز . . وما كاد ينتهي النقاش حتى نهض منهم عشرون ألفاً ، معلنين اقتناعهم ، ومعلنين خروجهم من خُصومة الإمام علي . . ! ! (١)

يعجز القلم ويتوقف الفكر ليجسِّد لنا تلك المحنة التي حدثت في أواخر عهد الخليفة عثمان بن عفان وعهد علي بن أبي طالب رضي اللّه عنهما وما حدث من ظهور فرقة الخوارج وانضمام ألوف من المسلمين إلى هذه الفرقة وتحاملهم على الخليفة علي بن أبي طالب .

وفي هذه المحنة وغيرها من المحن تحتاج الأمم إلى المتفوقين الأذكياء ليخرجوها مما هي فيه أو ليخففوا عنها وطأة كوارث الحياة . ورأينا كيف استطاع ابن عباس أن يحاور الخوارج ويفحمهم ويلزمهم الحجة ليرجع منهم عشرون ألفاً إلى الصف الإسلامي . . إنها رجاحة العقل وقوة الحجة وغزارة العلم ، وهذا النوع من المتفوقين لا نستطيع إيجاده ما بين عشية وضحاها . إنه نتيجة تربية ورعاية استمرت سنين طويلة ، ومن هنا ندرك أهميـــة رعاية المتفوقين منذ نعومة أظفارهم ، وتنمية مواهبهم ، فلا تنهض الأمم إلا على أكتاف أبنائها .

---

(١) رجال حول الرسول ، ص ٧٢٠ .

**٨ ـ قوة إرادته وتحديه للعمى :**

قال ابن عبد البر في ترجمة ابن عباس إنه قال عندما أصابه العمى :

إن يأخذ اللّه من عيني نورهما ففي لساني وقلبي منهما نور
قلبي ذكي وعقلي غير ذي دخل وفي فمي صارم كالسيف مأثور (١)

وعن عكرمة ، قال : كان ابن عباس في العلم بحراً ينشق له الأمر من الأمور ، **وقد قال النبي صلى اللّه عليه وسلم : "اللهم ألهمه الحكمة وعلّمه التأويل"** فلما عمي ، أتاه الناس من أهل الطائف ومعهم علم من علمه ـ أو قال كتب من كتبه ـ فجعلوا يستقرئون ، وجعل يقدم ويؤخر ، فلما رأى ذلك ، قال إني قد تلهت (٢) من مصيبتي هذه ، فمن كان عنده علم من علمي ، فليقرأ علي ، فإن إقراري له كقراءتي عليه . قال : فقرؤوا عليه (٣) .

إن المتفوقين يحملون رسالة عظيمة أودعهم إياها معلم البشرية محمد بن عبداللّه –عليه أفضل الصلاة والسلام– عندما قال : **"العلماء ورثة الأنبياء"** .

فعلى العالم أن يسعى إلى تعليم الناس ما يعرفه من علم ومهارات وألا يستكين لما قد يصيبه من كوارث الحياة ، لأن المتفوق يمتلك الثقة العالية بقدراته التي تجعله يتخطى جميع العقبات ، وهذا ما فعله ابن عباس عندما تحدى العمى وأقنع نفسه أن العين ليست كل شيء فهناك اللسان والقلب والعقل والإرادة القوية ، وذلك كله بعد الالتجاء إلى اللّه وطلب التوفيق منه .

**٩ ـ الذكاء والفطنة :**

لقد كان –رضي اللّه عنه– يتمتع بذكاء وفطنة وسرعة بديهة برزت في كثير

(١) سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٥٧ .
(٢) تلهت : تحيرت ، والأصل ولهت .
(٣) سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٥٤ .

من مواقف حياته ، وتفوق بفراسته في بعض المواقف على كثير من الصحابة ولعل من بينهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الذي وافق رأيه القرآن في أكثر من موضع، كما أعجب بذكائه الخليفة الرابع علي بن أبي طالب في بعض الحوادث التي خالفه فيها .

عن يزيد بن الأعصم عن ابن عباس قال : قدم على عمر رجل ، فجعل عمر يسأله عن الناس فقال : يا أمير المؤمنين، قد قرأ القرآن منهم كذا وكذا ، فقلت : واللّه ما أحب أن يسارعوا يومهم هذا في القرآن هذه المسارعة ، قال فزبرني عمر ثم قال : مَهْ ، فانطلقت إلى منزلي مكتئباً حزيناً ، فقلت : قد نزلت من هذا بمنزلة ولا أراني إلا سقطت من نفسه ، فاضطجعت على فراشي حتى عادني نسوة أهلي وما بي وجع ، فبينما أنا على ذلك قيل لي : أجب أمير المؤمنين، فخرجت فإذا هو قائم على الباب ينتظرني ، فأخذ بيدي ثم خلا بي فقال : ما الذي كرهت مما قال الرجل آنفاً ؟ قلت : يا أمير المؤمنين إن كنت أسأت فإني أستغفر اللّه وأتوب إليه ، وأنزل حيث أحببت ، قال : لتخبرني، قلت : متى ما يسارعوا هذه المسارعة يحتقوا ، ومتى ما يحتقوا يختصموا، ومتى ما اختصموا يختلفوا، ومتى ما يختلفوا يقتتلوا ، قال : للّه أبوك لقد كنت أكتمها الناس حتى جئت بها [١] .

وأخرج الحاكم عن ابن عباس رضي اللّه عنهما قال : كنت قاعداً عند عمر بن الخطاب -رضي اللّه عنه- إذ جاءه كتاب أن أهل الكوفة قد قرأ منهم القرآن كذا وكذا ، فكبّر رحمه اللّه ، فقلت : اختلفوا ، فقال : أف ! وما يدريك؟ قال: فغضب فأتيت منزلي ، قال : فأرسل إليّ بعد ذلك فاعتللت له .

فقال : عزمت عليك إلا جئت ، فأتيته فقال : كنت قلت شيئاً ، قلت : أستغفر اللّه ، لا أعود لشيء بعدها ، فقال : عزمت عليك إلاّ أعدت علي الذي قلت ، قلت : قلت : كتب إليّ أنه قد قرأ القرآن كذا وكذا ، فقلت: اختلفوا ،

---

(١) سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٤٨ .

قال : ومن أي شيء عرفت ؟ قلت : قرأت :

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ (٢٠٥) ﴾ (البقرة)

فإذا فعلوا ذلك لم يصبر صاحب القرآن، ثم قرأت :

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ (٢٠٦) وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ (٢٠٧) ﴾ .

قال : صدقت والذي نفسي بيده (١) .

عن ابن علية قال : حدثنا أيوب ، عن عكرمة : أن علياً حرق ناساً ارتدوا عن الإسلام ، فبلغ ذلك ابن عباس ، فقال : لم أكن لأحرقهم أنا بالنار ، إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال "**لا تعذبوا بعذاب الله**" وكنت قاتلهم لقوله صلى الله عليه وسلم : "**من بدّل دينه فاقتلوه**" فبلغ ذلك علياً ، فقال : ويح ابن أم الفضل ، إنه لغواص على الهنات (٢) .

ومما يبين حنكته السياسية ونظرته الثاقبة للأمور ما حدث بينه وبين الإمام علي عندما ولاه الشام فرفض ذلك في بادئ الأمر ، وأشار عليه أن يكتب إلى معاوية ، وكأن ابن عباس كان يتوقع ما حدث من فتنة لا يسعنا في هذا المجال إلا أن نقول كما قال العلماء : «إنها فتنة عصم الله منها دماءنا فلنعصم منها ألسنتنا» .
وإنما أوردنا هذه الحادثة لنقف على ما كان يتمتع به ابن عباس من نظرة ثاقبة لعواقب الأمور.

---

(١) حياة الصحابة : ٣/ ٧٥٢-٧٥٣ . في (عبدالله بن عباس ، ص ٦٠) والآيات من سورة البقرة (٢٠٦-٢٠٧) .
(٢) سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٤٦ .

عن عبيدالله بن عبدالله ، عن ابن عبـاس ، انه قال لعليّ لما قال : سر فقد وليتك الشام ، فقال : ما هذا برأيي ، ولكن اكتب إلى معاوية فمنّه ، وعده ، قال : لا كان هذا أبداً (١) .

وجاء في سير أعلام النبلاء أن علياً لما بُويع قال لابن عباس : اذهب على إمرة الشام . فقال : كلا ، أقل ما يصنع بي معاوية إن لم يقتلني الحبس ، ولكن استعمله ، وبين يديك عزلُه بعد ، فلم يقبل منه (٢) .

عن سعيد بن جبير أن معاوية كتب إلى ابن عباس يسأله عن ثلاثة أشياء وقال : إن هرقل كتب إلى معاوية يسأله عنهن ، فقال معاوية فمن لهذا ؟ قيل : ابن عباس ، فكتب إلى ابن عباس يسـأله عن المجرة ، وعن القوس ، وعن مكان من الأرض طلعت فيه الشـمس لم تطلع قبل ذلك اليوم ولا بعـده ، فقال ابن عباس : أما المجـرة فباب السماء الذي تنشق منه ، وأما القوس فأمان لأهل الأرض من الغرق ، وأما المكان الذي طلعت فيه الشمس لم تطلع قبل ذلك اليوم ولا بعده فالمكان الذي انفرج من البحر لبني إسرائيل (٣) .

## جوابه لملك الروم:

قال المبـرد : حـدثني بعض الهاشـميين أن ملك الروم وجه إلى معاوية بقارورة، فقال : ابعث إليّ فيها من كل شيء ، فبعث إلى ابن عباس ، فقال : لتملأ له ماء ، فلما ورد بها على ملك الروم قال : لله أبوه ما أدهاه ، فقيل لابن عباس : كيف اخترت ذلك ؟ فقال : لقول الله عز وجل :

---

(١) سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٤٩ .

(٢) إسناده صحيح ، وأخرجه البخاري ٦/ ١٠٦ في الجهاد . وفيه «فبلغ ذلك علياً ، فقال : ويح ابن عباس» ، قال الخطابي : قوله : «ويح ابن عباس» : لفظة لفظ الدعاء عليه ، ومعناه المدح له ، والإعجاب بقوله ، وهذا كقول الرسول صلى الله عليه وسلم في أبي بصير : «ويل أمه مسعر حرب» ، ولفظ البلاذري ٣/ ٣٥ : «فبلغ ذلك علياً ، فقال : لله در ابن عباس» (في سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٤٦) .

(٣) سير أعلام النبلاء ٣ / ٣٤٩ .

﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ (الأنبياء: ٣٠) [١] .

### ١٠ ـ الرغبة للتفوق في عدة مجالات :

#### أ ـ الجهـــاد :

لم يمنعه طلب العلم وتدريسه من الجهاد والبحث عن الشهادة حيث إن الجهاد في عصره كان مظهراً من مظاهر التفوق وقد اشترك في عدة معارك منها فتح مصر الذي أبلى فيه بلاءً حسناً وقد كان حريصاً على أن يعفر وجهه بتراب الغزو في سبيل اللّه ، واشترك في فتح بلاد طبرستان بقيادة سعيد بن العاص ، وكان على ميسرة جند علي بن أبي طالب في صفين . وكان معاوية يقدره على رغم اختلافه في الرأي ، وقد أشركه في الجيش الذي أعده لفتح القسطنطينية عام ٤٨ هجري [٢] .

كما ذكرنا في الفصل الأول أن الجهاد مظهر من مظاهر التفوق في ذلك العصر فلا يمكن ألا يكون لابن عباس فيه باع رغم ما عرفنا من تفوقه في كثير من مجالات الحياة ، ويمكننا في هذا الموضع أن نستخلص فائدة وهي أن المتفوق في مجال ما عادة ما يظهر بعض العلامات التي تدل على إمكانية تفوقه في مجالات أخرى .

#### ب ـ العبـــادة :

- عن طاووس قال : ما رأيت أحداً أشد تعظيماً لحرمات اللّه من ابن عباس [٣] .

---

(١) الحادثة في : سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٥٣ .
(٢) أعلام المسلمين ، ص ١٥٠ .
(٣) الحلية ٣/ ٣٢٩ ، سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٤٢ .

- وروى أبو عامر الخزاز : عن ابن أبي مليكة : صحبت ابن عباس من مكة إلى المدينة ، فكان يصلي ركعتين ، فإذا نزل ، قام شطر الليل ، ورتل القرآن حرفاً حرفاً ، ويكثر في ذلك من النشيج والنحيب [١] .

- وعن معتمر بن سليمان : عن شعيب بن درهم عن أبي رجاء قال : «رأيت ابن عباس وأسفل من عينيه مثل الشراك البالي من البكاء»[٢] .

- وورد عن ابن عباس أنه كان يصوم الإثنين والخميس عملاً بحديث أبي هريرة عن النبي -عليه الصلاة والسلام- قال : "**تعرض الأعمال يوم الإثنين والخميس، فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم**" [٣] .

من أعظم ما يحتاج الناس إليه صغاراً أو كباراً الاستقرار النفسي والأمن ، والشعور بالانتماء ، وذلك ما تحققه عبادة اللّه عز وجل، فالإنسان إذا خاف من شيء ما فإنه يهرب منه ويحاول أن يتجنب مقابلته مما يسبب له القلق والتوتر النفسي ، أما الخائف من اللّه فإنه يلتجئ إلى اللّه ويطلب مغفرته وعونه على تكاليف الحياة ، فيستقر نفسياً وعصبياً وبخاصة إذا ما تذكر قول اللّه تعالى :

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (١٨٦)﴾ (البقرة) .

ومن فوائد العبادة أنها ترقق القلب وتلزمه التواضع وتشعره بحاجات الآخرين مما يسهل على الإنسان التوافق الاجتماعي . ولعل هذا يقودنا إلى تفوق ابن عباس في الكرم ومساعدة المحتاج .

**جـ - الكرم :**

لقد تعددت أوجه التفوق لدى ابن عباس ، فكان مما برز فيه صفة الكرم

---

(١) الحلية ٣/ ٣٢٧ ، سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٥٢ .

(٢) أسد الغابة ٣/ ١٩٤ ، فضائل الصحابة ، ص٩٧٥ .

(٣) أخرجه الترمذي ، في سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٥٢ .

حتى إن المتمعن في بعض مواقفه يجد أنه يعطي عطاء من لا يخشى الفقر .

فقد روى إسحاق بن سليمان الرازي : سمعت أبا سنان ، عن حبيب ابن أبي ثابت : أن أبا أيوب الأنصاري أتى معاوية ، فشكا ديناً ، فلم ير منه ما يحب . فقدم البصرة ، فنزل على ابن عباس ، ففرغ له بيته ، وقال : لأصنعن بك كما صنعت برسول اللّه -صلى اللّه عليه وسلم- . ثم قال : كم دينك ؟ قال : عشرون ألفاً . فأعطاه أربعين ألفاً ، وعشرين مملوكاً ، وكل ما في البيت(١) .

عن عكرمة عن ابن عباس قال : لأن أعول أهل بيت من المسلمين شهراً أو جمعة أو ما شاء اللّه ، أحب لي من حجة بعد حجة ، ولطبق بدانق أهديه إلى أخ لي في اللّه أحب إليَّ من دينار أنفقه في سبيل اللّه عز وجل (٢) .

الكرم صفة حميدة يبرز خلالها كثير من الصفات مثل النخوة ومساعدة المحتاج وعدم الكبر والتعالي على الناس والإحساس بمشاكل غيرنا .

وهذه كلها صفات دعا إليها الإسلام وحث أتباعه على الالتزام بها لما لها من تأثير في نفوس الناس ، ولا يمكن إكسابها للطفل بمجرد محاضرة أو جلسة توجيهية إن لم يكن هناك تطبيق عملي يراه الطفل من والده ومعلمه وينشأ عليه منذ صغره .

**د ـ الحلم (العتبة الفارقة) :**

عن ابن بريدة قال : شتم رجل ابن عباس فقال ابن عباس : إنك لتشتمني وفيَّ ثلاث خصال : « إني لآتي على الآية من كتاب اللّه عز وجل ، فلوددت أن جميع الناس يعلمون منها ما أعلم ، وإني لأسمع بالحاكم من حكام المسلمين يعدل في حكمه فأفرح به ولعلي لا أقاضي إليه أبداً ، وإني لأسمع أن الغيث قد أصاب بلداً من بلدان المسلمين فأفرح به ومالي به من سائمة» (٣) .

---

(١) فضائل الصحابة ٩٦٣ ، سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٥٢ .
(٢) صفة الصفوة ، ١/ ٣٨٤ .
(٣) صفة الصفوة ، ص ٣٨٢ ، الحلية ١ / ٣٢٢ .

ولقد شهد أصحاب ابن عباس بحلمه فعندما بلغ جابر بن عبدالله وفاة ابن عباس صفق بإحدى يديه على الأخرى وقال : مات أعلم الناس وأحلم الناس ، ولقد أصيبت هذه الأمة مصيبة لا ترتق (١) .

يتميز كثير من الناس بالذكاء والدهاء وبعض المواهب إلا أن سعة الصدر لا يكاد يمتلكها إلا القليل ، ويتبين لنا من الموقف السابق اتساع العتبة الفارقة عند ابن عباس ومدى تحمله ، بل إنه استطاع أن يتغلب على غضبه نتيجة الشتم ويقلب الموقف من موقف عداء إلى موقف نصح وتوجيه وتبيان أن حب الخير للجميع يجب أن يكون شعار كل مسلم .

وكما قال النبي عليه الصلاة والسلام :

**« ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»**(٢) .

وجدير بالمربين أن يعتنوا بتعليم من تحت أيديهم هذا الخلق الرفيع ، ويعودوهم على عدم الغضب ، لما له من أثر تربوي ونفسي يعود على النفس بالانشراح وتقبل الرأي المخالف وفتح مجال الحوار والمناقشة .

**هـ ـ تقدير العلماء :**

عن عمار بن أبي عمار ، أن زيد بن ثابت -رضي الله عنه- ركب يوماً فأخذ ابن عباس رضي الله عنه بركابه ، فقال : تنح يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : هكذا أُمرنا أن نفعل بعلمائنا وكبرائنا ، فقال زيد : أرني يدك فأخرج يده ، فقبلها ، فقال : هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا (٣) .

وجاء في حياة الصحابة أن ابن عباس كان جالساً في ظل القصر فأشار بيده

---

(١) صفة الصفوة ، ١/ ٣٨٤ .
(٢) متفق عليه في (السلوك الاجتماعي ، ص ٧٩) .
(٣) حياة الصحابة ٣/ ٣ في (عبدالله بن عباس ، ص ١٨٠) .

إلى قبر زيد بن ثابت وقال : هكذا يذهب العلم هل تدرون ما ذهاب العلم ؟ هو ذهاب العلماء من الأرض (١) .

وفي رواية ان ابن عباس لما دفن زيد بن ثابت حثا عليه التراب ثم قال : هكذا يدفن العلم (٢) .

يتساءل كثير من الناس في العصر الحديث لماذا انحطت الأمة الإسلامية وأصبحت في ذيل الأمم بعد أن كانت تقود الأمم وتسوسها ، إن الأسباب كثيرة وليس هذا موضوع بحثنا ، إلا أننا نقول لعل من الأسباب عدم تقدير المعلمين، فهذا ابن عباس يمسك لزيد بن ثابت راحلته حتى يركب بكل راحة ، وهذا التصرف من طالب العلم إلى معلمه، فاحترام المعلم وتقديره يزرع الثقة المتبادلة، ويجعل المعلم يخلص فيما يقدم ، ويتفانى في عمله لأنه يجد من يُقدِّر له عمله، وهذا وللأسف ما نفتقده في عصرنا الحالي بكل ما فيه من وسائل وأساليب تربوية حديثة .

## إنتاجه العلمي :

قال ابن حزم في كتاب «الإحكام في أصول الأحكام» : جمع أبو بكر محمد بن موسى بن يعقوب بن المأمون أحد أئمة الإسلام فتاوى ابن عباس في عشرين كتاباً (٣) .

توفي ابن عباس وفي مسنده ألف وستمائة وستون حديثاً ، وله من ذلك في الصحيحين خمسة وتسعون ، وتفرَّد البخاري له بمائة وعشرة أحاديث وتفرَّد مسلم بتسعة وأربعين (٤) .

---

(١) عبدالله بن عباس ، ص ١٨١ .
(٢) فضائل الصحابة ، ص ٩٦٠ .
(٣) سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٥٨ .
(٤) عبدالله بن عباس ، ص ١٣٧ .

وقد بلغ ابن عباس من مجد العلم غايته . فقد خرج خليفة المسلمين معاوية بن أبي سفيان ذات سنة حاجاً ، وقد كان معه موكب فيه رجال دولته ، وخرج عبدالله بن عباس حاجاً أيضاً ولم يكن له صولة ولا إمارة ، إلا أن موكب عبدالله بن عباس من طلاب العلم كان يفوق موكب الخليفة [١] .

وكما ذكرنا سابقاً كان جامعة ينهل منها طلاب العلم ، فقد ورد في التهذيب أنه قد روى عنه مئتان سوى ثلاثة أنفس [٢] .

وكان تنوع ثقافته ، وشمول معرفته مما يبهر الألباب . . فهو الحبر الحاذق الفطن في كل علم . . في تفسير القرآن وتأويله . . وفي الفقه . . وفي التاريخ . . وفي لغة العرب وآدابهم ، ومن ثم فقد كان مقصد الباحثين عن المعرفة، يأتيه الناس أفواجاً من أقطار الإسلام ، ليسمعوا منه ، وليتفقهوا عليه [٣] .

عن عبدالله بن عمر بن أبان الجعفي عن أبي صالح ، قال : لقد رأيت من ابن عباس مجلساً لو أن جميع قريش فخرت به لكان لها فخراً ، لقد رأيت الناس اجتمعوا حتى ضاق بهم الطريق ، فما كان أحد يقدر على أن يجيء ولا أن يذهب، قال فدخلت عليه فأخبرته بمكانهم على بابه، فقال لي : ضع لي وضوءًا، قال فتوضأ وجلس وقال: اخرج وقل لهم من كان يريد أن يسأل عن القرآن وحروفه وما أراد منه فليدخل . قال: فخرجت ، فدخلوا حتى ملؤوا البيت والحجرة فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به ، وزادهم مثل ما سألوا عنه أو أكثر. ثم قال : إخوانكم فخرجوا . ثم قال: اخرج فقل من أراد أن يسأل عن تفسير القرآن وتأويله فليدخل ، قال: فخرجت فأذنتهم فدخلوا حتى ملؤوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثل ما سألوه عنه أو أكثر . ثم قال : إخوانكم فخرجوا ، ثم قال: اخرج فقل من أراد أن يسأل عن الحلال

---

(١) الاستيعاب ٣/ ٩٣٥ .
(٢) سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٣٣ .
(٣) رجال حول الرسول ، ص ٧١٨ .

والحرام والفقه فليدخل . فخرجت فقلت : لهم قال : فدخلوا حتى ملؤوا البيت والحجرة ، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثله ، ثم قال : إخوانكم فخرجوا . ثم قال : اخرج فقل من أراد أن يسأل عن الفرائض وما أشبهها فليدخل قال : فخرجت فأذنتهم فدخلوا حتى ملؤوا البيت والحجرة ، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثله . ثم قال : إخوانكم فخرجوا . ثم قال : اخرج فقل : من أراد أن يسأل عن العربية والشعر والغريب من الكلام فليدخل . قال : فدخلوا حتى ملؤوا البيت والحجرة فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثله . قال أبو صالح : فلو أن قريشاً كلها فخرت بذلك لكان فخراً . فما رأيت مثل هذا لأحد من الناس [1] .

كثيراً ما يستدل بجودة الإنتاج على تفوق صاحبه وبراعته، وقد حق فعلاً لقريش أن تفخر بابن عباس بل حق للمسلمين أن يفخروا . . . وجدير بكل مرب أن يجعل ابن عباس مثلاً لأبنائه ليقتدوا به ويجعلوا من سيرته وطلبه للعلم نبراساً يهتدون به في زمن نحن أحوج ما نكون إلى القدوة .

كما يجدر بالمربين أن يُنوعوا ثقافات أبنائهم لما لذلك من أهمية في توسيع مدارك الطفل .

## وفاته :

توفي ابن عباس وعمره إحدى وسبعون سنة ملأ فيها الدنيا علماً وفهماً وحكمة وتقى ، وصلى عليه محمد بن الحنفية والبقية الباقية من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكبار التابعين .

وفيما كانوا يوارونه ترابه ، سمعوا قارئاً يقرأ :

﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾

(١) الحلية ١/ ٣٢٠ ، رجال حول الرسول ، ص ٧١٨ .

فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي (٣٠)﴾ (الفجر) (١) .

مات عبدالله بن عباس بالطائف سنة ثمان وستين في أيام ابن الزبير وكان ابن الزبير قد أخرجه من مكة إلى الطائف ، ومات بها وهو ابن سبعين سنة . وقيل إنه ابن إحدى وسبعين سنة ، وقيل : ابن أربع وسبعين سنة، وصلى عليه محمد بن الحنفية ، وكبّر عليه أربعاً ، وقال : اليوم مات رباني هذه الأمة ، وضرب على قبره فسطاطاً (٢)

---

(١) سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٥٨ .

(٢) الاستيعاب ٣/ ٩٣٤ ، أسد الغابة ٣/ ١٩٥ .

# الفصل الرابع

# خالد بن الوليد

## رضي الله عنه

# خالد بن الوليد (رضي الله عنه)

## نسبه ونشأته:

هو خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم القرشي المخزومي . سيف الله أبو سليمان . كان أحد أشراف قريش في الجاهلية، وكان إليه أعنة الخيل ، وشهد مع الكفار الحروب إلى عمرة الحديبية [١] .

كان والده أغنى أبناء زمانه في صفوف الثراء المعروفة بينهم كافة : الذهب والفضة والبساتين والكروم والتجارة والعروض والخدم والجواري والعبيد، وسمي من أجل ذلك بالوحيد ، ولقب من أجل ذلك بريحانة قريش[٢] .

وهو الذي قال فيه القرآن الكريم :

﴿ **ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (١١) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُودًا (١٢) وَبَنِينَ شُهُودًا (١٣) وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا (١٤)** ﴾ (المدثر).

لذلك لم يحترف خالد حرفة معينة تدر عليه شيئاً من المال ، وإنما اقتصر عمله منذ الصغر على تدريب الفروسية واستعمال السلاح، فكان يتفوق على أقرانه في ذلك واشتهر بين قومه بقدرته القتالية العالية وأيضاً قدرته القيادية .

وهنا تخطر لنا قصة لها علاقة بتفوق خالد على أقرانه منذ الصغر وهي قصة المصارعة بينه وبين عمر بن الخطاب وهما غلامان . فاستطاع خالد أن يغلب عمر بن الخطاب ويكسر ساقه في هذه المصارعة.

---

(١) الإصابة ١/ ٤١٣ .
(٢) عبقرية خالد ، ص ٢٤ .

وهذه القصة تنبئنا كما يقول عباس العقاد: «بدراية باكرة بفنون الصراع والكفاح»(١) .

ولقد تنبه الوليد بن المغيرة لقدرات ابنه القتالية وما يمتلك من شجاعة فأخذ يُهيؤه لمواطن القتال والفروسية منذ نعومة أظفاره . وما إن شب خالد واشتد ساعده حتى ولاه والده أمر القبة والأعنة (٢) رغم صغر سنه . والقبة هي خيمة عظيمة يضربونها ليجمعوا فيها عدة القتال ، والأعنه هي الخيل وفرسانها ، وولاية خالد هذه الوظيفة الموكلة إلى قبيلته بين بطون قريش جميعاً هي آية استعداده للرئاسة والقيادة منذ صباه .

ولم يقتصر خالد على تهيئة والده له بل أخذ يُهيئ نفسه على شظف العيش وما تحتاجه المعارك . فلا يوجد دافع أقوى من الدافع الذاتي الذي ينبع من ذات الشخص ليتخطى كل العقبات والمصاعب ، وفعلاً استطاع خالد أن يروّض نفسه على الخشونة في البادية ليستطيع بذلك تحمل مضانك الحرب وشدائد الجوع والظمأ .

جاء في بعض الأحاديث أن خالداً كان يأكل الضب ويشتهيه كما يأكله الأعراب ويشتهونه ، وهو أغنى الناس في مكة وممن يتفنون في أنواع الأطعمة .

**قال ابن عباس رواية عن خالد أنه دخل مع رسول اللّه على خالته ميمونة بنت الحارث فقدمت إلى رسول اللّه لحم ضب جاءها مع قريبة لها من نجد ، وكان رسول اللّه لا يأكل شيئاً حتى يعلم ما هو ، فاتفق النسوة ألا يخبرنه حتى يرين كيف يتذوقه ويعرفه إن ذاقه . فلما سأل عنه وعلم به تركه وعافه فسأله خالد : أحرام هو ؟ قال: ”لا.. ولكنه طعام ليس في قومي**

(١) عبقرية خالد ، ص ٢٨ .
(٢) التاريخ الإسلامي ٣/ ٧٢ ، أسد الغابة ٢/ ٩٣ .

**فأجدني أعافه ...» قال خالد: "فاجتررته إليَّ فأكلته ورسول اللّه ينظر" .**

كما كان لخالد علم بالبادية العربية من حيث أنه سافر كثيراً في الجزيرة قبل الإسلام ولعله عرف في تلك الأسفار دروبها العصيبة التي كان يطرقها من العراق إلى الحجاز ومن الحجاز إلى اليمن ومن نجد إلى الشام . ويقول العقاد: «وبعضها كان يعتسفه على عجل بغير أدلاء» .

كما يضيف العقاد قائلاً :

ولكن الأمر الموثوق به كل الثقة ، والذي لا موضع فيه لترجيح ولا استنتاج أن خالداً قد نشأ في الحاضرة أو البادية مستعداً للخشونة مستطيعاً لمعيشة الأعراب مستجيب السليقة والبيئة لما يتكلفه المجاهد في أوعر القفار وأعنف الحروب، وكانت له ضلاعة العصبيين الأقوياء المعهودين بين رجال السيف، وهي ضلاعة يوشك أن تستمد من حماسة النفس وشهامة القلب أضعاف ما تستمده من العضلات والأوصال .

وهذه الخشونة من تدريب النفس على المشاق وإجبارها على ما تكره قد سبق خالد بن الوليد بذلك نابليون عندما كتب تقريره وهو طالب في المدرسة الحربية يعيب على النظام يومئذ أنه يسمح لأبناء الأعيان بمعيشة الترف واستصحاب الخدم بين جدران المدرسة ، وهم أحرى بخدمة أنفسهم في مدرسة يتعلمون فيها الصبر على شدائد الحروب [١] .

## فروسيته في الجاهلية :

ومما يدلنا على تفوق خالد وبراعته في القتال ما ناله من سمعة وشهرة بين أقرانه من الشباب في الجاهلية وترشيح والده له لقيادة الخيل ولم يكن أكبر أبنائه . حيث ولاّه أمر القبة والأعنة كما ذكرنا سابقاً، ونستطيع أن نسميها في العصر الحديث (رابطة الفرسان ) وما إن اشتد ساعد خالد بن الوليد وبلغ مبلغ القادة

---

(١) عبقرية خالد، ص ٣٠ .

والفرسان حتى برز بدافعية قوية وعزيمة وشجاعة ظهرت فيها حنكة القائد وذلك في غزوة أحد بعد موت والده بسنتين . فقد كان قائد الميمنة مع الجيش المشرك في وقعة أحد وتولى الهجمة التي مالت بكفة النصر من جانب المسلمين إلى جانب المشركين .

وذلك أن النبي عليه الصلاة والسلام أقام الرماة من وراء جيشه وقال لهم : **"قوموا على مصافكم هذه واحموا ظهورنا فإن رأيتمونا قد انتصرنا فلا تشركونا، وإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا"** [1] . فلما ولى المشركون منهزمين وتبعهم المسلمون مغتنمين ، خالفت كثرة الرماة وصاية النبي وتصايحوا بينهم : «ما مقامنا ها هنا وقد انهزم المشركون» . فكانت هي الغرة التي استغلها خالد ، ولم تذهله عنها الهزيمة . فكرّ بالخيل وتبعه عكرمة بن أبي جهل صاحب الميسرة وداروا من وراء جيش المسلمين ، فحملوا على من بقي من الرماة فقتلوهم وقتلوا أميرهم عبد الله بن جبير ، وانتفضت صفوف المسلمين واستدارت رحاهم واختلطوا فصاروا يقتتلون على غير شعار ويضرب بعضهم بعضاً من العجلة والدهشة ، وشاع أن النبي صلى الله عليه وسلم قتل في المعركة ، وقتل فيها حمزة وسبعون من الأنصار ، وأرجف المرجفون بكبار الصحابة حتى ظن أبو سفيان أن أبا بكر وعمر من القتلى ، وصاح بين الصفوف : «يوم بيوم بدر والحرب سجال»[2] .

واشترك خالد في موقعة الأحزاب حيث جمعت قريش أغلب القبائل العربية وحاصرت المسلمين في المدينة ولم يمنعهم من دخولها إلا ذلك الخندق الذي وضعه المسلمون حولها [3] والذي أشار بحفره سلمان الفارسي ، حيث كان من الأساليب المتبعة عند الفرس ، ولم يكن معروفاً في قتال العرب .

---

(١) طبقات ابن سعد ٢/ ٤ .

(٢) عبقرية خالد ، ص ٣٧ .

(٣) خالد بن الوليد المخزومي ، ص ٦٠ .

وقد كان خالد في هذه الغزوة يطوف بخيله حول الخندق يلتمس مضيقاً يقحم منه الخيل، فأعياه وفشل عمرو بن ود حين حاول العبور من إحدى نواحيه. فلما حبطت حملة عمرو وقتله علي بن أبي طالب[١]، بات المشركون ليلتهم يقسمون كتائبهم لكل فريق من المسلمين كتيبة تدهمه مع الصباح، فكان خالد هو الموكل بالنبي عليه السلام في كتيبة من خيل قريش والأحزاب، فاندفع يقاتل، إلى أن تحاجز الفريقان ورجع المشركون وانصرف المسلمون إلى قبة النبي، فرجع خالد بعد هنية يطلب الغرة، وكاد يظفر بها لولا حرس من المسلمين بقيادة أسيد بن حضير تنبه له وفوت عليه غرضه. ثم انقطع القتال وهو لا يزال على الطلب والطواف، وكان آخر من ترك أرض المعركة بعد يأس الأحزاب من عبور الخندق ودخول المدينة، فلبث هو وعمرو بن العاص على مؤخرة الجيش في مائتي فارس رداءً للجيش كله، مخافة أن يتعقبه المسلمون[٢]، وهذا مما يدل على شجاعة خالد واستئثاره بالخطر دائماً دون جيشه.

كما تصدى خالد مرة أخرى للنبي عليه السلام في سنة الحديبية وهو في طريقه إلى مكة، وكان النبي قد خرج إليها معتمراً في نحو ألف وخمسمائة من المسلمين لا يحملون سلاحاً غير السيوف في القرب، فأوجس المشركون خيفة أن يكون قدومه إلى البيت الحرام للقتال لا للعمرة، وندبوا خالداً في مائتي فارس للقائه قبل بلوغ مكة. فدنا خالد حتى نظر إلى أصحاب رسول الله، وأمر رسول الله عباد بن بشر فتقدم في خيله وأقام بإزائه وصف من ورائهم رجاله، ثم حانت صلاة الظهر فصلى رسول الله بأصحابه صلاة الخوف، وهم خالد أن يغير عليه لولا نخوة من الفروسية أبت له العدوان على المسالم، وقال خالد يصف ذلك بعد إسلامه: «هممنا أن نغير عليه ثم لم يعزم لنا، وكان فيه خيرة، فاطلع على ما في أنفسنا من الهجوم به فصلى بأصحابه العصر صلاة الخوف، فوقع ذلك مني موقعاً، وقلت الرجل ممنوع»[٣].

(١) عبقرية خالد، ص ٣٨.
(٢) قادة فتح العراق والجزيرة، ص ٦٩.
(٣) عبقرية خالد، ص ٣٨.

ويجب أن نقف وقفة تأمل مع عداء خالد للإسلام وكراهيته له سواء في الحروب والقتال، وما فعله عندما دخل المسلمون مكة للعمرة فلم يستطع خالد تحمل ذلك فما كان منه إلا أن تغيب عن جوار البيت حتى اعتمر المسلمون ورجعوا من حيث أتوا وذلك لكي لا يرى الرسول -عليه الصلاة والسلام- وأصحابه يعتمرون وهم أنداده وعدوه وفي الوقت نفسه لا يستطيع محاربتهم.

فإن عداوته للإسلام لم تكن كراهية من ذلك النوع البغيض بل هي كما يقول العقاد: إنها من تلك الكراهية التي هي أقرب إلى المبارزة والمناجزة منها إلى المقت والضغينة [١].

## مهارة التفكير تقوده إلى الإسلام:

لقد كانت شجاعته ومهارته في القتال أحد الأسباب من وراء إسلامه، فقد بلغت به الثقة بنفسه وقدراته القتالية مبلغاً كبيراً يستطيع به الانتصار على أية قوة أمامه. وقد تم ذلك في الواقع وليس في الخيال، فكان ينتصر على أقرانه في الصغر، وفي غزوة أحد استطاع أن يقلب انتصار المسلمين إلى هزيمة.

إلا أن الأمر الذي قاده إلى الإسلام هو ذلك السؤال الذي يدور في ذهنه ويشغل تفكيره: كيف استطاع محمد وأصحابه الصمود رغم ضعفهم وقلة عددهم في معارك كثيرة منها بدر والأحزاب وهم الجانب الأضعف والأقل[٢] وهنا بدأ يبحث عن الأسباب، أهي قوة العقيدة أم قيادة محمد وحنكته السياسية، أم سمو ما يدعو إليه الرسول -عليه الصلاة والسلام- أم إلى تلك العوامل والأسباب جميعاً؟.

وظل هذا السؤال يشغل تفكير خالد بن الوليد طوال حروبه مع المسلمين. وعندما رأى انتصار المسلمين وظهور أمرهم هداه تفكيره الذي كان يتساءل

---

(١) عبقرية خالد، ص ٣٩.

(٢) المدرسة العسكرية، ص ١٦.

بتعجب ، كما يقول العقاد أن خالداً آمن باللّه لأنه علم من ذات نفسه أنه لم يغلبه إلا اللّه ، وكأنه كان يقول في قرارة ضميره : أيهزمني أحد وليس له مدد من النبوة ؟ أيعلو سيف على سيفي وليس له سر في السماء ؟ . فبلغ نهاية الإيمان بنفسه يوم بلغ بداية الإيمان باللّه (١) .

وقد خلا يوماً إلى نفسه وأخذ يفكر في أمر محمد وما صار إليه وكيف أنه بشجاعته وثقته العالية بقدرته القتالية مع جموع قريش وقبائل العرب لم تستطع أن تفعل شيئاً في غزوة الأحزاب . ومن هنا أدرك أن ما أتى به محمد بن عبداللّه حقاً وأنه رسول من رب العالمين . فقال قولته المعروفة : «واللّه لقد استقام المنسم وإن الرجل لرسول ، فحتى متى؟ أذهب واللّه ، فأسلم»(٢) .

ولنستمع إليه ـ رضي اللّه عنه ـ وهو يروي لنا قدومه ومبايعته للرسول عليه الصلاة والسلام :

« . . وودت لو أجد من أُصاحب ، فلقيت عثمان بن طلحة ، فذكرت له الذي أريد فأسرع الإجابة ، وخرجنا جميعاً فأدلجنا سحراً . . فلما كنا بالسهل إذا عمرو بن العاص ، فقال مرحباً بالقوم ، قلنا : وبك . .

قال : أين مسيركم ؟ فأخبرناه ، وأخبرنا أيضاً أنه يريد النبي ليُسلم . .

فاصطحبناه حتى قدمنا المدينة أول يوم من صفر سنة ثمان . . فلما اطلعت على رسول اللّه -صلى اللّه عليه وسلم- سلمت عليه بالنبوة فردّ عليّ السلام بوجه طلق ، فأسلمت وشهدت شهادة الحق .

فقال الرسول : **"قد كنت أرى لك عقلاً رجوتُ ألا يُسلمك إلا إلى خير"** .

وبايعتُ رسول اللّه وقلت : استغفر لي كل ما أوضعتُ فيه من صد عن سبيل اللّه .

---

(١) عبقرية خالد ، ص ٣٥ .

(٢) رجال حول الرسول ، ص ٣٥٨ .

فقال : «**إن الإسلام يجب ما كان قبله**»، قلت : يا رسول الله على ذلك .

فقال : «**اللهم اغفر لخالد بن الوليد كل ما أوضع فيه من صد عن سبيلك**».

وتقدم عمرو بن العاص، وعثمان بن طلحة ، فأسلما وبايعا رسول الله(١)، وكان إسلام خالد بن الوليد وصاحبيه عمرو بن العاص وعثمان بن طلحة بداية الإذن والمؤشر القوي لفتح مكة .

فخالد بن الوليد هو قائد القتال وعمرو بن العاص هو قائد السياسة .

وكان إسلام خالد وصحبه هو انتهاء الجولة بين قريش والإسلام . فلم يبق لمكة إلا أن تستقبل هذا الدرس وهي طائعة، وإن العناد ومواجهة الإسلام لم يعد إلا ضرباً من العبث وقلة البصيرة .

لذلك قال النبي -عليه الصلاة والسلام- لما رأى خالد بن الوليد وصاحبيه «**رمتكم مكة بأفلاذ كبدها**»(٢) .

## الدروس المستفادة:

١ ـ إن الاهتمام بتربية الأولاد وبخاصة المتفوقون قد عرف منذ الجاهلية كما رأينا من تهيئة الوليد بن المغيرة لابنه خالد حيث ولاه أمر القبة والأعنة منذ صغره لتدريبه على القيادة والفروسية ،كما درّبه على استعمال السلاح ومهارات القتال .

٢ ـ في معركة أُحد طبق خالد أسلوب إدارة القائد للمعركة وقيامه باستطلاع الأرض والإلمام بأوضاع الأرض ثم تقدير الموقف السريع والإنجاز السريع لاستغلال الفرص، وهذا مما يدلنا على سرعة البديهة عند خالد بن الوليد .

٣ ـ لنا في غزوة الخندق عدة دروس لعل أهمها :

---

(١) رجال حول الرسول ، ص ٣٥٩ .

(٢) الاستيعاب، ص ٤٠٦ .

ـ أهمية الشورى وعدم استبداد القائد برأيه مهما بلغ من العلم والمكانة، فهذا النبي -عليه الصلاة والسلام- الذي لا ينطق عن الهوى إنما هو وحي يوحى وسيد البشرية جمعاء، يستشير الصحابة ويأخذ برأي سلمان الفارسي في حفر الخندق حول المدينة.

ـ ومن أهم وسائل النجاح وتحقيق الإنجازات، أن لا يتبع الإنسان نفس الطرق التي اتبعها من قبل وجربها؛ لأنها ستؤدي إلى نفس النتائج، بل عليه أن يبحث عن طرق جديدة غير تلك المألوفة وهذا ما فعله النبي -صلى الله عليه وسلم- عندما حفر الخندق، مخالفاً بذلك الطرق القديمة التي اعتادها العرب في حروبهم، مما جعل الأحزاب يقفون أمام الخندق في حيرة ودهشة، لا يعرفون كيف يتعاملون معه، مما عرقل سيرهم فكان من أسباب هزيمتهم وانتصار المسلمين.

ـ في الجانب الآخر في صفوف المشركين يقدم لنا خالد بن الوليد استئثار القائد بالخطر دون جنوده مما يحببه إلى نفوس الجنود ويجعله محل ثقة.

٤ ـ في إسلام خالد يتضح لنا أن المتفوق غالباً ما يجره تفوقه وقدرته إلى التفكير بكل خير.

## فروسيته مع النبي عليه الصلاة والسلام:

وبعد أن أسلم خالد بن الوليد احتل مكانة مرموقة من بين الصحابة عند رسول اللّه -صلى اللّه عليه وسلم-، وخالد كما عرفنا سابقاً له ما له من الشجاعة والقيادة والخبرة في الحروب مما جعله يتفوق على أصحابه في هذا المجال ويقترب من القيادة العليا للإسلام وهو النبي عليه أفضل الصلاة والسلام.

وكان النبي -عليه الصلاة والسلام- خبيراً بخصائص النفوس وسبر أغوار الطبائع والأفكار. عالماً بقدرات أصحابه ومواهبهم، منزلاً كلاً في منزله، لا يكلف أحداً بأمر أكبر من قدرته واستطاعته، فهذا أبو ذر يأتي إلى النبي صلى اللّه عليه وسلم ويطلب الإمارة. فيصارحه النبي صلى اللّه عليه وسلم قائلاً:

**"يا أبا ذرّ إنك ضعيف وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدّى الذي عليه فيها"** [١] .

ومما سارع في إظهار تفوق خالد بن الوليد في القتال ما حدث في غزوة مؤتة ، فقد سارع خالد بن الوليد للانضمام إلى غزوة مؤتة وكان جندياً عادياً تحت قيادة القواد الثلاثة الذين جعلهم الرسول على الجيش : زيد بن حارثة ، وجعفر ابن أبي طالب ، وعبدالله بن رواحة ، الذين استشهدوا بنفس الترتيب على أرض المعركة[٢] التي لم تكن متكافئة ، فكان عدد المسلمين ثلاثة آلاف مقاتل[٣] وعدد جيش الروم مائتي ألف مقاتل ، وبعد سقوط آخر القواد شهيداً سارع إلى اللواء «ثابت بن أقرم» فحمله بيمينه ورفعه عالياً وسط الجيش المسلم حتى لا تبعثر الفوضى صفوفه . . ثم توجه بها مسرعاً إلى خالد بن الوليد ، فرفضها خالد أدباً منه وتواضعاً ومزية تحسب له لأنه يرى أنه حديث عهد بالإسلام ولا يحق له أن يقود قوماً فيهم الأنصار والمهاجرون الذين سبقوه بالإسلام . فقال مجيباً «ثابت بن أقرم» :

[لا . . لا آخذ اللواء ، أنت أحق به . . لك سنٌ وقد شهدت بدراً] .

وأجابه ثابت : «خذه ، فأنت أدرى بالقتال مني ، فوالله ما أخذته إلا لك» .

ثم نادى في المسلمين : أترضون إمرة خالد ؟ ، قالوا : نعم [٤] .

فتولى خالد إمرة الجيش ، بعد أن كاد يتحدد مصير المعركة ولاحت مظاهر النصر للروم وقد ظهرت بوادر الضعف في الجيش المسلم وكثر قتلى المسلمين مع قلة عددهم . ولم يكن بقدرة بشر مهما كان أن يقلب كفة المعركة من مغلوب إلى غالب والغالب يكون مغلوباً . كما أن الصمود في هذه المعركة غير المتكافئة ضرب من إلقاء النفس إلى التهلكة لا محالة . واحتار القائد الشاب خالد بن الوليد ماذا يفعل؟

(١) صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته ، ص ١٢٩١ .
(٢) رجال حول الرسول ، ص ٣٦١ .
(٣) هذا الحبيب يا محب ، ص ٢٥٠ .
(٤) قادة فتح العراق والجزيرة ، ص ٧٩ .

أيلقي بجيش المسلمين إلى الهلكة والفناء، ثم إن الجيش قد فقد القواد الثلاثة الذين عيّنهم الرسول عليه الصلاة والسلام . هل يولي الدبر ويهرب من المعركة؟ وهذا على الرغم مما فيه من العار والذل فإنه كذلك محرم لقوله تعالى :

**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ (١٥) وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٦)﴾** (الأنفال) .

ثم إن الروم سيلحقون بهم من خلفهم ويقضون عليهم ، فالفناء والهزيمة حاصلة لا محالة . . . ولكن سرعان ما تفتقت قدرات خالد العقلية وذكاؤه وفطنته عن خطة تحفظ الجيش المسلم من الهلاك وتحفظ له ماء وجهه ، فاتخذ قراره وبدأ في تنفيذ خطته فثبت ذلك اليوم وقاتل قتالاً شديداً ، فلما أظلم الليل غيّر نظام جيشه ، فجعل مقدمته ساقة وساقته مقدمة، وكذلك فعل بالميمنة والميسرة، أي أنه سحب جيشه من ساحة المعركة وأبقى ساقة تحمي الانسحاب، نشر هذه الساقة ليحتل فرسانها مساحة شاسعة من الأرض ، وأمرهم أن يُحدثوا أصواتاً مرتفعة بما لديهم من أدوات حربية، وإثارة الغبار بالخيل التي تدور بسرعة في دوائر ضيقة . . كل ذلك جعل الروم لا يشعرون بانسحاب قوات (القسم الأكبر)[١] من المسلمين ليلاً من جهة ، ويعتقدون أن إمدادات قوية جاءتهم ليلاً ؛ لهذا لم يُقدم الروم على مطاردة المسلمين ، فسهّل ذلك على خالد مهمته في سحب رجاله من ساحة المعركة بأمان ودون أن ينقلب الانسحاب إلى هزيمة ، كما سهّل عليه مهمة سحب الساقة التي سترت انسحاب القسم الأكبر من قوات المسلمين ، وذلك بعد أن اطمأن إلى أن القسم الأكبر من قواته قد وصل مأمنه، ومع ذلك لم يكن سحب الساقة سهلاً ، لأنها كانت بتماس شديد بالعدو من جهة ، ولأنها كانت تشغل منطقة واسعة من الأرض من جهة أخرى ؛ لذلك قاتلت الساقة وعلى رأسها خالد قتالاً بطولياً لكي تستطيع التخلص من

(١) سيرة ابن هشام ٣/ ٤٤٠ .

الاشتباك . قال خالد : «لقد اندقّت [١] في يدي يوم (مؤتة) تسعة أسياف ، فما ثبت في يدي إلا صفيحة يمانية» [٢] .

ولما علم رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم بما حدث ، شقّ ذلك عليه ، ونعى زيداً وجعفراً وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم فقال :

**"أخذ الراية زيد فأصيب ، ثم أخذها جعفر فأصيب ، ثم أخذها ابن رواحة فأصيب ــ وعيناه تذرفان ــ حتى أخذها سيف من سيوف اللّه حتى فتح اللّه عليهم"** [٣] .

وعاد خالد إلى المدينة يقود جيش المسلمين ، وبعد أن ترك هذا الجيش ثلاثة عشر شهيداً في ساحة القتال ، وهي خسائر طفيفة جداً بالنسبة إلى ذلك الخطر الذي كاد أن ينهي الجيش الإسلامي بأكمله، وعند وصول الجيش المسلم إلى المدينة كان النبي عليه الصلاة والسلام في استقبالهم فحياهم وقال :

**"إنهم ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار إن شاء اللّه"** [٤] .

ومن ذلك اليوم أطلق النبي -عليه الصلاة والسلام- وأطلق المسلمون على خالد لقب سيف اللّه [٥] .

وفي فتح مكة جعله النبي -عليه الصلاة والسلام- قائداً للميمنة المكلفة بدخول مكة من المدخل الجنوبي ويحافظ خالد على هدفه في الوصول إلى منطقة إعادة التجمع بجوار جبل هند في نفس توقيت باقي القوات[٦] على الرغم من المعركة التصادمية التي نفذها خالد بقواته عندما تقابل مع مجموعة مشركة يقودها عكرمة بن أبي جهل (الذي لم يكن قد أسلم بعد) .

---

(١) اندقت : انكسرت وتحطمت .
(٢) الإصابة ٢/ ٩٩ .
(٣) قادة فتح العراق والجزيرة ، ص ٨٠ .
(٤) تاريخ الأمم والملوك ٢/ ١٥٢ .
(٥) قادة فتح العراق و الجزيرة ، ص ٨٠ .
(٦) المدرسة العسكرية ، ص ١٨ .

وقد عاتب النبي -عليه الصلاة والسلام- خالد بن الوليد على قتاله إلا أنه اعتذر فقال : هم بدؤونا بالقتال ، ووضعوا فينا السلاح ، وأشعرونا بالنبل وقد كففت يدي ما استطعت . فقال رسول اللّه عليه الصلاة والسلام : قضاء اللّه عز وجل خير (١) .

وفي غزوة حنين ظهرت ثقة النبي -عليه الصلاة والسلام- بتفوق خالد واهتمامه بقدراته القتالية . وذلك من خلال إسناد قيادة الخيل له في مقدمة الجيش وسؤاله عنه وعنايته به بعد هزيمة الخيل . وذلك بأن الأعراب بعدما علموا بفتح مكة في السنة الثامنة ، وأن النبي -عليه الصلاة والسلام- سائر إليهم بجيشه الجرّار الذي فتح مكة ولن يستطيعوا مقاومته متفرقين . فما كان منهم إلا أن أجمعوا رأيهم على الاجتماع في جيش كبير . فاجتمعت قبائل همدان من هوازن وثقيف وجشم وقالوا : «إن محمداً قد فرغ من قتال قومه ولا ناهية له عنا . فلنغزه قبل أن يغزونا» ، وحرضوا القبائل الأخرى على القتال فلباهم الكثير وتولى قيادتهم مالك بن عوف النضري ، وهو فتى جريء في نحو الثلاثين يجمع إلى غطرسة الإمارة وحمية الفروسية حدة الشباب ولدد الخصومة . . فساق أموالهم ونساءهم وأبناءهم ، وأمرهم إذا رأوا المسلمين أن يكسروا جفون سيوفهم ثم يشدوا شدة رجل واحد فإما نصر أو فناء . . وصفَّت الخيل ثم الرجالة المقاتلة ثم الإبل عليها النساء ثم صفت الغنم . ثم صفت النعم في حراسة لئلا تفر والجيش مشتغل عنها (٢) .

ولما علم النبي -صلى اللّه عليه وسلم- بذلك خرج بألفين من أهل مكة حديثي الإسلام وعشرة آلاف من الصحابة الذين قدموا معه من المدينة ، وقيل : إنهم كانوا جميعاً ثمانية آلاف حتى قالوا : لن نغلب اليوم من قلة .

---

(١) مغازي الرسول ، ص ٢١٢ .

(٢) عبقرية خالد ، ص ٦٤ بتصرف .

وأخرج خالداً على طليعة الجيش في مائة فارس من بني سليم (١) وسار النبي -عليه الصلاة والسلام- بمن معه حتى استقبلوا وادي حنين فانحدروا فيه وهو واد أجوف له انحدار وهم في عماية الصبح ، وكان المشركون قد سبقوهم إلى الوادي فكمنوا لهم في شعابه وأحنائه ومضايقه ، فهجموا على المسلمين هجمة رجل واحد أدت بالجيش المسلم إلى التقهقر ، ومن ثم ولى وأدبر حديثو العهد بالإسلام فتبعهم الناس وانسحب عامة المسلمين ، حتى إن أبا سفيان الذي مازال حديث عهد بالشرك قال : لن تنتهي هزيمتهم دون البحر ، وصرخ جبلة ابن حنبل قائلاً : ألا بطل السحر . وفي أثناء ذلك ينحاز النبي عليه الصلاة والسلام يميناً وينادي :

**«أيها الناس هلموا إليَّ أنا رسول اللّه أنا محمد بن عبداللّه»** .

قالها ثلاثاً ، ثم احتملت الإبل بعضها على بعض في معترك عجيب إلا أنه قد بقي مع رسول اللّه نفر من المهاجرين والأنصار . ومن بينهم خالد بن الوليد حيث اجتمع إلى النبي -عليه الصلاة والسلام- مائة رجل فاستقبل بهم القوم وقاتلهم وهو يقول :

**« أنا النبي لا كذب.. أنا ابن عبد المطلب»** (٢) .

وفي هذه المعركة يقف خالد بن الوليد جندياً صابراً ثابتاً مع القائد العام للقوات ولا يثني من عزمه من ولى مدبراً، وفي نفس الوقت يقف بكل شجاعة كقائد للفرسان يعيد تنظيم ما بقي من قواته بمعاونة الرسول عليه الصلاة والسلام، ثم يستمر في المعركة حتى نهايتها عند الطائف وهو ينادي ، هل من مبارز ؟ هل من مبارز ؟ مقدماً درساً آخر في الإصرار وتحمل المسؤولية وقوة العقيدة (٣) .

---

(١) هذا الحبيب يا محب ، ص ٢٦٤ .
(٢) هذا الحبيب يا محب ، ص ٢٦٥ .
(٣) المدرسة العسكرية ، ص ١٩ .

ولقد صحب خالد بن الوليد النبي -عليه الصلاة والسلام- ثلاث سنوات وتولى للنبي -عليه الصلاة والسلام- أعمالاً أخرى لا تقل أهمية عما سبق، إلا أن ما سبق يعتبر أكبر الأعمال التي نفذها خالد في حياة النبي عليه الصلاة والسلام، وظهرت من خلالها شجاعته وقدراته القتالية وما يظهر تفوقه القتالي من بين أصحابه .

ومن المهام الأخرى التي نفذها خالد في حياة النبي -عليه الصلاة والسلام- إرساله في ثلاثين فارساً لهدم «العزى» بعد فتح مكة ببضعة أيام، والعزى صنم تقدسه العرب في الجاهلية وتعبده . وفي هذه المهمة التي تبدو سهلة من الوجهة الحربية إلا أنها مهمة مخوفة من الناحية النفسية . وفعلاً خرج خالد حتى انتهى إلى «العزى» وهدمها وجاء في بعض الروايات أنه «لما انتهى إليها جرّد سيفه فخرجت إليه امرأة سوداء عريانة ناشرة شعرها فجعل السادن يصيح بها :

«أعزى إذا لم تقتلي المرء خالداً فبوئي بإثم عاجل أو تنصري»

فأخذ خالداً « اقشعرار في ظهره، وضربها بالسيف فشقها» (١) .

وفي هذه الواقعة يتبين لنا قوة خالد النفسية وتحمله للمسؤولية حيث إنه تولى قتل المرأة المخيفة بنفسه ولم يوكل قتلها إلى أحد من جنده، فقتل مثل هذه المرأة قد يخيف الكثير من الرجال ، إلا أن خالداً أقدم عليها بكل قوته النفسية والجسدية ، فلو أن أحدهم هرب من أمامها ولم يستطع قتلها لتزعزع إسلام بعض العوام ومن هم حديثو عهد بالإسلام . وفي المقابل سترتفع معنويات المشركين ويزيد تشبثهم بعبادة الأصنام . إلا أن نظرة خالد المستقبلية جعلته يقدم على قتلها بنفسه بكل قوة وثقة بالنفس .

ومن المهام التي قادها في حياة النبي -عليه الصلاة والسلام- بعثته إلى أهل

---

(١) عبقرية خالد ، ص ٧٢ ، هذا الحبيب يا محب ، ص ٢٦٣ .

نجران يدعوهم إلى الإسلام فإن آمنوا واستجابوا قبل منهم وإن عصوا فله قتالهم، فخرج خالد إليهم وبعث الركبان يبشرونهم بالدين الجديد ويشرحون معالمه وفضائله ، وهم يقولون : «أيها الناس أسلموا تسلموا» فأسلم الناس ودخلوا فيما دلوا إليه ، فأقام فيهم خالد يعلمهم الإسلام ، وكتب بذلك إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ، فكتب إليه النبي -صلى اللّه عليه وسلم- أن يقبل إلى المدينة ومعه وفدهم . فأقبل خالد إلى رسول اللّه -عليه الصلاة والسلام- ومعه وفد بني الحارث ، فأسلموا وسألهم النبي فيما سألهم : بم كنتم تغلبون من قاتلكم في الجاهلية ؟ قالوا : كنا نغلب من قاتلنا يا رسول اللّه أنا كنا نجتمع ولا نتفرق ، ولا نبدأ أحداً بظلم، قال : "**صدقتم**" (١) .

وقد شهد خالد مع النبي -عليه الصلاة والسلام- غزوتين لم يجر فيهما لقاء واشتباك وهما غزوة الطائف وغزوة تبوك .

وغزوة الطائف كانت امتداداً لغزوة حنين ، حيث لاذت بها القبائل بعد فرارها وامتنعت وراء أسوارها، وهنا ظهر خالد ينادي بالمبارزة فلم يجبه أحد من المشركين، فما كان من النبي -عليه الصلاة والسلام- إلا أن استشار نوفل بن معاوية الديلي في أمرهم فأجابه : «يا رسول اللّه ثعلب في جحر إن أقمت أخذته وإن تركته لم يضرك» (٢) .

كما بعث النبي عليه الصلاة والسلام خالد بن الوليد إلى بني المصطلق بعد أن بعث الوليد بن عقبة بن أبي معيط إلى بني (المصطلق) مصدقاً في أوائل السنة التاسعة للهجرة ، أي بعد إسلامهم بعامين ، فلما رأوه أقبلوا نحوه فهابهم، فرجع إلى النبي صلى اللّه عليه وسلم وأخبره أنهم قد ارتدّوا عن الإسلام؛ فبعث النبي -صلى اللّه عليه وسلم- خالداً وأمره أن يتثبت ولا يعجل ؛ فانطلق خالد حتى أتاهم ليلاً . وبعث عيونه ، فأخبروه بأن القوم متمسكون بالإسلام،

---

(١) قادة فتح العراق والجزيرة ، ص ٩٢ .
(٢) عبقرية خالد ، ص ٧٥ .

وسمعوا أذانهم وصلاتهم ؛ فلما أصبحوا أتاهم خالد ، فرأى ما يعجبه ، فرجع إلى النبي صلى اللّه عليه وسلم وأخبره الخبر ، فنزل قوله تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ⦗٦⦘﴾ (الحجرات) .

نزلت في الوليد بن عقبة .

لقد كان موقف خالد في هذه القضية رائعاً حقاً؛ أرسل عيونه ليروا عمل القوم في غفلة منهم ، فلما جاءته عيونه بأخبارهم ، أتاهم هو بنفسه ، فوجد أن أخبار الوليد بن عقبة عنهم غير صحيحة ، وبذلك حقن خالد دماء بني المصطلق ووضعهم في موضعهم الذي يستحقونه (١) .

وفي معركة تبوك أرسل رسول اللّه -صلى اللّه عليه وسلم- خالداً في أربعمائة وعشرين رجلاً إلى أكيدر بن عبد الملك الكندي وكان ملكاً في دومة الجندل كما كان على دين النصرانية، واستطاع خالد أن يقتحم الحصن ويأسر الملك بعد اشتباك دار بينهم قتل فيه حسّان أخو الملك ، وقدم خالد باكيدر إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم، فصالحه النبي -عليه الصلاة والسلام- على الجزية وعاهده على الأمان (٢) .

كما بعث النبي -صلى اللّه عليه وسلم- خالداً لهدم صنم ود في دومة الجندل، (وقد بعثه من غزوة تبوك)، فحالت بنو عبد ود وغيرهم بينه وبين هدمه، فقاتلهم خالد . وبعد دحرهم هدمه وكسّره جذاذاً (٣) .

وفي رمضان من السنة العاشرة للهجرة النبوية أرسل رسول اللّه -صلى اللّه عليه وسلم- خالداً إلى اليمن يدعوهم إلى الإسلام ، ثم بعث علي بن أبي طالب ليقبض الخمس (٤) .

---

(١) قادة فتح العراق والجزيرة ، ص ٨٩ .
(٢) عبقرية خالد ، ص ٧٥ .
(٣) قادة فتح العراق والجزيرة ، ص ٩٠ .
(٤) فتح الباري ٨/ ٥٢ في (قادة فتح العراق والجزيرة ، ص ٩٣) .

وفي رواية أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث علياً في جند وبعث خالداً في جند آخر وقال : إن التقيتما فالأمير علي بن أبي طالب (١) .

وظل خالد بن الوليد إلى جنب الرسول -عليه الصلاة والسلام- جندياً مطيعاً وقائداً شجاعاً ، واضعاً كفاياته الفائقة في خدمة هذا الدين الذي آمن به من كل يقينه ونذر له كل حياته (٢) .

وهكذا أنجز خالد في حياة النبي -عليه الصلاة والسلام- أعمالاً باهرة في القتال والسلم على حد سواء . والذي يتمعن في ذلك يجد أنها أعمال كثيرة وكبيرة أُنجزت في فترة وجيزة لا تتجاوز الأربع سنوات . فقد قاتل جنوباً وشمالاً على حدود أرض الشام ، وشهد أحد عشر مشهداً ، قاتل في ثلاثة منهما تحت لواء النبي -عليه الصلاة والسلام- ، وفي ثلاثة أخرى كان هو القائد ، وفي خمسة مشاهد أخرى أنجز واجبه سلماً (٣) ، فكيف استطاع إنجاز هذه الأعمال في هذه الفترة القصيرة ؟ .

ولعل هذه الأعمال كانت تهيئة من النبي -عليه الصلاة والسلام- لخالد لما علم فيه من طاقة وقدرات عالية ، وإن هذه الأعمال لتدل على ثقة النبي -عليه الصلاة والسلام- بخالد ، كما أن له «قابليات نادرة في القيادة العسكرية لا يجود بها الزمان إلا نادراً» .

**الدروس المستفادة:**

١ - في معركة مؤتة يتبين لنا حاجة المجتمعات للقائد المتفوق لينقذها مما قد يعترضها من مصائب وكوارث سواء بقوته وشجاعته أو بتفكيره وحسن تخطيطه .

---

(١) قادة فتح العراق والجزيرة ، ص ٩٣ .
(٢) رجال حول الرسول ، ص ٣٦٥ .
(٣) قادة فتح العراق والجزيرة ، ص ٨٣ .

٢ ـ في معركة حنين تبرز أهمية التربية الإيمانية، فكثير من الناس حديثي الإسلام فروا من أرض المعركة وتركوا النبي -عليه الصلاة والسلام- ولم يثبت بجانبه إلا القلة ممن رباهم النبي -عليه الصلاة والسلام- وتمكن الإيمان من قلوبهم.

وجدير بوزارة التعليم أن تهتم بغرس الأمور الإيمانية في نفوس طلابها فلا يصبر على الشدائد ويتحمل أهوالها إلا من رُبي تربية إيمانية صادقة .

٣ ـ أهمية الشورى قبل اتخاذ القرار، وهذا ما كان يفعله النبي عليه أفضل الصلاة والسلام، ومن ذلك استشارته لنوفل بن معاوية في أهل الطائف، والشورى قانون إلهي في دستور المسلمين، قال تعالى حاثاً نبيه على الشورى :

﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (١٥٩) ﴾ (آل عمران).

٤ ـ أهمية إعطاء المتفوق فرصة أكبر لإظهار مواهبه ومواصلة تفوقه كما فعل النبي -عليه الصلاة والسلام- مع خالد بن الوليد حيث استطاع أن يقدم إنجازات عظيمة في فترة وجيزة .

٥ ـ يعتبر اتخاذ القرار سلاحاً ذا حدين فلا بد أن يُتخذ بحكمة وعقلانية كما فعل خالد مع بني المصطلق بعد أن اتهمهم الوليد بن عقبة بالكفر، ولو أن خالداً اعتمد على كلام الوليد ولم يرسل العيون تتحرى عن القوم لأعمل السيوف في رقابهم على غرة منهم .

## قيادته لحروب الردة:

وبعد أن توفي الرسول -عليه الصلاة والسلام- وضع خالد تفوقه العسكري في يد الخليفة الأول أبي بكر الصديق (رضي اللّه عنه)، فكانت له

أعمال خالدة في حروب الردة ، حيث كانت هذه الحروب تأديباً وقتالاً لبعض القبائل التي ارتدت عن الإسلام بعد وفاة الرسول صلى اللّه عليه وسلم . فما كان من أبي بكر الصديق إلا أن قاتلهم وقاد بعض المعارك بنفسه، إلا أن كبار الصحابة أجبروه على البقاء في المدينة وعدم مواصلة قيادة المعارك لئلا يفجعهم بنفسه[١]، فقسم أبو بكر الصديق الجيش إلى إحدى عشرة مجموعة، رسم لكل مجموعة[٢] دورها، وعين خالداً أميراً على أربعة آلاف رجل[٣] ، ولما عقد الخليفة لكل أمير لواءه اتجه صوب خالد وقال يخاطبه :

سمعت رسول اللّه صلى الله عليه وسلم يقول :

**"نعمَ عبداللّه . وأخو العشيرة خالد بن الوليد . سيف من سيوف اللّه»**[٤] .

وتنقسم أعمال خالد في حروب الردة إلى قسمين : أحدهما الذي اشترك فيه مع كبار الصحابة بقيادة الخليفة في المدينة وما جاورها، والآخر الذي استقل به أو استقل على الأصح بناحيته العسكرية .

أما قبائل العرب الذين ارتدوا فقد انقسموا إلى عدة أقسام أهمها تجمع عبس وذبيان وفزارة الذين ساروا لمهاجمة المدينة بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام، فباغتهم الجيش المسلم بقيادة الخليفة أبي بكر الصديق ومزقهم كل ممزق وأبطل نواياهم ، وظهر تجمعان آخران أحدهما تجمع مسيلمة الكذاب الذي ادعى النبوة في اليمامة .

والآخر تجمع طليحة بن خويلد الأسدي، وهو الآخر ادعى النبوة في «بزاخة» من أرض بني أسد، وقد اجتمع إليه قومه بنو أسد وقيس وحلفاؤهم،

---

(١) رجال حول الرسول ، ص ٣٦٥ .

(٢) التاريخ الإسلامي ٣/ ٧٢ .

(٣) عبقرية خالد ، ص ٨٧ .

(٤) حديث صحيح في صحيح الجامع الصغير وزيادته، حديث رقم ٦٧٧٦ .

وهناك تجمعات أخرى كأهل البحرين وعُمان والمهرة [١] .

وسار جيش خالد إلى بزاخة بعد أن ودعهم الخليفة الصديق وأوصى الجند بأن يسيروا على اسم اللّه وبركته وأن أميرهم خالد بن الوليد . ثم خلا بخالد وأوصاه بتقوى اللّه والرفق بمن معه ومشاورة كبار الصحابة وأخبره بطبائع من أمامه من القبائل وموقفهم من الإسلام .

وفي أثناء مسير الجيش إلى بزاخه لحق بهم فوق الألف من مقاتلة البطون الطائية ممن تخلى عن طليحة أو كان على نية اللحاق بالجيش المسلم . وطلبوا من خالد بن الوليد أن يعفيهم من حرب بني أسد لأنهم حلفاؤهم منذ الجاهلية ويكفوه حرب قيس . ولم يكن عدي بن حاتم على رأي قومه فقال لخالد : لو ترك هذا الدين أسرتي الأدنى فالأدنى من قومي لجاهدتهم عليه . أفأنا أمتنع عن جهاد بني أسد لحلفهم [٢] ؟

وهنا تتجلى حكمة خالد ومعرفته بنفوس المقاتلين وأثر ذلك على جو المعركة ، فلم يوافق عدياً على رأيه لأنه لم يشأ أن يكره أناساً على حرب من يسالمونهم ولا يتحمسون لقتالهم . لعلم خالد أن الحماسة هي لب المعركة وزاد المقاتل إذا حمي الوطيس . فما كان من ذاك القائد الفذ إلا أن قال لعدي : لاتخالف قومك، وامض بهم إلى القوم الذين هم لقتالهم أنشط [٣] .

وقد أتم خالد تعبئته للقتال وهو على الطريق ، فجعل القبائل على ميمنته والأنصار والمهاجرين على ميسرته وصمد هو في القلب مع فئة من هؤلاء وهؤلاء .

وكان طليحة حذراً فقد أرسل العيون في الصحراء فعلم بمقدم المسلمين قبل وصولهم وأعد نفسه للحالتين النصر أو الهزيمة ، فعزل أكثر النساء لئلا يقعن في

---

(١) رجال حول الرسول ، ص ٣٦٦ .

(٢) خالد بن الوليد المخزومي ، ص ٩٥ .

(٣) الكامل في التاريخ ٢/ ٢٠٩ .

السبي في حالة الهزيمة ، وأدار حوله أربعين فارساً من أشد فتيان بني أسد ليدرؤوا الهجمة عنه ، كأنه يعلم أسلوب خالد في القتال حيث كانت الضربة الأولى دائماً لرئيس القوم حتى يفت عضدهم بمقتله أو يكرهه على الفرار ، وهذه صفة من صفات خالد العسكرية في تخطيطه للحروب .

ولقد كان لجيش طليحة مزيتان هما الكثرة والراحة . فكان جيشه يفوق جيش المسلمين بألف مقاتل أو زيادة مع وفرة السلاح والركائب . وكان مستريحاً في دياره على خلاف جيش المسلمين الذي كان متعباً بعد مسير المئات من الأميال في الأودية والجبال . ولهذا أوشك طليحة أن ينتصر في بادئ الأمر لولا عزمة من عزمات قيادة خالد التي تدور برحى الحرب من طرف إلى طرف في ساعات معدودات .

فلما التقى الجيشان ثبت طليحة بجيشه وقاتلوا قتال المستميت وهجموا على المسلمين هجمة رجل واحد فكشفوا الميمنة ثم تبعتها الميسرة ، وقد ساعدهم في ذلك معرفتهم بأرضهم وراحتهم وكثرة عددهم ، حتى إن بعض الجنود أتى إلى خالد بن الوليد ينصح له أن يتراجع يومه ليعتصم بجبال طيئ ويستدرج المرتدين إليها ، فأنكر عليه نصيحته وزجره قائلاً : لا أعتصم بغير الله[١] .

فما كان من خالد إلا أن كر بجيشه على المرتدين فأرسل فرسه وترجل مقاتلاً على قدميه ليملك الحركة حيث يشاء ويكون قدوة لأصحابه ، ونادى بالأنصار كأنه ذكر موقف النبي يوم حنين :

يا أنصار الله . . فلبوه مندفعين إليه ، وثاب أبناء القبائل إلى مواضعهم فاستمر طليحة ملتفاً في كسائه يوهمهم أنه يتلقى الوحي أو ينتظر المدد من السماء[٢] .

---

(١) عبقرية خالد ، ص ٩٠ .
(٢) البداية والنهاية ٦/ ٣١٨ .

وما هي إلا لحظات حتى تخلت عنه القبائل التي تحارب معه فما كان من زعيم فزارة عيينة بن حصن إلا أن نادى في قومه :

«انصرفوا يا بني فزاره . . . فإنه الكذاب»[١] .

ولما رأى طليحة انهزام جيشه وانتصار المسلمين بفضل اللّه ثم بفضل قدرات خالد القيادية وبسالته في الحروب . ركب فرسه وأردف امرأته النوار على راحلة وراءه ونجا بها وهو ينادي أتباعه :

«من استطاع أن يفعل هكذا فليفعل» وما زال في فراره حتى لحق بالشام[٢] .

أما من جهة مسيلمة الكذاب في اليمامة فإنه قد جمع قومه ومن حالفهم من القبائل وتحصنوا باليمامة .

فبعث الخليفة الصديق عكرمة بن أبي جهل على رأس جيش من المسلمين ثم رأى حاجته إلى المدد فوجه في أثره شرحبيل بن حسنة وأمرهما أن يتلاقيا ولا ينفروا بالهجمة على اليمامة ، إلا أن عكرمة استعجل وهجم على مسيلمة قبل أن يصله المدد فنكب نكبة شديدة ، وتلقى الخليفة نبأ هذه النكبة فكتب إلى شرحبيل يأمره بالتوقف حتى يأتيه أمره [٣] .

وبعد أن أنهى خالد حروبه مع المرتدين الذين أوكل لحربهم وتأديبهم ، أرسله الخليفة إلى اليمامة ليلتقي هناك جيش شرحبيل بن حسنة الذي سبقه ولا يقل عدده عن ألفين[٤] ، إضافة إلى المدد الذي أرسله الخليفة وراءهم لينجي ساقتهم بقيادة سليط بن عمرو . وغير هؤلاء من المسلمين من بني تميم بن حنيفة .

---

(١) الكامل في التاريخ ٢/ ٢٠٩ .
(٢) عبقرية خالد ، ص ٩٤ .
(٣) عبقرية خالد ، ص ١٠٤ .
(٤) التاريخ الإسلامي ٣/ ٧٦ .

كما أن جيش خالد الذي قدم كان خمسة آلاف . فاجتمع لخالد جيش يقارب الثمانية آلاف .

وعندما سمع مسيلمة بتحرك المسلمين لمقاتلته مرة ثانية علم أنهم لن يقدموا لحربه بعد جيش عكرمة إلا وهم في أهبة الاستعداد بكل قوتهم . فما كان منه إلا أن جهز جيشاً ضخماً يبلغ ضعف جيش المسلمين وخرج به إلى عقرباء[١] بعد أن صالح القبائل التي حوله . وأخذ يبث العيون والسرايا لاستكشاف الصحراء وأخبار المسلمين وما إن اقترب خالد من أرض مسيلمة حتى التقى مقدمة الجيش بكوكبة من الفرسان بين الأربعين والستين عليهم مجاعة بن مرارة أحد زعماء بني حنيفة ، وكانوا من جيش مسيلمة لاستطلاع خبر الجيش المسلم . فما كان من خالد إلا أن أمر بضرب أعناقهم جميعاً واستبقى مجاعة لعلمه بالحرب والمكيدة ولأنه كان سيداً في بني حنيفة[٢] .

وفي عقرباء[٣] التحم الجيشان وثبت جيش مسيلمة وقاتلت بنو حنيفة قتالاً لم يعهد مثله واندفعت في هجمتها إلى خيمة خالد من وراء العسكر وفيها امرأته إلا أن مجاعة أجارها[٤] واشتدت رحى الحرب وفي وسط جو تعالت فيه صيحات الفرسان وكثر تجندل الأبطال واختلط صهيل الخيل برغاء الجمال ، وأقبل الجيش المشرك خوفاً من العار ووسط هذا الجو الذي يصعب التحكم فيه وقد اشتبك الجيشان وتخالفوا الرماح والسيوف ، تتجلى عبقرية القائد المحنك خالد بن الوليد الذي صاح بجيشه : «امتازوا أيها الناس لنعلم بلاء كل حي ولنعلم من أين نؤتى» .

فميز المهاجرين وميز الأنصار وميز الأعراب كل بني أب على راية ثم حمل

---

(١) التاريخ الإسلامي ٣/ ٧٧ .

(٢) البداية والنهاية ٦/ ٣٢٤ .

(٣) الكامل في التاريخ ٢/ ٢٢٠ .

(٤) البداية والنهاية ٦/ ٣٢٤ .

مع جيشه حملة رجل واحد وكل بني أب من المسلمين يخافون أن تكـــون الهزيمة من صوبهم . فقاتلوا قتال من يحب الموت أكثر من الحياة .

وتقدم خالد يقاتل وخلفه مجموعة من الفرسان يحمون ظهره وهو يتجاوز الصفوف وينادي مسيلمة أن يرجع إلى الحق ومسيلمة يروغ منه[١] ، وأخذ يقاتل ويطلب المبارزة منادياً بشعار المسلمين . . يا محمداه . . مشجعاً جيشه رافعاً الروح المعنوية لديهم ، والصحابة يصيحون وينادون . . . يا أنصار الله يا أصحاب سورة البقرة[٢] . . . كما ناداهم النبي عليه الصلاة والسلام يوم حنين وأظهر الصحابة الكثير من البطولات والملاحم (ليس هذا مجال ذكرها) .

وما هي إلا سويعات حتى فر جيش مسيلمة وهرول مسيلمة نفسه ملتجئين بحديقة خلفهم لها أسوار عالية . وما إن دخلوا حتى أقفلوا أبوابها عليهم[٣] .

وأخذوا يمطرون المسلمين بنبالهم من داخلها . وهنا تقدم أحد جنود الجيش الإسلامي وهو البراء بن مالك . الذي قد بث فيه القائد الفذ روح الحماسة والشجاعة أثناء اشتداد المعركة عندما التفت إليه خالد وقال له : « إليهم يا فتى الأنصار» فنادى في قومه أن لا مدينة لكم بعد اليوم[٤] .

وما إن رأى ذلك الجندي ما أصاب المسلمين من نبال مسيلمة وقومه حتى طلب من المسلمين رفعه على الرماح وإلقاءه من وراء السور . لكي يفتح الباب ، وفعلاً تم له ما أراده[٥] .

واستطاع أن يفتح الباب ويدخل الجيش المسلم ويلتحم مرة أخرى مع جيش

---

(١) الكامل في التاريخ ٢/ ٢٢١ .
(٢) البداية والنهاية ٦/ ٣٢٤ .
(٣) عبقرية خالد ، ص ١٠٧ .
(٤) صور من حياة الصحابة ، ص ٤٤ .
(٥) البداية والنهاية ٦/ ٣٢٥ .

مسيلمة ، كما استطاع المسلمون أن يصلوا إلى مسيلمة الكذاب ويُردوه قتيلاً داخل تلك الحديقة التي سميت فيما بعد حديقة الموت لكثرة القتلى بها .

فقد قتل في تلك الحديقة على أقل تقدير عشرة آلاف من جيش مسيلمة وستمائة من المسلمين[١] ، كما سمي هذا اليوم بيوم القيامة[٢] .

وهكذا استطاع خالد بقيادته الفذة وشجاعته وتفوقه العسكري أن يقضي بجيشه على المرتدين وأصحاب الفتن مهما تجمعوا وتناصروا ، وكانت هذه الحروب أول شاهد للمسلمين على مصداق قول النبي -عليه السلام- أن خالداً سيف من سيوف اللّه .

ومن خلال ما رأينا في المعارك السابقة نجد أن النصر في بادئ الأمر يكون للمشركين على الجيش الإسلامي . وعلى هذا يعلق الأستاذ عباس محمود العقاد قائلاً :

«شوهد في كثير من المعارك بين المسلمين وأعدائهم في الصدر الأول[٣] أن الكرة الأولى غالباً ما تكون للمشركين ، ولا سيما حين تجتمع لهم مزية العدد والراحة حيث يختارون مكان القتال ، وهي مشاهدة لا تستغرب ولا تخالف العهود؛ لأن «الدفعة الحيوانية» أبداً لها الوثبة الأولى مع العدد الكثير وراحة الجسد، وإنما الثبات للعقيدة التي يلوذ بها الإنسان بعد المراجعة ، وللضمير الذي يثوب إليه المرء بعد الامتحان . وليس من شأن العقيدة أن تكون ( كالدفعة الحيوانية ) وثبة عاجلة وهجمة سوارة فاشلة . وإنما شأنها أن تحاسب النفس وتستعيد قواها وتستخرج ذخيرتها من أعماقها . فهي لهذا تنفع صاحبها في المحنة وبعد تبين الشدة . وبخاصة حين يحتاج إليها بعد الجولة الأولى»[٤] .

---

(١) التاريخ الإسلامي ٣/ ٧٧ .
(٢) البداية والنهاية ٦/ ٣٢٥ .
(٣) موسوعة التاريخ الإسلامي ٧/ ٢٧ .
(٤) عبقرية خالد ، ص ١٠٥ .

**الدروس المستفادة:**

١ ـ من الدروس التربوية أن يُذكر من يكلف بعمل بفضله ومكانته كما فعل أبو بكر الصديق مع خالد بن الوليد عندما كلفه بقيادة جيوش حروب الردة ، فإن لذلك أثر على النفس في زيادة الدافعية وتحمل المسؤولية .

٢ ـ ويضرب لنا خالد بن الوليد درساً في مراعاة نفسيات الجنود ليكونوا أكثر حماسة ودافعية عندما أعفى الطائيين من حرب حلفائهم بني أسد وأجابهم لمحاربة بني قيس .

٣ ـ من سياسة خالد في المعارك أن يوجه الضربة الأولى لقائد العدو حتى يقتله أو يجبره على الفرار وبالتالي يوهن عزائم العدو ويكسب المعركة ، ويمكن الاستفادة من هذه السياسة سواء في الحروب العسكرية أو في الحروب الباردة .

٤ ـ إن القائد المتفوق ذا الإصرار والعزيمة لا يلتفت إلى ضعاف الهمة والعزم مهما حاولوا ثنيه عن عزمه وطموحه ، وهذا ما فعله خالد في حربه مع طليحة بن خويلد الأسدي ، عندما حاول بعض جنوده ثنيه عن إقدامه .

٥ ـ إن رابطة الإسلام أقوى من أي رابطة أخرى ، فرابطة الإسلام تبقى دائماً قوية في الشدة والرخاء ، أما رابطة المصلحة فإنها سرعان ما تتفكك وتتبرأ من بعضها ، وهذا ما حدث مع طليحة الأسدي حيث تبرأت منه قبيلة فزارة ورموه بالكذب وانسحبوا من المعركة ، وما هي إلا دقائق حتى ترك هو قومه في أرض المعركة وهرب بزوجته إلى الشام .

٦ ـ في موقعة اليمامة ضرب خالد لنا درساً آخر في تقسيم المجموعات المتشابهة لبث التعاون والحماس حيث قسّم جيشه كل قوم على حدة ؛ الأنصار والمهاجرين ، وكل بني أب على حدة وذلك لإضرام الحماس في نفوس الجنود ومعرفة من أين يؤتى .

## قيادته خارج أرض الجزيرة:

وبتلك الانتصارات المتتالية في أرض الجزيرة استطاع المسلمون أن يوحدوا الجزيرة العربية وأن يطهروها مرة أخرى من الشرك والوثنية، وأن يجمعوا كلمة العرب تحت لواء الإسلام وأضحت هذه الدولة الفتية التي اتخذت المدينة المنورة عاصمة لها تخيف كثيراً من الدول الخارجية مثل الفرس والروم وحلفائهما من العرب .

وقد أدرك أبو بكر بحكمته وحنكته السياسية ما لقوى الشر الجاثمة وراء حدود بلاده من دور خطير في تهديد الإسلام وأهله . فأرسل جيوشه إلى تلك البقاع وندب إلى بلاد فارس جيشين بقيادة كل من عياض بن غنم وخالد بن الوليد، وأمر خالداً أن يتوجه جنوب العراق إلى الأبلة وأمر عياضاً أن يتجه إلى المصيخ شمال العراق[١] . وأيهما بلغ الحيرة قبل الآخر كان هو قائد الجيشين معاً ووجبت طاعته على زميله[٢] . كما أوصاهما الخليفة بعدة وصايا (لا يتسع المجال لذكرها) منها ألا يقبلا أحداً من المرتدين ولا يجبرا أحداً على الجهاد. فأذن خالد وعياض لمن شاء ممن معهما بالرجوع ، فرجع أهل المدينة؛ وما حولها ونقصت قواتهما ، فكتب كل منهما إلى أبي بكر يطلب المدد فأمد أبو بكر خالداً بالقعقاع بن عمرو التميمي وكان أبو بكر عليماً بالرجال حيث قال عن القعقاع: «لا يهزم جيش فيهم مثل هذا»[٣] .

وما إن وصل القعقاع حتى استعاد جيش خالد قوته المعنوية فكيف يهزم جيش فيه القعقاع وقائده خالد ، وقد كثر المتطوعون للقتال من كل صوب وحدب[٤] .

---

(١) قادة فتح العراق والجزيرة ، ص ١٢١ .
(٢) عبقرية خالد ، ص ١٢٤ .
(٣) الطريق إلى المدائن ، ص ٢٨ .
(٤) عبقرية خالد ، ص ١٢٥ .

وقبل أن نخوض في معارك خالد بن الوليد مع الفرس والروم أحب أن أسطر ما كتبه الأستاذ عباس محمود العقاد من تعليق حول معارك خالد :

« حسبنا أن نقول على الإجمال إنه لقي الفرس وأولياءهم في خمس عشرة وقعة لم يهزم ولم يخطئ ولم يفشل قط في واحدة منها ، وأن قواداً من المسلمين أخطؤوا في حروب الردة وحروب الفرس والروم، كما حدث من عكرمة وشرحبيل وأبي عبيدة وخالد بن سعيد ، ولكن خالداً لم يخطئ قط عن خدعة أو عجلة أو قلة أهبة ، وكان يسير بجيشه أبداً على تعبئة كاملة ليقاتل عدوه حيث لقيه مفاجئاً أو غير مفاجئ، وكان أبداً كما وصفه عمرو بن العاص : «في أناة القطاة ووثبة الأسد» فلا يهمل الحيطة ولا يجعل التمويل كله على الشجاعة دون الحزم والحيلة ، ولا يعز عليه أن يتحامى لقاء عدوه في بعض الساحات لينتقل به إلى المكان الذي هو أصلح لحركاته وأعون له عليه . ومن علمه بفنون القتال أنه كان يحارب بثمانية عشر ألفاً وكأنه كان يحارب بخمسة أضعاف هؤلاء . فإذا أرسل أربعة آلاف أو ثلاثة آلاف إلى مكان يغنون فيه فذاك أجدى من تسيير الجيش كله أو تسيير عدد منه يربو على الحاجة الضرورية . . فإن طرأ في خلال مسيره ما ليس في الحسبان فمعوله في الحالة على سرعة خاطفة كسرعة الباشق (البازي) وهو ينقض على فريسته ، فلا تشعر الفرقة التي أشخصها إلى مكانها بالحاجة إليه حتى يكون معها كأنها لم تفارقه ولم يفارقها .

فهي شجاعة ويقظة وخبرة وسرعة ومعرفة بما هو لازم في وقت لزومه ، ولم تخذله خصلة من هذه الخصال قط في ساحات فارس ولا في ساحات الشام مع اختلاف الميادين واختلاف الأحوال واختلاف الأعداء» (١) .

وقد قسم خالد جيشه إلى ثلاثة أقسام ليسير كل قسم من طريق مختلف ، فقدم المثنى على رأس فرقة ثم ألحق به عدي بن حاتم صاحبه في حرب بني أسد ، ثم لحق بهم على رأس جيشه وواعدهم موضعاً إلى الجنوب الغربي من البصرة

(١) عبقرية خالد ، ص ١٢٦ .

الآن ، ولعله توخى تسهيل السقي والمرعى بهذا التقسيم ، ثم اختبار الطريق بقيادة الرجل الذي كانت له سابقة الدراية بهذه الدروب (١) .

وفي العراق خاض خالد بن الوليد معارك ذات السلاسل والمذار والولجة وأليس ثم الحيرة وذات العيون وعين التمر ثم دومة الجندل والحصير والخنامس والمصيخ والثني والزميل والفراض ثم انتقل إلى الشام (٢) .

وفي معركة ذات السلاسل طلب القائد الفارسي « هرمز » خالداً للمبارزة قبل التحام الجيش ، وقد أضمر نية الغدر حيث أوكل إلى مجموعة من فرسانه إذا خرج خالد بين الصفين والتحم المتبارزان (ظناً منه أن المبارزة ستطول) أن يهجموا هجمة واحدة فيقتلوا خالداً ومن ثم ينقض جيش الفرس بما فيه من تفوق العدد والعدة على المسلمين فينهوهم عن بكرة أبيهم ، إلا أن خالداً فارس المبارزة وبطل الأسنة قضى على هرمز من بدايات الجولة الأولى ، وفيما هو منشغل بالإجهاز عليه إذ فوجئ بهجمة الفرسان الفارسية التي أعدت لذلك . وما هي إلا لمحة بصر أو أقل وإذا بالقعقاع يصيح بالمسلمين وينقض على الفرس حامياً لظهر خالد(٣) ويشتبك الجيشان ويشتد القتال حتى فر الفرس مدبرين وقد كثر بهم القتل وهم في سلاسلهم التي ربطوا أنفسهم بها ، وسميت هذه المعركة بذات السلاسل (٤) .

وقد علم الفرس بعد قتل هرمز وتشتت جيشه أن الهجمة القادمة على المدائن عاصمة ملكهم . فجهزوا جيشاً عظيماً بقيادة قارن بن قريانس ومعاونه أميران من بيت أردشير واتجهوا إلى مذار (٥) .

---

(١) عبقرية خالد ، ص ١٢٧ .
(٢) المدرسة العسكرية ، ص ١٩ .
(٣) الطريق إلى المدائن ، ص ٢١٨ بتصرف .
(٤) الكامل في التاريخ ٢/ ٢٣٩ .
(٥) الطريق إلى المدائن ، ص ٢٢٣ .

وما إن علم المثنى بن حارثه بقدوم هذا الجيش العظيم حتى كتب إلى خالد يطلب النجدة فتحرك إليه خالد في مذار ووصل إليه وهو بكامل تعبئته واستعداده والتقى الجيشان واشتبك الأبطال . وقتل في تلك المعركة من الفرس ما يقارب ثلاثين ألفاً . ولولا النهر ولياذ الفرس بالسفن لما فلت من الموت منهم أحد[١] .

وبعد هاتين الهزيمتين استنجد الفرس بحلفائهم من العرب . ظناً أن هناك سراً في قتال العرب والعرب أعرف ببعضهم في فنون القتال . وجمعوا جيشاً عظيماً من الفرس والعرب في منطقة الولجة [٢] .

وسار خالد إلى الولجة . وقبل أن يصل إليهما عزل فرقتين من جنوده لتحمي ظهر الجيش وتظهر على المعركة بعد بدئها لتكون سنداً للجيش المسلم ترفع من همته وتذكي حماسه وتخذل العدو .

وبدأ القتال وطالت المدافعة والمراوغة بين الجيشين قبل أن يظهر الكمين وبوادر النصر تنتقل تارة إلى المسلمين وتارة إلى الفرس وحلفائهم ، وبعد أن أعيى الجيشين القتال وطول الصبر والمجالدة ظهر الكمين الأول فارتفعت معنويات المسلمين واندهش الفرس وقبل أن يفيقوا من دهشتهم ، وإذا بالكمين الثاني يظهر مكبراً فما كان من الفرس إلا أن تولاهم إعياء اليأس بعد إعياء الصبر والمجالدة . فولوا مدبرين وقد كثر فيهم القتل والأسر[٣] حتى ولى قائدهم الأندر منهزماً فمات عطشاً[٤] . وهكذا حقق اللّه النصر بفضله ثم بحكمة القائد الفذ ابن الحروب وفارس الخطط العسكرية .

وما إن سمع الشاهنشاه بتلاحق الهزائم على جيوشه حتى أعد جيشاً عظيماً وعسكر في منطقة «أليس» وانضمت إليه القبائل العربية الموالية للفرس[٥] وقد

---

(١) قادة فتح العراق والجزيرة ، ص ١٢٣ .
(٢) عبقرية خالد ، ص ١٢٩ .
(٣) المنتظم ٤/ ١٠٢ .
(٤) المنتظم ٤/ ١٠٢ .
(٥) قادة فتح العراق و الجزيرة ، ص ١٢٥ .

أسندت قيادة هذا الجيش إلى بهمن جاذويه الذي تأخر عن الخروج مع جيشه ليلقى مولاه الشاهنشاه يباحثه في بعض الأمور ويأتي منه بمدد يقوي به جيشه حيث أناب عنه قائداً يدعى جابان وقال له وهو يودعه: «كفكف نفسك وجندك عن قتال القوم حتى ألحق بك»(١) .

وبعد وصول جيش الفرس إلى «أليس» ظلوا ينتظرون قائدهم وأمروا بتهيئة الطعام. ظناً منهم أن المعركة لن تبدأ إلا بعد وصول القائد وبعد التفاوض، ومن المهم أن المعركة لن تبدأ إلا بعد المبارزة كما اعتادوا في حروبهم(٢) .

إلا أن خالداً الذي كان على أهبة الاستعداد دائماً لما رأى حالهم وانشغالهم بالطعام داهم القبائل العربية وحدها فقتل قائدها وأثخن القتل في صفوفها ومن ثم ثار الفرس إلى السلاح مكرهين قبل وصول قائدهم، والتحم الجيشان وثبت كل من الفريقين إلا أن ثبات العقيدة كان أطول وأصلب. وما هي إلا سويعات حتى ولى الفرس مدبرين غير مقبلين، وقد قتل منهم سبعون ألفاً(٣) .

وفي أثناء هذه الانتصارات المتتالية تزف إلى المسلمين فرحة كبيرة وهي تسليم الحيرة من غير قتال. وللحيرة صدى ومكانة في نفوس العرب، فهي بلد الشعر والبلاغة ومنها النابغة الذبياني (٤) وذلك بعد محاصرتها ودخول الخيل إليها، وقد صالحهم خالد على مائة ألف وتسعين ألفاً في كل سنة(٥) وبهذا استطاع خالد أن يسبق عياض بن غنم إلى الحيرة .

كان كل ما يحدث والخليفة الصديق يرقب جيوشه ويتلقى الأخبار أولاً بأول، فمن جيوشه ما هزم ومنها ما هو في تردد بين نصر وغيره إلا جيش خالد الذي تتوالى انتصاراته واندحار عدوه، فقال الصديق وهو يبلغ الناس أنباء الظفر ليزفوا بشراها إلى الجزيرة العربية: «يا معشر قريش. . عدا أسدكم على

---

(١) الطريق إلى المدائن، ص ٢٣٤ .
(٢) عبقرية خالد، ص ١٣٠ .
(٣) المنتظم ٤/ ١٠٣ .
(٤) عبقرية خالد، ص ١٣٣ .
(٥) المنتظم ٤/ ١٠٤ .

الأسد فغلبه على خراذيله . . أعقمت النساء أن يلدن مثل خالد» [١] .

وهذه شهادة من الخليفة الصديق قد ترجمتها أفعال خالد قبل في المرتدين وتأكدت في فتح بلاد فارس والرومان .

وأرسل الخليفة إلى خالد أن ينتظر ولا يتعدى الحيرة حتى يلحق به زميله عياض بن غنم ، لكي يأمن كل منهما الطريق من خلفه ، وهذه حيطة من الخليفة للجيوش الإسلامية لئلا تتوغل في أرض فارس وهي لم تأمن بعد من تلك الجيوش المهزومة . وفعلاً وقف خالد عن المسير ما يقارب سنة[٢] تعرض خلالها لكثير من الحوادث التي دل تصرفه فيها على تفوقه العسكري وحسن تصرفه .

ومن تلك المواقف أن خالداً في معركة «أليس» غنم سفناً كثيرة من الفرس فأركب جيشه فيها ليريح مطاياه بعض الوقت ، وما إن قطع بعض المسافة حتى جف النهر وذلك لأن الفرس لما علموا بذلك انطلقوا إلى قناطر الحيرة وحبسوا الماء عن مجراه . ولو أن أحداً غير خالد من أهل البادية الذين ما عرفوا إلا سفن الصحراء (الإبل) لنزلوا إلى جمالهم وتركوا السفن ، ولكن خالداً ذلك القائد الذي بلغ به تفوقه أن يتقلب في الحروب والمكائد كما يتقلب السمك في الماء . . . انطلق مع فرقة من جيشه إلى القناطر وأطلقوا الماء ولبثوا هناك في حراستها وفي انتظار السفن حتى ارتفعت براكبيها فوق الماء[٣] .

وفي موقعة الأنبار حفر العدو خندقاً ثم احتموا وراءه بحصن ينظرون إلى المسلمين من فوقه ساخرين ومستهزئين ماذا سيصنع العرب الذين ما عرفوا إلا الصحراء ؟ لكنهم لم يعرفوا حقيقة قدرات خالد العقلية الذي ما إن رأى الخندق حتى أمر بنحر الإبل العجاف وإلقائها فيه ، ومن ثم دعا جيشه للعبور عليها . فأصبح من في الحصن سجناء بين يديه يتوسلون إليه أن يجردهم من أموالهم

(١) خالد بن الوليد المخزومي ، ص ١١١ .
(٢) عبقرية خالد ، ص ١٣٤ .
(٣) عبقرية خالد ، ص ١٣٤ .

ومتاعهم وأن يبقيهم أحياء فأجابهم لما أرادوا [١] .

وفي موقعة أخرى في عين التمر علم خالد أن عقة بن عقة قد جمع حشوداً من تغلب وأياد وأصحاب المتنبئة سجاح ، ليوهم الفرس أنه ند للعرب وأنه أخبر بهم من غيرهم . وقد علم خالد ما في نفس عقة من الكبر والخيلاء فأراد أن يلقنه درساً يعتبر به غيره فما إن التقى الجيشان حتى قال خالد لمن حوله : اكفونا ما معه فإني حامل عليه بنفسي، وفعلاً احتضنه خالد وحمله أسيراً أمام مرأى من الجند[٢] ، رغم صعوبة الأسر في المبارزة . وهذه هي طريقة خالد في توجيه الهجمة الأولى على قائد الجيش ليشل حركته ويوهن عزيمته، وفعلاً ما هي إلا سويعات حتى ولى جيش العدو مدبراً .

ومن جهة أخرى فإن عياض بن غنم قد طالت عليه المدة حيث اجتمعت لحربه القبائل في دومة الجندل . وأخذت تساندها القبائل العربية التي هزمها خالد. ولما علم عياض بن غنم بانتصارات خالد . أرسل إليه يستشيره ويستنجده. فما كان من خالد إلا أن لبى الدعوة وكان بينه وبين دومة الجندل أسبوعان فقطعها في عشرة أيام . وهنا نرى أسلوب حل المشكلات بطرق إبداعية. وما إن وصل خالد حتى وجد حصن الدومة مكتظاً بمن فيه حتى إن جيوش العدو قد عسكرت بالعراء فجعل خالد العدو بينه وبين عياض، وتولى عياض القتال وحده بعد أن ارتفعت معنويات جيشه بوصول جيش خالد، وما هي إلا سويعات حتى اشتدت المعركة وثبت المسلمون ووثبوا على عدوهم وثبة رجل واحد. حتى فر الأعداء من أرض المعركة يريدون الحصن إلا أن خالداً سابقهم الحصن وحال دون النازلين في الحصن ومن حوله، والتحمت الجيوش حتى أعز اللّه جنده وهزم عدوه[٣].

---

(١) قادة فتح العراق والجزيرة ، ص ١٢٩ .

(٢) المنتظم ٤/١٠٧ .

(٣) عبقرية خالد ، ص ١٣٩ .

وبعد دومة الجندل تحرك خالد بجيشه إلى الفراض حيث وقعت هناك معركة تعتبر من أكبر المعارك التي تشهد لخالد بحنكة القيادة والتفوق العسكري ولعل الفراض كانت آخر أعمال خالد العسكرية في العراق، والفراض تقع في أعلى العراق بين الفرس والروم . وقد اجتمع هناك الكثير من عرب البادية وبعض الفرس وجيش دولة الرومان الشرقية [(١)] وما إن تقابل الجيشان حتى قال الروم مثلما قال الفرس لأبي عبيدة إما أن تعبروا إلينا وإما إن نعبر إليكم، فلم يصنع خالد مثلما صنع أبو عبيدة . بل قال لهم اعبروا أنتم إن شئتم. وتركهم يعبرون ليحصرهم بينه وبين النهر حتى لا يفر منهم أحد ثم أمر الفرسان وأهل الرماح أن يعزلوهم مجموعات متفرقة ويضيقوا عليهم مسالكهم، ثم يقضوا عليهم مرة واحدة ، وهم أشبه بمن قيد إلى حبل المشنقة لا حول له ولا قوة[(٢)] .

هكذا كان حال المسلمين في بلاد فارس انتصاراً يتلوه انتصار ، وقد دوخ خالد الفرس ومهد للفتح ، إلا أن حال المسلمين في بلاد الروم لم تكن كذلك فقد تأخر الفتح هناك على أيدي كبار القواد من كبار الصحابة . فما كان من الخليفة إلا أن أمر خالداً بالتوجه إلى الشام وأن يكون أمير الجماعة عند التقائه بأبي عبيده وكان الخليفة يقول : «لأنسين الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد»[(٣)] .

وما إن كُلف خالد بالتوجه إلى الشام ، حتى أخذ يسأل عن أقرب الطرق وأسرعها وكان هناك عدة طرق منها ما هو كثير الماء والكلأ إلا أنه كثير الناس الذين قد يعترضون الجيش ويؤخرون وصوله في الوقت المناسب. وهناك طريق كثير الماء والكلأ إلا أنه طويل قد تطول أيام المسير فيه ، كما أن هناك طريقاً قصيراً إلا أنه وعر وقليل الماء والكلأ . فما كان من خالد إلا أن اختاره وسار فيه بعد أن أخذ الأدلاء [(٤)] ، وفعلاً استطاع خالد أن يصل إلى الشام في ثمانية عشر

---

(١) الطريق إلى المدائن ، ص ٣١٠ .
(٢) عبقرية خالد ، ص ١٣٨ .
(٣) الطريق إلى دمشق ، ص ٢٣٩ .
(٤) الكامل في التاريخ ٢/ ٢٥٧ .

يوماً . لأنه كان يطوي مسافة اليومين في يوم واحد كما قال الشاعر : «في اليوم يومين رواحا وسرى . . . »[(١)] . وكان عدد جيشه عشرة آلاف مقاتل .

وكان الخليفة قد سير إلى الشام قبل قدوم خالد عدة جيوش بقيادة كل من يزيد بن أبي سفيان على رأس ستة آلاف أو سبعة إلى دمشق ، وسير شرحبيل ابن حسنة على مثل هذا العدد إلى الأردن ، وسير عمرو بن العاص على رأس جيش يزيد على ذلك قليلاً إلى فلسطين، وسير أبا عبيدة بن الجراح على رأس خمسة آلاف أو ستة آلاف إلى الجابية .

وقد نجحت هذه الجيوش في مهامها وتقدم بعضها إلى دمشق وبعضها إلى حمص وبعضها أوغل في فلسطين . فلما علم قادة الجيوش الإسلامية أن قيصر الروم يستعد لهم بجيش عظيم في أنطاكية وجيش آخر بجوار بيت المقدس وبلغت عدة الجيش الأول كما يقول بعض المؤرخين مائتين وأربعين ألفاً ، وعدة الجيش الثاني سبعين ألفاً تراجع قادة الجيوش الإسلامية بعد التشاور إلى الجنوب ليتجمعوا قبل أن يتلاقى الجيشان الرومانيان ويشتبكا بهم وهم متفرقون ومتباعدون، ولعلهم في تراجعهم يصبحون أقرب إلى الأمن إذا حاربوا وظهورهم إلى الصحراء ، وقد عرفوا أن الجيوش الرومانية تقف عند حدودها ولا تجسر أن تخوض الصحراء[(٢)] .

وفعلاً اجتمعت الجيوش الإسلامية ، لتصبح جيشاً واحداً يواجه جيش الروم العظيم وذلك في أرض اليرموك ، وقد رضي كل من الجيشين بموقعه من أرض اليرموك للموقعة الفاصلة التي لها ما بعدها . ونزل الروم في منزل لا يحسدون عليه بل قد أفرح المسلمين لأن الروم قد حصروا أنفسهم بين النهر والبحيرة والوادي وجيش المسلمين حتى قال عمرو بن العاص حين رآهم :

---

(١) عبقرية خالد ، ص ١٤٣ .
(٢) عبقرية خالد ، ص ١٤٥ بتصرف .

«أيها الناس أبشروا . . حصرت واللّه الروم»، وقلما جاء محصور بخير(١) .

وقد تحاجز الجيشان عدة أشهر كلاهما ينظر كيف يبدأ الآخر وكل منهم ينظم قواته . فما كان من قائدنا الفذ ذي الخبرة العسكرية والدراية بنفوس القواد إلا أن صرف همه الأول إلى تنظيم الفرق جميعاً في تعبئة واحدة يقودها رجل واحد ويظهر منه مبدأ الإيثار وعدم الأنانية ، فخطب في القواد وأوصاهم بالتقوى والإخلاص وعدم الغرور . وحثهم على القتال وأن له ما بعده ، ثم قال : «فهلموا نتعاور الإمارة فليكن عليها بعضنا اليوم والآخر غداً والآخر بعد غد حتى يتآمر كلكم ودعوني إليكم اليوم (٢) .

قال بعض المؤرخين : إن خالداً لما كتب إليه أبو بكر بقصد الشام أمره على جميع الجند ، وقال بعضهم بل أمره على جنده فقط ، والظاهر أن الرواية الثانية أصح لما ذكره ابن الأثير والطبري من أن خالداً لما انتهى إلى المسلمين في اليرموك، وجد الأمراء متساندين كل أمير على جنده فرغب إليهم أن يؤمروه عليهم جميعاً فأمروه (٣) .

والذي يظهر لنا أن كتاب أبي بكر لخالد بأن يكون أميراً على الجماعة عند التقائه بأبي عبيدة ، القصد من الجماعة جيش أبي عبيدة وجيش خالد فقط . ولو كان خالد أميراً عاماً لما ترك الروم يطاولون في القتال لعدة أشهر بل لدبر الأمر لدحرهم منذ وصوله إلى اليرموك .

فأقام خالد أبا عبيدة بن الجراح في القلب وعمرو بن العاص على الميمنة ويزيد بن أبي سفيان على الميسرة وقسّم الجيش إلى كراديس وجعل على كل

---

(١) البداية والنهاية ٦/ ٧ .
(٢) الكامل في التاريخ ٢/ ٢٥٩ .
(٣) أشهر مشاهير الإسلام ، ص ١٦٧ .

منها قائداً معروفاً من أمثال: القعقاع بن عمرو وأبي عبيدة وعكرمة بن أبي جهل، وعياض بن غنم ويزيد بن أبي سفيان [١] وقد بلغ عدد الكراديس ثمانية وثلاثين[٢] معظمها في القلب، وقيل: إنها تصل الأربعين[٣]، وطريقة الكراديس أصلح للنفاذ بين الصفوف وأدعى للتنافس بين المقاتلين وتمييزهم بالتبعة أو بالثناء.

وبدأ القتال بين الجيشين بعد أن اختير في يوم ريح سموم سافياء في حمارة القيظ وكانت طاقة المسلمين به أكبر من طاقة الروم [٤] . ثم اشتبك الجيشان وكثر القتلى إلا أن المسلمين صبروا وثبتوا أمام العدو كل جندي يؤدي الدور المطلوب منه في مصابرة لا نظير لها، فهذا عكرمة يصيح مؤنباً نفسه: «قاتلت رسول الله في كل موطن وأفر اليوم؟ من يبايع على الموت؟»، فبايعه أربعمائة من الفرسان المغاوير وثبتوا أمام العدو [٥] .

ثم حمل خالد بن الوليد بالخيل على ميسرة الروم التي حملت على ميمنة المسلمين فأزالوهم إلى القلب، وقتل المسلمون في حملتهم هذه ستة آلاف من الروم. ثم حمل بمائة فارس على مائة ألف من الروم فانهزموا أمامهم بإذن الله[٦].

وكان خالد يقاتل ويرمق أرض المعركة وكيف تدور. فلما رأى خيل العدو وما تقوم به من هجمات ضد المسلمين حمل بمن معه وعزل بين خيل العدو ومشاته فتضايقت الخيل وعجزت عن الجولان وولت هاربة فأخلوا لها الطريق، ورجع المشاة إلى الخنادق فلحق بهم المسلمون وأحاطوا بهم من ورائهم فشاع

(١) خالد بن الوليد المخزومي، ص ١٤٠ .
(٢) الطريق إلى المدائن، ص ٣٥٨ .
(٣) المنتظم ٤/ ١١ .
(٤) عبقرية خالد، ص ١٥١ .
(٥) الكامل في التاريخ ٢/ ٢٦١ .
(٦) البداية والنهاية ٧/ ١٢ .

بينهم الذعر وأعمل فيهم المسلمون السيوف والرماح . حيث أخذ الروم يتساقطون بسلاسلهم التي ربطوا أنفسهم بها جماعات لتزيدهم ثباتاً إلا أنها عرقلت هروبهم ومكنت المسلمين من رقابهم . وهكذا انتصر المسلمون في اليرموك بقيادة سيف اللّه المسلول . وقد قتل من الروم مائة وعشرون ألفاً على الأقل ، واستشهد من المسلمين ثلاثة آلاف [١] .

وبعد معركة اليرموك فر هرقل مودعاً الشام وبخاصة أنه قد نصح قومه قبل اليرموك بالصلح مع المسلمين ودفع الجزية فلم يسمعوا لكلامه [٢] وطارد الجيش الإسلامي فلول الروم حتى أثخنوهم بالجراح وكانت هذه المعركة بداية فتح بلاد الشام بقيادة أبي عبيدة عامر بن الجراح [٣] .

## عزل خالد:

تولى عمر بن الخطاب الخلافة بعد أبي بكر الصديق وجيش المسلمين يحارب الروم في اليرموك بقيادة خالد بن الوليد الذي شاع اسمه وانتصاراته في الجزيرة . . وفي أرض فارس . . وفي الشام . . وعرف بين الناس أن جيش خالد لا يُهزم .

ولمَا لعمر بن الخطاب من عقل ورأي سديد وافق القرآن العظيم في أكثر من موضع ، ولما له من فراسة صائبة . أدرك أن جميع انتصارات المسلمين قد علقت باسم خالد، فخاف الخليفة إن قتل خالد أو مات أن يرتد الناس وينقلبوا على أعقابهم، وفي نفس الوقت قد تضعف همم المسلمين وحماسهم للحروب في حالة موت خالد، فأراد الخليفة الجديد أن يثبت للناس أن النصر ليس مربوطاً بخالد وحده وإنما هناك من القادة الأكفاء من يمكنهم أن يقوموا بما

---

(١) البداية والنهاية ٧/ ١٣ بتصرف .

(٢) البداية والنهاية ٧/ ٥ .

(٣) قادة فتح العراق والجزيرة ، ص ١٥٠ .

قـام به خالد . . وهذا ما أثبته عمر بن الخطاب حين كتب إلى الأمصار :

«إني لم أعـزل خالداً عن سـخط ولا عن خيـانة ، ولكن النـاس فَخّموه وفُتنُوا به ، فخفـت أن يوكلوا إليه ، فأحببت أن يعلموا أن اللّه هو الصانع ، وأن لا يكونوا بعرض فتنة»(١) .

وفي رواية قال عمر :

« واللّه لأنزعن خالداً . . حتى يُعلم أن اللّه ينصر دينه » (٢) .

ونشهد موقفاً عظيماً لخالد بن الوليد الذي أتاه البريد وهو يقاتل الروم في اليرموك ويستل النصر بما فيه من صعوبة واستحالة من الروم . وقرأ خالد الكتاب الذي فيه تحية الفاروق الخليفة الجديد للجيش المسلم ونعيه لأبي بكر الصديق ، ثم الأمر بتنحية خالد عن القيادة وتولية أبي عبيدة بن الجراح مكانه(٣) .

وبعد أن قرأ خالد الكتاب طلب من حامل الكتاب وهو محمية بن زنيم ألا يبوح لأحد بما فيه وألزمه مكاناً أمره ألا يغادره ولا يتصل بأحد ، واستأنف خالد قيادة المعركة مخفياً ما حدث حتى تحقق النصر في تلك المعركة (٤) ولم يرد خالد أن يعلن للجنود ما حدث في أثناء القتال حتى لا يحدث تخاذل في صفوف المسلمين(٥) وفي رواية أن أبا عبيدة علم بعزل خالد قبل أن يعلم خالد بذلك فلم يخبره بذلك إكراماً له وإجلالاً .

وبعد انتهاء المعركة سلم خالد القيادة العامة للجيش لأبي عبيدة وقال

---

(١) قادة فتح العراق والجزيرة ، ص ١٦٠ .
(٢) الاستيعاب ٢/ ٧٩٤ .
(٣) الكامل في التاريخ ٢/ ٢٦٠ .
(٤) المنتظم ٤/ ١١٩ .
(٥) موسوعة عباقرة الاسلام ، ص ٢٣٠ .

للناس عن أبي عبيدة: «بعث عليكم أمين هذه الأمة»، وقال أبو عبيدة للناس عن خالد: سمعت رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يقول:

**"خالد سيف من سيوف اللّه ، ونعم فتى العشيرة"** (١) .

ويعتبر هذا الموقف من خالد ضرباً من ضروب السمع والطاعة والجندية الكاملة، فهو الرجل الذي أينما وقع نفع، ولو أن هذه الحادثة وقعت لأحد قواد العصر الحديث لقلب الدنيا رأساً على عقب وما رضي أن يرجع جندياً في الجيش . ولرأيناه ينشق عن الدولة ويطلب اللجوء السياسي .

إلا أن خالداً طراز فريد من نوعه فقد ضرب أروع الأمثلة في إنكار الذات لصالح الدولة وللصالح العام وقبل هذا وذاك فإنه يسعى إلى مرضاة اللّه . وليست الدنيا بأكبر همه .

وبقي خالد في الجيش جهده المبذول وهو أمير يطاع كجهده المبذول هو جندي مطيع(٢)، فقد اشترك في كثير من المعارك تحت قيادة أبي عبيدة بن الجراح كما أرسله أبو عبيدة على رأس جيش لفتح قنسرين ومرعش (٣) .

وقد قضى خالد بقية أيامه بعد عزله في مدينة حمص - زهاء أربع سنوات - وانتهت حياته بين سنة إحدى وعشرين واثنتين وعشرين (٤) .

وقد أوصى -رحمه اللّه- بتركته إلى عمر بن الخطاب (٥) ، ولم يدع بعد موته إلا فرسه وسلاحه وغلامه ، فقال عمر رضي اللّه عنه : رحم اللّه أبا سليمان، كان على ما ظنناه به (٦) .

---

(١) حديث صحيح في الجامع الصغير وزيادته حديث رقم ٣٢٠٨ .
(٢) رجال حول الرسول ، ص ٣٨٢ .
(٣) قادة فتح العراق والجزيرة ، ص ١٥٤ - ١٥٦ .
(٤) عبقرية خالد ، ص ١٨١ .
(٥) خالد بن الوليد المخزومي ، ص ١٦٢ .
(٦) صور من سير الصحابة ، ص ٦٦٣ .

ولما أحس عمر بالموت قال : لو أدركت خالد بن الوليد لوليته ، فإذا قدمت على ربي فسألني : من وليت على أمة محمد ؟ قلت : أي ربي ، سمعت عبدك ونبيك يقول : خالد سيف من سيوف الله ، سله الله على المشركين[(١)] وعند وفاة خالد بن الوليد قال قولته الشهيرة : «شهدت مائة زحف أو زهاءها ، وما في جسدي موضع شبر إلا وفيه ضربة أو طعنة أو رمية ، ثم ها أنا ذا أموت على فراشي كما يموت البعير فلا نامت أعين الجبناء» [(٢)] .

**الدروس المستفادة :**

ـ مشروعية مهاجمة العدو الذين يخاف شرهم وذلك تأميناً للدولة ونشراً للإسلام مما يقوي شوكة الإسلام ويزيد من هيبته .

ـ إن القوة العسكرية لم تنحصر فقط في خالد بن الوليد ، بل كانت ظاهرة في ذلك المجتمع ولعل من أبرز متفوقي القوة العسكرية القعقاع بن عمرو الذي قال فيه أبو بكر الصديق : «لصوت القعقاع في الجيش خير من ألف رجل»[(٣)] .

ومما يثبت تفوق القعقاع ما أظهره من شجاعة وسرعة بديهة عندما أنقذ خالداً من غدر الفرس في معركة ذات السلاسل .

ـ مشروعية الخدعة في الحرب كما فعل خالد بن الوليد في معركة الولجة عندما عزل من جيشه كمينين وجعلهم يباغتون العدو ليوهنوا من عزمه ويرفعوا معنويات المسلمين .

ـ يعتبر بث روح التنافس من المبادئ التي اعتمد عليها المسلمون في حروبهم، ومن أمثلة ذلك ما فعله أبو بكر الصديق عندما أرسل خالد بن الوليد

---

(١) خالد بن الوليد المخزومي ، ص ١٦٣ .
(٢) خالد بن الوليد المخزومي .
(٣) الطريق إلى المدائن ، ص ٢٠٨ .

وعياض بن غنم كلاً منهما على رأس جيش وقال : من وصل الحيرة أولاً فهو الأمير . ومن الأمثلة كذلك ما فعله خالد بن الوليد بتقسيمه جيشه كل بني أب على راية .

ـ يجب على القائد ألا يستأثر بكل شيء له ، بل عليه أن يتقرب إلى الناس ويتنازل عن بعض حقوقه ليبقى محبوباً من الجميع ، وخير مثال على ذلك ما فعله خالد بن الوليد في معركة اليرموك عندما طلب من قواد الجيوش السابقين أن يتبادلوا الإمارة فيما بينهم كل يوم لواحد مع أن الخليفة أبا بكر الصديق قد عيّن خالداً قائداً عاماً للقوات (كما جاء عند بعض المؤرخين) . ويعتبر هذا التصرف لخالد من حسن التعامل مع الناس وكسبهم . فلعل بعض القواد ما زال في نفسه شيء من حب القيادة مع أن القواد كلهم من أجلاء الصحابة إلا أن خالداً أراد أن يقضي على وساوس الشيطان .

ـ يجب على المسلم أن يكون إيجابياً في كل عمل يشترك فيه كما فعل عكرمة بن أبي جهل في معركة اليرموك حيث بايع أربعمائة من الفرسان المغاوير على الموت أو النصر ، والإيجابية لا تكون في الحروب فحسب بل تكون في كل عمل يشترك فيه الإنسان سلماً أو حرباً .

ـ ومن أعظم الدروس وأكثرها وقعاً على النفس هو إنكار الذات لأجل الصالح العام ، وهذا ما فعله خالد بن الوليد في معركة اليرموك حيث عزل من القيادة العامة للجيوش ليصبح جندياً عادياً في الجيش ، ولم يحمل في نفسه شيئاً من العصيان أو الكيد بل نفّذ الأمر بكل رحابة صدر ، إنها التربية الإيمانية والجندية الحقيقية الملتزمة بأوامر القيادة مهما كانت ثقيلة على النفس ، ويجدر بالمعلمين أن يعلموا أبناءهم على إنكار الذات وعدم الأنانية ويدربوهم على الإيثار والعمل للصالح العام ، وهذا ما يُسهم فيه التعلم التعاوني .

## شهادات واعترافات بتفوقه العسكري:

قدم خالد بن الوليد الكثير من الأعمال البطولية والانتصارات الساحقة ما يشهد بتفوقه العسكري وذكائه، ويكفي خالد بن الوليد عزاً وفخراً ما شهد به المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام الذي لا ينطق عن الهوى إنما هو وحي يوحى في قوله لخالد: **"كنت أرى لك عقلاً رجوت ألا يسلمك إلا إلى الخير»**(١).

ومما يشهد بتفوقه العسكري كذلك ما قاله خليفة رسول اللّه -صلى اللّه عليه وسلم- والقائد الأعلى للدولة الإسلامية عندما جمعت الروم مائتي ألف جندي لمحاربة جيوش المسلمين في الشام، فأرسل أبو بكر إلى خالد بن الوليد في العراق وأمره أن يتجه إلى الشام ويتولى قيادة الجيوش الإسلامية هناك، وقال رضي اللّه عنه قولته المشهورة:

«واللّه لأنسين الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد»(٢).

ومما يؤكد تفوقه العسكري وقوة دافعيته للجهاد في سبيل اللّه ما قال -رضي اللّه عنه- عن نفسه:

«كنت وما ليلة يهدى إليّ فيها عروس أنا لها محب أو أبشر فيها بغلام أحب إليّ من ليلة شديدة الجليد في سرية من المهاجرين أصبح بهم العدو فعليكم بالجهاد»(٣).

وعلى الرغم من أن المسيرة العسكرية لخالد بن الوليد تمتد في أعماق التاريخ لألف وأربعمائة عام تقريباً إلا أن أعماله العسكرية تعتبر بجميع المقاييس والمعايير المعمول بها في عالمنا اليوم وبدون تحيز أو محاباة أعمالاً

---

(١) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٩٤.
(٢) ذكر المرجع سابقاً.
(٣) قادة فتح العراق والجزيرة، ص ١٧١.

عسكرية سابقة لعصرها بعدة آلاف من السنين ، وأمامنا الجنرال الألماني مولتكه أعظم قادة الألمان في العصر الحديث يقول متفاخراً: «إن أستاذي في القيادة هو خالد بن الوليد» وهناك روميل ثعلب الصحراء الشهير يقول : «إن مثلي الأعلى هو خالد ابن الوليد»[١] .

## أبرز خصائص التفوق لديه:

لقد تميز خالد بن الوليد بكثير من الخصائص التي تدل على تفوقه ، وتظهر تلك الخصائص بوضوح من خلال تكرارها في معاركه بحيث نستطيع أن نستخلص من المعركة الواحدة الكثير من خصائص التفوق . ولعل من أهم الخصائص ما يلي :

١ ـ **القائد الفذ** : تميز خالد بن الوليد بكثير من الصفات القيادية التي حققت له الكثير من الانتصارات والفتوح مما خلد اسمه في التاريخ وجعله قدوة للأولين والآخرين من المسلمين وغير المسلمين كما قال كل من الجنرال الألماني مولتكه وروميل[٢] .

يقول القائد الركن محمود شيت خطاب : « لا أعرف قائداً عبقرياً في تاريخ المسلمين غير الرسول صلوات الله وتسليمه عليه ، يمكن أن يفضل على القائد العبقري خالد بن الوليد» [٣] .

قاد- رضي الله عنه- الكثير من المعارك في الجاهلية والإسلام ولم يهزم قط في المعارك التي كان يقودها إلا أنه خسر في بعض المعارك الجاهلية التي شارك فيها عندما كان مشركاً ولعل السبب هو أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان خصمه مثل بداية غزوة أحد وغزوة الأحزاب ، فتغلبت قيادة

---

(١) المدرسة العسكرية ، ص ١٧ .

(٢) ذكر سابقاً تحت عنوان شهادات واعترافات بتفوقه .

(٣) خالد بن الوليد المخزومي ، ص ٢٤٩ .

الرسول -عليه الصلاة والسلام- وحكمته على عبقرية خالد بن الوليد.

وكان خالد يقاتل أكثر من أي فرد من رجاله فيضطر لتبديل سيفه أكثر من مرة كما فعل في غزوة مؤتة .

ولكي ندرك عظم قيادة خالد علينا التمعن فيما سيأتي من خصائص .

**٢ ـ العمر العقلي أكبر من العمر الزمني** : عُرف خالد برجاحة عقله واتزانه منذ الجاهلية ، لذلك صارت إليه الأعنة والقبة من بين رجال قومه بالرغم من حداثة سنه حين تولى هذين المنصبين الخطيرين .

كما انتخب في غزوة مؤتة لقيادة الجيش بالرغم من وجود كثير من كبار الصحابة وأولي السبق في الإسلام .

وحسب خالد شهادة رسول اللّه -عليه الصلاة والسلام- برجاحة عقله عندما قال : «قد كنت أرى لك عقلاً رجوت ألا يسلمك إلا إلى خير»(١) وقال عنه : «ما مثل خالد من جهل الإسلام»(٢) ومن يتمعن في إنجازات خالد وانتصاراته يدرك أن مثلها أو قسماً منها لا يمكن تحقيقه إلا بتفكير عميق .

**٣ ـ القوة البدنية والصحة الجسمية** : لقد كان خالد متكامل الخلقة قوياً، طويلاً ضخماً بعيد ما بين المنكبين، واسع الهيكل (٣) .

كما كان متفرغاً للتدريب مما يزيد قابليته لتحمل المشاق العسكرية ولا نعرف أنه أصيب بأمراض تقعده عن العمل ، كما أنه تولى قيادة فرسان المشركين في الجاهلية وهو في ريعان شبابه ، وقاد المسلمين- رضي اللّه عنه- في كثير من المعارك وهو في أوج شبابه وقوته (٤) .

---

(١) ذكر المرجع سابقاً .

(٢) طبقات ابن سعد (٧/ ٣٩٤) .

(٣) خالد بن الوليد المخزومي ، ص ٢١٢ .

(٤) خالد بن الوليد المخزومي ، ص ٢١٢ بتصرف .

لقد كان خالد يتمتع بلياقة بدنية عالية ظهرت من خلال معاركه التي خاضها فوق أرض العراق وقام بتنفيذها خلال العام الثاني عشر من الهجرة والتي بلغ تعدادها نحو خمس عشرة معركة [١] . وكل أعمال خالد كانت تدل على أنه يتمتع بلياقة بدنية عالية .

٤ ـ **الرشاقة وخفة الحركة** : من يتتبع سيرة خالد بن الوليد وخاصة في المعارك يدرك ما يمتلكه من رشاقة وخفة حركة غير عاديتين ، وهذا ما تتطلبه الحروب على الخيل بالسيوف والرماح وما في تلك المعارك من كر وفر أثناء القتال ، كما عبر امرؤ القيس عند وصفه لجواده أثناء القتال .

مكـر مفر مقبل مُـدبر معاً        كجلمود صخر حطه السيل من عل [٢]

ومهارة الكر والفر تحتاج إلى رشاقة وسرعة حركة غير عاديتين لأن الموقف خطير وأي خطأ أو بطء في الحركة قد ينهي حياة الإنسان لذلك كانت هذه الخاصية شرطاً في الفرسان وأبطال الحروب .

ولنا أن نتذكر ما فعل خالد بن الوليد بهرمز قائد الفرس في معركة ذات السلاسل ، حيث قضى عليه في بداية المبارزة وكذلك ما فعل بعقه بن عقه عندما أسره على مرأى من الجند في بداية موقعة عين التمر ، وهكذا كان خالد بفضل صحته الجسمية ورشاقته البدنية يقضي على مبارزيه بأقصر وقت ممكن .

٥ ـ **الشجاعة وقوة الشخصية** : لقد ذهب خالد بن الوليد إلى مؤتة جندياً بسيطاً إلا أنه عاد إلى المدينة قائداً منتخباً بتزكية جميع أفراد الجيش بما فيهم كبار الصحابة بلا أي معارض ، ولا نشك أن قوة شخصية خالد كانت من ضمن أسباب اختياره قائداً للجيش .

وتبرز شخصية خالد في عدم تردده عند اتخاذ قراراته وعدم الإصغاء لضعاف

---

(١) جواهر الأدب ، ص ٣٦ .
(٢) المدرسة العسكرية ، ص ٢٢ .

الهمة والمترددين ، كما فعل في حروب الردة عند ملاقاة جيش طليحة الأسدي .

كما تظهر قوة شخصيته في شجاعته وإقدامه وهيبة أعدائه منه حيث إنه نصر بالرعب ، فقد سبقه اسمه إلى أطراف الدولتين فحارب أعداءه بهيبته قبل أن يحاربهم بسيفه، قال صاحب دومة الجندل لقومه حين سمع بمسيرة خالد إليه : «أنا أعلم الناس بخالد . لا أحد أيمن طائراً منه ولا أصمد في حرب، ولا يرى وجه خالد قوم أبداً قلوا أو كثروا إلا انهزموا عنه . فأطيعوني وصالحوا القوم»(١) .

وفي معركة اليرموك برز أحد قادة الروم واسمه جرجه في إحدى استراحات المعركة وطلب خالد أن يقابله فقال لخالد : أحقاً أن اللّه أنزل على نبيكم سيفاً من السماء فأعطاكه فلا تسله على قوم إلا هزمتهم ؟

قال خالد : لا .

فقال جرجة : فبم سميت سيف اللّه؟

فقال خالد : أرسل فينا نبينا فاتبعناه وصدقناه وقال لي أنت سيف من سيوف اللّه سله على المشركين ودعا لي بالنصر فسميت سيف اللّه . فدخل الرومي الإسلام ونطق بالشهادتين ودخل في جيش المسلمين(٢) ، وقد توفي رضي اللّه عنه وما في بدنه موضع شبر إلا وفيه ضربة أو طعنة أو رمية(٣) .

٦ ـ **قوة الدافعية** : لقد كانت دافعية خالد قوية للمعارك العسكرية منذ نشأته حيث إنه لم يحترف أي حرفة بل كرّس جهده ووقته على التدريب وتعلّم المهارات القتالية .

ولما كان تفوق خالد في القوة العسكرية فقد بلغت به دافعيته أن يوطن

---

(١) عبقرية خالد ، ص ١١٥ .
(٢) التاريخ الإسلامي ٣/ ١٥١ ، المنتظم ٤/ ١٢٠ بتصرف .
(٣) أسد الغابة ٢/ ٩٥ .

نفسه على طبائع البادية وخشونة العيش كأكله الضب .

ويقول -رضي اللّه عنه- معبراً عن حبه للجهاد وتعلقه به :

« كنت وما ليلة يهدى إليّ فيها عروس أنا لها محب أو أبشر فيها بغلام أحب إليّ من ليلة شديدة الجليد في سرية من المهاجرين أصبح بهم العدو فعليكم بالجهاد»(١) .

**٧ ـ معنويات مرتفعة :** لقد اتبع خالد في كل معاركه أسلوب رفع معنويات رجاله وتحطيم معنويات أعدائه .

ولا يتمتع الإنسان بالمعنويات العالية إلا بعدة عوامل لعل أهمها الثقة بالنفس والقدرة على اتخاذ القرار الصائب . والشجاعة والثقة بالجنود، كما أنهم يطلبون الموت لتوهب لهم الحياة ، وهم بذلك يستشعرون الأجر طالبين الشهادة والجنة .

أطلق الرسول -عليه الصلاة والسلام- على خالد لقب سيف اللّه ، واللقب يساعد في رفع المعنويات ، فعندما انهارت معنويات المسلمين في اليمامة بعد هزيمة جيش عكرمة بن أبي جهل أرسل أبو بكر خالداً إليها ، فانتصر .

كما نصر خالد بالرعب -كما رأينا- في قصة جرجه الروماني ومقولة أكيدر ابن عبد الملك صاحب دومة الجندل .

وفي اليرموك هتف أحد المسلمين : «ما أكثر الروم وأقل المسلمين» ، فأجابه خالد فوراً : «ما أقل الروم وأكثر المسلمين إنما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان لا بعدد الرجال» (٢) .

---

(١) ذكر المرجع سابقاً .
(٢) البداية والنهاية ٧/ ٩ .

**٨ ـ الثقة بالنفس** : تتبدل نفسيات كثير من الرجال لا سيما ما بين الشدة والرخاء إلا أن خالداً لا تتبدل نفسيته سواء في حالة النصر أو الاندحار، فقد كان يستطيع أن يسيطر على أعصابه سيطرة تامة في أحلك المواقف وأشدها، وكذلك في الأوقات التي يكون فيهما متفائلاً منتصراً .

وقد استطاع أن يضبط أعصابه في غزوة حنين عند اندحار مقدمة المسلمين التي كان يقودها ، وثبت مع رجاله بجانب النبي عليه أفضل الصلاة والسلام حتى كتب لهم النصر . وفي مؤتة استطاع أن يقود المسلمين إلى ساحة النجاة ليعود بهم ثانية إلى ساحة النصر في اليرموك .

ومن المواقف التي تشهد له سيطرته على أعصابه عندما أتاه البريد ليخبره بموت أبي بكر وعزله عن القيادة العامة وتولية أبي عبيدة عامر بين الجراح، وكان ذلك في أحرج أوقات المعركة (اليرموك) فلم تتبدل نفسيته ولم يدخله شك أو ريب في قدرته وقيادته، بل قاد المعركة حتى نهايتها وكأن شيئاً لم يحدث .

وكانت ثقته بنصر اللّه ثقة لا حدود لها ، وهو الذي قال لأهلل «قنسرين» : «إنكم لو كنتم في السحاب لحملنا اللّه إليكم أو لأنزلكم اللّه إلينا»(١) .

ومن ثقته بنفسه إقدامه على مبارزة الأبطال في بدايات المعارك ، والقضاء عليهم حيث بلغت به الثقة في موقعة عين التمر عندما أسر قائد العدو عقة بن عقة أن قال لجنوده : «اكفونا ما معه فإني حامل عليه بنفسي»، وفعلاً استطاع أن يحتضنه ويحمله أسيراً أمام جنوده .

---

(١) قادة فتح العراق والجزيرة، ص ١٥٤ .

٩ ـ **النظرة المستقبلية** : كان خالد يفكر في الاحتمالات القريبة والبعيدة التي يمكن أن ينفذها العدو ، ويدخل في حسابه أسوأ الاحتمالات التي يمكن أن يصادفها قبل القتال وفي أثنائه وبعده ، ويعد سلفاً الخطط المناسبة لكل ما يتوقعه من أعمال عدوه ، حتى يمكن وضع تلك الخطط ـ عند الحاجة ـ في موضع التنفيذ دون تردد ولا ارتباك (١) .

في معركة الفراض قال قائد الروم لخالد : «إما أن تعبروا إلينا وإما أن نعبر إليكم»، فقال خالد : «اعبروا »، ذلك لأن خالداً قدر ما يحتمل أن يؤدي إليه العبور من محاذير وأخطار، وفي موقعة «أليس» وصلت قوات المسلمين فوجدت القوات الفارسية تتناول طعامها ، فعاجل خالد الفرس بالقتال فانتصر عليهم، وكان الفضل في ذلك سبق النظر عند خالد الذي كان دائماً على تعبئة كاملة مستعداً للقتال في أية لحظة .

وقد وصفه عمرو بن العاص قائلاً: «له أناة القطاة ووثوب الأسد».

١٠ ـ **المجازفة النابعة من قوة الإرادة** : لقد كانت مجازفة خالد من ذلك النوع المتزن الذي يستند إلى القوة والإرادة الصلبة، ولم تكن مجازفته رضي اللّه عنه مجازفة من حب المجازفة فقط ، فإن هذا النوع الأخير له محاذيره وأخطاره الكثيرة .

لقد كان إقدام خالد لمحاربة أقوى إمبراطوريتين في حد ذاته مجازفة تدل على إرادته القوية، ففي معركة ذات السلاسل مع الفرس كان عدد جيش المسلمين ثمانية عشر ألفاً فقط يقاتلون أضعاف أضعافهم من الفرس(٢) .

وفي اليرموك كان عدد قوات المسلمين ستة وأربعين ألفاً بينما كان الروم في مائتين وأربعين ألف مقاتل (٣) .

---

(١) خالد بن الوليد المخزومي ، ص ٢٢١ .
(٢) قادة فتح العراق والجزيرة ، ص ١١٩ .
(٣) خالد بن الوليد المخزومي ، ص ٢١٧ .

لقد كان التفوق في العدد والعدة لصالح أعدائه في أغلب معاركه إلا أنه ينتصر عليهم دائماً بما يُعد من خطط مناسبة تمتزج بقوة الإرادة وعلو الهمة .

ومن مجازفته المتزنة اختياره ذلك الطريق القصير الوعر قليل الماء والكلأ عندما اتجه من العراق إلى الشام لكي يصل إلى موقعة اليرموك بأسرع وقت، ولعل هذه من أبرز صفات الإبداع المعروفة حديثاً .

**١١ ـ تحمل المسؤولية** : من أبرز مزايا خالد أنه كان يتحمل المسؤولية إلى أبعد الحدود فإذا اقتنع بشيء أصدر قراره الحاسم للبت في الأمر دون انتظار وصول الأوامر والتوجيهات والوصايا من مرجعه الأعلى [١] .

ومن أمثلة تحمله للمسؤولية : في أعقاب يوم «اليمامة» بعد إبرام الصلح بين خالد وبين بني حنيفة وَرَدَ كتاب أبي بكر إلى خالد أن يقتل كل محتلم ، لكن خالداً وفى بعهده ولم يغدر [٢] متحملاً بذلك كل المسؤولية ومتيقناً لو أن أبا بكر في محله لفعل مثلما فعل .

ومن الأمثلة كذلك عندما ترك جيشه في العراق بعد انتصاره على الروم في معركة الفراض ليؤدي فريضة الحج دون أن يأخذ موافقة أبي بكر ؛ لذلك عاتبه أبو بكر على هذه المخالفة الصريحة [٣] ، لكن عذر خالد أنه ذهب للحج سراً في وقت لا خطر فيه على قواته ، وأن غيابه عن جيشه لم يترك أثراً سيئاً في الموقف العسكري ، كما أن تحمله للمسؤولية شمل الأمور المالية كذلك فلما كتب إليه أبوبكر في ذلك أجابه خالد : «إما أن تدعني وعملي ، وإلا فشأنك وعملك»[٤] .

---

(١) خالد بن الوليد المخزومي ، ص ٢١٨ .
(٢) عبقرية خالد ، ص ١٠٥ .
(٣) عبقرية خالد ، ص ١٣٩ .
(٤) الإصابة ٢ / ٩٩ .

ومما يؤكد على أهمية اتصاف القائد بتحمل المسؤولية ما كتبه المشير رومل في مذكراته حيث أكّد على أن يكون القائد متحملاً للمسؤولية قادراً على تقدير الموقف وإصدار القرارات الصحيحة (١) .

**١٢ ـ السرعة في اتخاذ القرار الصحيح** : لا بد للقائد الناجح أن يعطي قرارات سريعة وصحيحة في آن واحد ، يعالج بها المواقف الطارئة بسرعة في الحرب ، إذ إن القرارات البطيئة قد لا تكون ذات فائدة لفوات وقتها ، كما أن القرارات الخاطئة تضر ولا تفيد، أي أنها تكون في مصلحة العدو (٢) .

وقد اعتمد خالد في قراراته على ذكائه وخبرته العسكرية إضافة إلى ما يجمع من معلومات عن تحركات عدوه بالدوريات وبالعيون وباستنطاق الأسرى وباستشارة ذوي الخبرة سواء من رجاله أو من عدوه ممن يقع تحت قبضته. حسبنا أن نتذكر كيف عرف أن المدافعين عن أسوار دمشق قد تركوا مواضعهم، فانتهز هذه الفرصة السانحة وقرر مهاجمتهم فوراً ، ففتح هذه المدينة بعد حصار طويل(٣) .

ومن الأمثلة كذلك ما فعل في غزوة أحد حيث استطاع أن يتخذ القرار الصحيح بكل سرعة ويقلب كفة المعركة لصالح جيش المشركين وذلك قبل إسلامه .

وفي معركة اليمامة عندما قسَّم جيشه كل ولد أب على راية، ليعلم من أين يؤتى حتى تحقق له النصر . هكذا كان خالد بن الوليد قد أعد نفسه في أي وقت لاتخاذ القرار السريع الصحيح .

**١٣ ـ الإصرار والمثابرة** : تميز خالد بقوة إصراره على النصر، ورفع

(١) مذكرات رومل ٢/ ٣٤ في : خالد بن الوليد المخزومي ، ص ١٧٨ .
(٢) خالد بن الوليد المخزومي ، ص ٢١٦ بتصرف .
(٣) خالد بن الوليد المخزومي ، ص ٢١٦ .

معنويات جنده ومثابرته وتحمله لشدائد الحرب وأهوالها ، ولا تخلو معركة من معاركه من قوة الإصرار والمثابرة ، ففي غزوة حنين عندما رأى اندحار قوات المسلمين وهروبها ثبت بجانب النبي عليه الصلاة والسلام وأصر على النصر حتى كتب اللّه النصر للمسلمين وظل يطارد المشركين حتى احتموا بالطائف وهو ينادي : هل من مبارز ؟ هل من مبارز ؟ .

ومن الأمثلة كذلك ما فعل في حروب الردة سواء في اليمامة أو مع طليحة الأسدي حيث أصر على النصر ولم يستمع لرأي من أشار إليه بالانسحاب واللجوء إلى جبال طيئ؛ وفعلاً ثابر وجالد في المعركة حتى انتصر ، كما انتصر كذلك في اليمامة بعد طول صبر ومصابرة وبعد أن أوشك جيش مسيلمة أن ينتصر في بادئ الأمر حيث إنهم وصلوا إلى خيمة خالد وكادوا أن يقتلوا زوجته . لكن قوة إصرار خالد ومثابرته مكنته- بعد عون اللّه- من النصر وقتل مسيلمة ودحر قواته .

**١٤ ـ الالتزام بالمهمة** : استطاع خالد بن الوليد أن ينفذ بكل نجاح كل ما أوكل إليه من مهام ، ففي عهد النبي -عليه الصلاة والسلام- استطاع أن يقوم بكل أعماله وينال إعجاب النبي-عليه الصلاة والسلام- حتى أطلق عليه لقب سيف اللّه ، وفي عهد أبي بكر استطاع أن ينتصر على المرتدين وأن يوحد الجزيرة ويقضي على أهل الردة ، كما حقق انتصارات عديدة على الفرس والروم وهيأ الإمبراطوريتين للفتح الإسلامي العظيم .

ومما يُعين على الالتزام بالمهمة قوة العقيدة واستشعار الأجر وتحمل المسؤولية وسرعة اتخاذ القرار الصحيح مع الشجاعة وارتفاع المعنويات ، وهذه جميعاً توافرت عند خالد كما أسلفنا سابقاً .

**١٥ ـ سرعة الإنجاز** : مع ما سبق من صفات عظيمة اتسم بها خالد فقد كان مع ذلك يحرص على سرعة الإنجاز ليجنب المسلمين أكثر قدر من الخسارة في العدد والعتاد ، ففي أغلب معاركه كان يوجه الضربة الأولى لقائد العدو حتى

يقتله أو يجبره على الفرار كما فعل مع طليحة الأسدي في حروب الردة ومع عقة بن عقة في موقعة عين التمر ، ومن أمثلة سرعة إنجازه ما فعله في معركة ذات السلاسل مع القائد الفارسي هرمز .

وفي فتح مكة استطاع أن يصل مع باقي القوات إلى نقطة الالتقاء في نفس الموعد مع أنه تعرّض لقتال عكرمة بن أبي جهل ، وباقي القوات لم تتعرض لأي قتال .

كما استطاع أن يصل إلى الحيرة بعد معارك كثيرة قبل أن يصل زميله عياض بن غنم، الذي انطلق معه من أرض الجزيرة وجعل الخليفة الحيرة مكان التقائهما.

**١٦ ـ المهارة في حسن التعامل** : لقد كان خالد مثالاً في حسن التعامل مع جنده وقادته، فكان موضع ثقة النبي -عليه الصلاة والسلام- وأبي بكر الصديق وعمر الفاروق وأبي عبيدة بن الجراح، وهؤلاء هم الذين عمل خالد بإمرتهم بعد إسلامه .

كما كان خالد يبادلهم الثقة ، فهو يثق بنفسه كما يثق بجنوده، وقد بلغ من ثقته بنفسه وبرجاله أنه نزل على غير ماء في معركة (كاظمة) ثم أمر مناديه فنادى: «جالدوهم على الماء ، فلعمري ليصيرن الماء لأصبر الفريقين وأكرم الجندين»[١] .

ومن الأمثلة كذلك اصطلاح الناس عليه في مؤتة وكان من بينهم كبار المهاجرين والأنصار. وهذه ثقة عالية من المسلمين فليس من السهل أن يثق الرجال بقائدهم وليس من السهل أن يستحوذ القائد على ثقة رجاله به، فالرجال يريدون من قائدهم أن يدافع عنه ويحميهم من الأخطار .

---

(١) الإصابة ٢/ ٩٩ .

وقد جمع خالد ثقة الناس به ومحبتهم له ، ولنا أن نتذكر كيف بادر القعقاع بن عمرو والجيش المسلم إلى إنقاذ خالد من غدر القائد الفارسي هرمز في معركة ذات السلاسل ، ولم تقتصر الثقة بخالد على جنوده بل كان القواد الآخرون يثقون به ويستشيرونه فيما يواجهونه من مصاعب وأهوال مثلما فعل عياض بن غنم في دومة الجندل عندما أرسل إلى خالد يستشيره ويستنجده .

كما ظهر حب الناس لخالد وتقديرهم له بعد موته ، حيث لم تبق له سلطة ولا نفوذ ليخشاه الناس ويرجوه ، فرثاه عمر بقوله : «قد ثلم في الإسلام ثلمة لا ترتق»[١] ورثاه كثير من الصحابة وكثير من الشعراء .

أما حب خالد لرجاله فيكفي أن نذكر أنه كان يستأثر دونهم بالمخاطر ويؤثرهم بالخير والأمان ، ويحب لهم ما يحب لنفسه فكان دائماً في مقدمة الجيش عند الإقدام وفي الساقة عند رجوع الجيش . وهذا ما أكده المشير رومل في مذكراته على أن القائد يجب أن يقود رجاله من (الأمام) لا من (الخلف) ، فيقول : يجب على القائد أن يُدرك أن مكانه ليس في الخلف مع هيئة أركانه ، وإنما في الأمام مع قواته ، فالجنود لا يشعرون بالصلة بينهم وبين قائد يجلس في الخلف بمقر قيادته[٢] .

## وفاتـــه :

استقر -رضي اللّه عنه- قبل وفاته في مدينة حمص وتوفي فيها سنة إحدى وعشرين للهجرة ، وكان عمره خمساً وخمسين سنة[٣] . ولما مات رضي اللّه عنه لم يدع إلا فرسه وسلاحه وغلامه ، فقال عمر رضي اللّه عنه : «رحم اللّه أبا سليمان كان على ما ظنناه به»[٤] .

---

(١) الطريق إلى المدائن ، ص ٣٦٨ .
(٢) مذكرات رومل ٣/ ٤١٦ في : خالد بن الوليد المخزومي ، ص ١٧٩ .
(٣) عبقرية خالد ، ص ١٨١ .
(٤) صور من سير الصحابة ، ص ٦٦٣ .

روى ابن أبي قتيبة أنه كان لخالد ولد كثير فقتل الطاعون منهم أربعين رجلاً فبادوا ، وجاء في أسد الغابة عن الزبير بن بكار أن ولد خالد بن الوليد انقرضوا فلم يبق منهم أحد وورث أيوب بن سلمة دورهم بالمدينة [١] .

رضي الله عن أبي سليمان وأرضاه ، وجعل من شبابنا من يقتدي به ويأخذ من سيرته نبراساً يضيء له الطريق .

(١) أشهر مشاهير الإسلام ، ص ١٧٩ .

# الفصل الخامس

## النتائج

مظاهر وخصائص التفوق بين سير الصحابة

رضي الله عنهم- ونظريات التفوق الحديثة

# النتائج

# مظاهر وخصائص التفوق بين سير الصحابة رضي الله عنهم ونظريات التفوق الحديثة

## مناقشة الفروض:

**الفرض الأول: مظاهر التفوق بين سير الصحابة -رضي الله عنهم- ونظريات التفوق الحديثة:**

من خلال دراستنا للشخصيات السابقة ظهر لنا عدة أوجه للتفوق اشتملت على بعض مظاهر التفوق المعروفة في العصر الحديث، وقد كثرت التعاريف والنظريات التي تبين مجالات التفوق في العصر الحديث. إلا أننا سنقتصر على تعريفين هما: تعريف ميرلند الذي دخل الكونجرس الأمريكي وأخذ الدعم الكافي وأصبح شعاراً معتمداً لمكتب التربية الأمريكية، وتعريف رنزولي للسلوك المتفوق.

إن المتفوقين هم الأفراد الذين يمكن التعرف عليهم من قبل المتخصصين، والذين تمكنهم قدراتهم العالية من القيام بأداء مميز والذين يحتاجون إلى خدمات أو برامج تربوية خاصة زيادة على ما يقدم عادة في البرامج المدرسية العادية ليتمكنوا من تحقيق إسهامات متميزة نحو ذواتهم ومجتمعاتهم. إن الأفراد الذين يتمكنون من القيام بالأداء المتميز هم أولئك الذين يظهرون أداء متميزاً في واحد أو أكثر من المظاهر التالية:

١- القدرات العقلية العامة.

٢- التفكير الابتكاري.

٣- الاستعداد الأكاديمي المتخصص.

٤- القدرات القيادية.

٥- المهارات الفنية.

٦- المهارات الحركية.

بهذا نرى أن للمتفوقين في العصر الحديث عدة مظاهر حددها ميرلند في تعريفه. وفي المقابل نجد أن كثيراً من هذه المظاهر قد عرفها الصحابة -رضي الله عنهم- في سلوكهم وحياتهم العملية دون أن يكون لها تعريف مكتوب.

والمتأمل لسيرة أولئك الصحابة يجد في ثناياها الكثير من مظاهر التفوق إلا أننا فيما يلي سنركز على ما اشتملت عليه من مظاهر التفوق في العهد النبوي من مظاهر التفوق التي تراها وزارة التربية الأمريكية في تعريف ميرلند.

**١- القدرات العقلية العامة:**

نجد هذا المظهر يتوافر عند كل النماذج، فزيد بن ثابت على سبيل المثال نرى كيف تفتقت فطنته وذكاؤه أن يبحث عن مجال آخر للتفوق لا علاقة له بالسن بعدما منعه الرسول -عليه الصلاة والسلام- من الجهاد، وفعلاً اختار طريق العلم، ومن قدرته العقيلة كذلك سرعة تعلمه للغات في فترة وجيزة، ومبادرته لحل النزاع الذي كاد أن يقع بين كبار الصحابة في سقيفة بني ساعدة، كذلك قدرته على جمع القرآن. . إلخ.

وأما ابن عباس فكما أثبتنا في سيرته من ذكائه وفطنته حيث كان الخليفة يدينه ويقربه مع كبار الصحابة ليكون أحد الأعضاء الأساسيين في مجلس الشورى في الدولة رغم صغر سنه، وهناك الكثير من المواقف التي تدل على قدرته العقلية ذكرها الباحث في سيرة ابن عباس تحت عنوان: ذكاؤه وفطنته.

ولا تقل سيرة خالد بن الوليد عن سيرة صاحبيه من ناحية القدرة العقلية وهذا ما شهد له به النبي -عليه الصلاة والسلام- عندما قال له عند إسلامه:

**"كنت أرى لك عقلاً رجوت ألا يسلمك إلا إلا الخير"** .

ومن قدرة خالد العقلية أنه اهتدى بقدرته العقلية وتفكيره الصائب إلى الإسلام، كما ظهرت قدرته العقلية في قيادته المعارك وحسن تخطيطه لها، ونذكر على سبيل المثال موقفه في غزوة أحد وكيف استطاع أن يقلب نصر المسلمين إلى هزيمة، وهزيمة جيشه المشرك إلى نصر، وكذلك موقفه في غزوة مؤتة وكيف استطاع بقدرته العقلية الفذة أن يتخلص من المعركة دون أن يهزم، محافظاً على جنده وعلى سمعة الجيش المسلم.

**٢- التفكير الابتكاري:**

ظهر التفكير الابتكاري في كيفية تخلص خالد بن الوليد في غزوة مؤتة من جيش الروم الذي بلغ عدده مائتي ألف مقاتل وعدد المسلمين ثلاثة آلاف مقاتل في هذه المعركة غير المتكافئة والتي قتل فيها قواد الجيش الإسلامي الثلاثة الذين ولاهم النبي عليه الصلاة والسلام. ظهرت قدرة خالد على التفكير الابتكاري حيث استطاع أن يغير صفوف جيشه ليلاً ويحدث بعض الأصوات موهماً العدو بوصول مدد من المدينة وهو بذلك يتراجع شيئاً فشيئاً إلى الوراء والعدو لا يجرؤ أن يتقدم خطوة واحدة خوفاً من ذلك المدد الذي توهموا وصوله للجيش المسلم وبخاصة أنهم يرون أمامهم كل يوم وجوهاً جديدة غير التي رأوها بالأمس. وهكذا استطاع خالد بانسحابه المبتكر والجديد في علم الحروب أن يرجع بجيشه كراراً لا فراراً كما قال النبي عليه الصلاة والسلام (الحادثة مذكورة بتفاصيلها في سيرة خالد بن الوليد).

والملاحظ لجميع خطط وقرارات خالد بن الوليد في المعارك يدرك أنها جميعاً حل للمشكلات؛ فمثلاً في غزوة أحد كان خالد أمام مشكلة كبيرة وهي انهزام الجيش، لكنه استطاع بتفكيره وقراره السريع أن يحل هذه المشكلة ويقلب كفة المعركة لصالح المشركين؛ وكذلك في غزوة مؤتة وفي حروبه لأهل الردة وفارس والروم، كانت جميعها بمثابة حلول للمشكلات.

كما يتضح لنا من حادثة إسلام خالد تمتعه بقدرة عقلية فائقة وقوة في التفكير نادرة، حيث إن مهارته في التفكير قادته إلى الإسلام.

**٣- الاستعداد الأكاديمي المتخصص:**

ظهر الاستعداد الأكاديمي عند كل من الشخصيتين العلميتين في البحث زيد بن ثابت وعبدالله بن عباس، ظهر الاستعداد العلمي عند زيد بن ثابت منذ صغره واتجاهه إلى طلب العلم حيث إنه حفظ سبع عشرة سورة من القرآن قبل وساطة أقاربه عند النبي -عليه الصلاة والسلام- ليضمه إلى مجلسه ويتولى تعليمه كما ذكرتُ سلفاً في سيرة زيد بن ثابت. وظهر استعداده العلمي في تعلمه للقراءة والكتابة من أسرى بدر وتعلمه لكثير من اللغات في فترات وجيزة. ومما يثبت استعداده العلمي براعته في علم الفرائض (المواريث) الذي هو نوع من علم الرياضيات. حتى شهد له النبي عليه الصلاة والسالم بهذا التفوق فقال: «**أفرض أمتي زيد بن ثابت**».

أما عبدالله بن عباس فقد ظهر استعداده العلمي من خلال حرصه على طلب العلم، ورأينا تلك القصة التي حدثت معه ومع أحد زملائه الذي رفض أن يصاحبه لطلب العلم من كبار الصحابة عندما اجتمعوا بعد وفاة النبي -عليه الصلاة والسلام- وقال له موهناً لعزمه ومقللاً من دافعيته: «واعجباً لك يا بن عباس أترى الناس يحتاجون إليك».

ومما يبين استعداد ابن عباس ما كان يفعله عندما يعلم أن أحد الصحابة عنده شيء من حديث النبي -عليه الصلاة والسلام- فإنه يذهب إلى بيت الصحابي في القيلولة ويتوسد رداءه عند عتبة الباب لكي يطيب نفس صاحب البيت مما يجعل صاحب البيت لا يبخل عليه بشيء مما يعرفه.

وقد استطاع ابن عباس بما لديه من استعداد لطلب العلوم أن يصبح بمثابة جامعة مفتوحة الأبواب فكان مقصد الباحثين عن المعرفة، يأتيه الناس أفواجاً من أقطار الإسلام، ليسمعوا منه، وليتفقهوا عليه، ورأينا في تلك الحادثة التي

ذكرها الباحث في سيرة ابن عباس كيف أنه كان يخرج للناس فيقول: من كان يريد أن يسأل عن القرآن وحروفه فليدخل. وكان الناس قد تجمعوا عند بيت ابن عباس حتى ضاق بهم الطريق. فإذا أجاب المجموعة الأولى أخرجهم وأدخل من يسأل عن تفسير القرآن وتأويله حتى يملؤوا الغرفة فإذا أجابهم أخرجهم وأدخل من يسأل عن الحلال والحرام والفقه، فإذا أجابهم أخرجهم وأدخل من يسأل عن الفرائض وهكذا بعدما أجابهم أخرجهم وأدخل من يسأل عن العربية والشعر والغريب من الكلام.

وفي كل مرة تمتلئ الغرفة وهو يجيب في ذلك كما يقول الراوي: «فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثله».

**٤- القدرات القيادية:**

من الطبيعي أن تظهر القدرة القيادية في شخصية خالد بن الوليد بحكم أنه قائد الجيوش الإسلامية. وقد رأينا في غزوة مؤتة كيف رشحه الجنود بعد مقتل القواد الثلاثة ليكون هو القائد المنقذ الذي أنقذ الجيش من هلاك محقق، كما كان قائد جيوش حروب الردة وجيوش فتح بلاد فارس والروم، واستطاع بحكمته القيادية وحسن تخطيطه واتخاذه القرار المناسب في الوقت المناسب أن ينتصر على جميع أعدائه، كما تمثلت شخصيته القيادية في تلك المعارك الني لم يكن هو القائد الرسمي، ففي غزوة حنين التي كانت بقيادة النبي -عليه الصلاة والسلام- كان خالد بن الوليد قائداً للفرسان. وفي غزوة أُحُد التي كان خالد فيها مشركاً وفي صف الجيش المشرك تحت قيادة أبي سفيان استطاع خالد أن يقلب كفة المعركة لصالح المشركين بعدما كانت لصالح المسلمين مع أنه ليس بقائد الجيش، إنها روح القيادة التي تسري في دم خالد بن الوليد، فما يشترك في أمر إلا وتبرز مظاهر القيادة لديه. وهكذا كانت القيادة مظهراً مهماً في ذلك العصر لاحتياج الدولة الفتية إلى قادة يظهرون اسمها ويدعمون أركانها، ولم تقتصر القيادة على المعارك العسكرية فقط بل كانت حتى في المجال العلمي.

ظهرت القيادة في بعض الشخصيات العلمية كابن عباس الذي ظهرت قدرته القيادية في معظم الأحداث التي شارك فيها، ففي مجلس الشورى كان عمر بن الخطاب يقدم رأي ابن عباس على رأي غيره من كبار الصحابة، وتولى -رضي الله عنه- كثيراً من الأمور القيادية مثل إمارة البصرة في وقت الخليفة علي بن أبي طالب -كرّم الله وجهه- كما تولى إمارة بعض المواسم. ذكر الباحث هذه الأحداث بالتفصيل في سيرة عبدالله بن عباس.

كما ظهرت الصفة القيادية عند زيد بن ثابت في موقفه يوم السقيفة، وكذلك فيما رواه نافع عن ابن عمر أن عمر كان يستخلف زيداً إذا حج وكان عثمان يستخلفه أيضاً على المدينة إذا حج، وهذا دليل على قدرته القيادية العالية حيث إنه كان بمثابة ولي عهد الدولة.

وبهذا نخلص إلى أن القدرة القيادية كانت مظهراً من مظاهر التفوق في ذلك العصر لحاجة المجتمع إليها سواء في السلم أو الحرب.

**٥- المهارات الحركية:**

اعتمدت المعارك في ذلك العصر على القوة الجسمية وسرعة الحركة وهذا ما ظهر في شخصية خالد بن الوليد وكيف استطاع بقوته الجسمية ومهاراته الحركية أن يغلب عمر بن الخطاب ويكسر ساقه في تلك المصارعة التي حدثت بينهما وهما غلامان قبل الإسلام.

وفي غزوة مؤتة أمام جيش الرومان الذي بلغ مائتي ألف ثبت خالد بن الوليد يقاتل العدو حتى انكسرت في يده سبعة أسياف أعملها في رقاب العدو، كما ظهرت خفة وسرعة تحركه في أثناء مبارزته لقواد وفرسان المعارك مثلما فعل بهرمز قائد الفرس في معركة ذات السلاسل، وفي معركة عين التمر استطاع خالد أن يأسر قائد العدو عقة بن عقة.. من بين جنوده وكبار قواده. ومما يدل على قوة خالد الجسمية نزوله عن فرسه وترجله مقاتلاً على قدميه في حربه مع طليحة الأسدي في حروب الردة، وفعلاً استطاع أن يمتلك جو المعركة ويقاتل

العدو حتى انتصر عليهم رغم أنه على قدميه وهم فوق خيولهم. وتوفي خالد ابن الوليد- رضي الله عنه- وما في بدنه موضع شبر إلا وفيه ضربة أو طعنة أو رمية، ولنتخيل ذلك الجسم الذي استطاع أن يتحمل تلك الطعنات حتى لا يوجد موضع شبر سليم، في حين أن كثيراً من الناس في الوقت الحاضر لو يصابون بطعنة أو ضربة لبقوا فترة طويلة يتوجعون منها ويشكون من ألمها.

وتجدر الإشارة إلى أن ما ذكرناه من مهارة حركية عند خالد بن الوليد لم تنحصر فقط في خالد بل كانت منتشرة عند أغلب الصحابة، وإنما ذكرنا خالداً على سبيل المثال، ولنا أن نتذكر ما فعل البراء بن مالك في موقعة اليمامة عندما صعد على الرماح وألقى بنفسه على العدو داخل تلك الحديقة التي أغلقوها على أنفسهم واستطاع- رضي الله عنه- أن يقاتل العدو بمفرده بالسيف حتى أثخنهم بالجراح وفتح الباب للجيش الإسلامي، كما ذكرنا سابقاً في موقعة اليمامة.

بهذا نقف على أن المسلمين الأوائل في العهد النبوي قد عرفوا بعض مظاهر التفوق المتخصصة والمعروفة في العصر الحديث، كما رأينا عند مقارنة تلك المظاهر بالمظاهر التي وردت في التعريف الذي يتبناه مكتب التربية الأمريكي. كما نجد أن تلك المظاهر تشتمل على ما ذكره رنزولي في نظريته من مظاهر للتفوق، عندما ذكر أن السلوك التفوقي عبارة عن تفاعل ثلاث خواص إنسانية هي:

١- القدرة العامة فوق المتوسط.

٢- الالتزام بالمهمة.

٣- الإبداع[١].

وقد أبانت عينة الدراسة أن السلوك المتفوق يتركز في الخواص الثلاث. إلا أن أبرز مظاهر التفوق التي ظهرت في ذلك العصر انحصرت في مظهرين

(١) Gary A. Davis, Sylvia B. Rimm (1989) Education of the Gifted and Talented.

هما: التفوق العلمي والتفوق العسكري كما أسلفنا في التمهيد للبحث، ولعل السبب الرئيسي في ذلك يرجع إلى بداية تأسيس الدولة، التي ما تزال فتية وتحتاج إلى القوة والعلم أكثر من أي مظاهر أخرى. لكي تؤسس قواعدها على أسس علمية تُنوِّر العقول وبخاصة أن هذه الدولة تقوم على دين جديد يدعو الناس ليخرجهم من الظلمات إلى النور ومن جور الأديان إلى عدالة الإسلام ومن عبادة العباد إلى عبادة رب العباد.

لذلك وجب الاهتمام بالعلم وتعليمه للناس لكي يستطيعوا قراءة القرآن الكريم ويعبدوا ربهم على علم وبصيرة. وفي الوقت نفسه فإن هذه الدولة تحتاج إلى القوة التي تحميها من الأعداء وتساعدها على الانتشار. وهكذا برز التفوق العلمي والتفوق العسكري في ذلك العصر أكثر من غيرهما لحاجة المجتمع الضرورية لهما.

**الفرض الثاني: خصائص وسمات المتفوقين بين سير الصحابة -رضي الله عنهم- ونظريات التفوق الحديثة:**

لقد تناولنا بعض خصائص وسمات الصحابة -رضي الله عنهم- بالشرح والتفصيل، وفي هذا الموضع نورد ما توصلنا إليه من خصائص وسمات يتصف بها الصحابة -رضي الله عنهم- ثم نورد ما اشتملت عليه من خصائص وسمات التفوق المعروفة في العصر الحديث.

## أبرز خصائص وسمات بعض الصحابة رضي الله عنهم:

لقد اتصفت الشخصيات الثلاثة موضوع البحث بصفات عديدة دلّت على تفوقهم. وقد قام الباحث باستخلاص هذه الصفات من سيرهم وأسلوب حياتهم اليومية وهي كالتالي:

١- الذكاء والفطنة.

٢- العقيلة المتزنة.

٣- الالتزام بالمهمة.

٤- سرعة الإنجاز المتقن.

٥- العمر العقلي أكبر من العمر الزمني.

٦- حل المشكلات بطرق إبداعية.

٧- قيادة معظم الوقائع التي يشترك فيها.

٨- قوة الشخصية.

٩- المعنويات العالية.

١٠- الثقة بالنفس.

١١- النظرة المستقبلية.

١٢- الإرادة القوية.

١٣- تحمل المسؤولية.

١٤- سرعة اتخاذ القرار الصحيح.

١٥- قوة التأثير والإقناع.

١٦- حُسن التعامل مع الآخرين.

١٧- الاستعداد العلمي.

١٨- الذاكرة القوية.

١٩- الميل لفهم النظم المالية المعقدة.

٢٠- قوة الدافعية.

٢١- الصبر والمثابرة في طلب العلم.

٢٢- الرغبة للتفوق في عدة مجالات .

٢٣- القوة البدنية .

٢٤- الصحة الجسمية .

٢٥- الرشاقة وخفة الحركة .

## أبرز سمات وخصائص المتفوقين في العصر الحديث:

لقد تعددت الدراسات التربوية في ذكر سمات وخصائص المتفوقين فمنها المكثر ومنها المقل . وقد يطول المقام بذكر تلك الخصائص بتفاصيلها وأنواعها لذلك سيركز الباحث على ذكر ما يوافق خصائص بعض الصحابة -رضي الله عنهم- من تلك الدراسات والنظريات حتى يتبين لنا مدى اشتمال بعض بين خصائص الصحابة -رضي الله عنهم- لخصائص التفوق المعروفة في العصر الحديث .

ذكر George[١] ستة خصائص للمتفوقين وأدرج تحت كل خاصية ما يناسبها من خصائص وسمات ، وسنقتصر على ما يوافق خصائص الصحابة رضي الله عنهم .

**أ- القدرة العقلية العامة:**

١- الذكاء المرتفع (أعلى من ١٣٠) .

٢- سهولة التعلم والاسترجاع .

٣- الإنجاز فوق المتوسط .

٤- القدرة على القراءة مبكراً .

٥- المواظبة والالتزام بالمهمة .

---

(١) George, D. (1992) The Challenge of The Able Child, P. 16-26.

**ب- الاستعدادات الأكاديمية الخاصة:**

١- ميول عادية في النظم الرياضية المختلفة.

٢- ميول حادة في النظم المالية المختلفة.

٣- ذاكرة قوية.

**جـ- الفنون البصيرة والأدائية:**

١- تفان عال في الأعمال.

٢- قوة تحمل وصبر شديدين.

٣- التمتع بصحة بدينة جيدة.

٤- ذاكرة قوية.

**د- القدرات نفس - حركية:**

١- تعدد وتنوع الحركات.

٢- رشاقة وخفة حركة غير عاديتين.

٣- صحة بدنية وطاقة ونشاط منقطعي النظير بالنسبة للعمر الزمني للمتفوق.

٤- دقة شديدة في التآزر البصري - الحركي.

٥- انضباط ذاتي وتفان في العمل.

**هـ- الإبداع والتفكير المنتج:**

١- ذكاء مرتفع غير عادي ولكن ليس من الضروري أن يكون نادراً.

٢- الطلاقة اللفظية والفكرية.

٣- الاستمتاع بالتحديات الصعبة المعقدة.

٤- قدرة فائقة على إنتاج الأفكار الأصيلة.

٥- مرونة فائقة في التفكير.

و- القدرة القيادية:

١- قدرة عالية على التنظيم والتخطيط.

٢- قدرة جيدة على إصدار الأحكام.

٣- قدرة على إقامة علاقات اجتماعية جيدة.

٤- تفاؤل دائم.

٥- شهرة وبروز.

٦- ثقة عالية بالنفس.

٧- تحمل للمسؤولية بكل ما تعنيه العبارة.

٨- مقنع.

٩- صانع قرار.

١٠- قدرة متميزة على التفاوض.

ويضع لايكوك[١] (Laycock) عام (١٩٧٤) قائمة بالصفات التي يتميز بها الموهوب من هذه الصفات:

١- قدرة استعداد على التعلم والتذكر بسهولة.

٢- القدرة على الانتباه الواسع الذي يؤدي إلى التركيز والمثابرة في معالجة المشاكل ومواصلة الاهتمامات.

٣- قدرة على إنجاز أعمال فعّالة معتمداً على نفسه.

---

(١) الأطفال الموهوبن، ص٤٤.

ويرى شيفل (M. Scheifele)[١] الخصائص التالية، التي يتصف بها الموهوب وتميزه عن غيره.

**أ- صفات عقلية وتتمثل في:**

١- إنجاز الأعمال العقلية الصعبة بإتقان.

٢- التعلم بسهولة وسرعة.

٣- قوة التبصر في الأمور.

٤- له ميول واسعة المدى في مجالات مختلفة.

٥- له القدرة على الابتكار في الأعمال العقلية.

٦- يتطلع المستقبل بتفاؤل.

**ب- صفات جسمية:**

١- الأطفال الموهوبون أكثر وزناً من الأطفال الأسوياء.

٢- يتمتع الطفل الموهوب بصحة جسمية قوية وتغذيته جيدة.

٣- يكون خالياً من الاضطربات العصبية.

٤- يكون متقدماً إلى حد ما في نمو عظامه.

٥- ينضج مبكراً قياساً لأطفال سنه من الأسوياء.

**جـ- صفات انفعالية:**

١- يتصف الطفل الموهوب بالثقة في النفس.

٢- لا يميل إلى التباهي واستعراض معلوماته.

٣- إذا وصلت نسبة ذكائه إلى (١٥٠ درجة) يميل إلى أن يكون قائداً في

---

(١) المرجع السابق.

جماعته، وإذا زادت نسبة ذكائه عن ذلك، فإنه يكون أكثر تقدماً في أفكاره قياساً بأقرانه، وإذا كانت نسبة ذكائه أكثر من (١٦٠) أو (١٧٠) فإنه يميل إلى العمل واللعب بمفرده.

وذكر رنزولي[1] في مقياسه عدة مجالات للتفوق هي:

**أ- خصائص التعلم:**

ومنها بناء الثروة اللفظية، ونمو عادات القراءة والإنفاق السريع والقدرة على القيام بالتصميمات.

**ب- خصائص الدافعية مثل:**

١- المبادأة الذاتية.

٢- الإصرار لإكمال الواجب.

٣- المعاناة لمستوى أفضل.

**جـ- الخصائص الابتكارية مثل:**

١- حب الاستطلاع.

٢- الإصرار في حل المشكلات.

٣- لا يساير.

**د- الخصائص القيادية مثل:**

١- الثقة بالنفس.

٢- النجاح.

٣- الاستعداد لتحمل المسؤولية.

---

(١) المدخل إلى تعليم ذوي الصعوبات التعليمية والموهوبين، ص١٦٨.

٤- سهولة التكيف مع الموقف الجديد.

وقد خلص الباحث إلى أن من يتمعن في خصائص وسمات الصحابة - رضي الله عنهم- يلاحظ أنها اشتملت على خصائص وسمات التفوق في العصر الحديث، وبرز هذا الاشتمال بشكل واضح في أربع صفات هي:

١- القدرة العقلية العامة.

٢- الاستعداد التعليمي.

٣- القدرة القيادية.

٤- القدرات نفس - حركية.

ونصنف فيما يلي ما توصلنا إليه من خصائص وسمات للتفوق عند بعض الصحابة -رضي الله عنهم- على الصفات الأربع التي برزت أكثر من غيرها.

**١- القدرة العقلية العامة:**

- الذكاء والفطنة.
- العقلية المتزنة.
- الالتزام بالمهمة.
- سرعة الإنجاز المتقن.
- العمر العقلي أكبر من العمر الزمني.

**٢- الاستعداد العلمي:**

- الذاكرة القوية.
- الميل لفهم النظم المالية المعقدة.
- قوة الدافعية.

- الصبر والمثابرة في طلب العلم.

- الرغبة للتفوق في عدة مجالات.

**٣- القدرة القيادية :**

- قيادة الأحداث التي يشترك فيها.

- قوة الشخصية.

- المعنويات العالية.

- الثقة بالنفس.

- النظرة المستقبلية.

- الإرادة القوية.

- تحمل المسؤولية.

- سرعة اتخاذ القرار الصحيح.

- قوة التأثير والإقناع.

- حُسن التعامل مع الآخرين.

**٤- القدرات نفس -حركية:**

- القوة البدنية.

- الصحة الجسمية.

- الرشاقة وخفة الحركة.

ونرى أن السبب في بروز هذه الصفات أكثر من غيرها لما يتصف به ذلك العصر من ظروف ذكرناها سابقاً مثل نشأة الدولة الإسلامية التي كانت في أشد الحاجة للاهتمام بهذه الخصائص دون غيرها لتكوين أفراد مؤهلين لحمل دعوة الله

ونشرها في أرجاء الأرض، والدعوة لا تنشر إن لم يكن لها قوة تسندها وتحميها، وبخاصة أن هناك إمبراطوريتين عظيمتين تهددان هذه الدولة الفتية بالإضافة إلى ما تعج به شبه الجزيرة العربية من قبائل متناحرة وأديان مختلفة ترفض العقيدة الإسلامية؛ لذلك وغيره من الأسباب ظهرت هذه الخصائص الأربع حسب حاجة المجتمع وثقافته، وهذا ما أكده جاليجر بقوله: «إن التفوق يتغير بتغير حاجيات واهتمامات المجتمعات، فقيم كل مجتمع تحدد تعاريف للتفوق خاصة بها وكل ثقافة لها -فيما يبدو- رأيها الخاص وفكرتها الخاصة عن مكونات التفوق»[١].

---

(١) ذكر المرجع سابقاً.



# الخاتمة

يُستفاد من كل ما سبق:

١- صلاحية المنهج الإسلامي لكل زمان ومكان حيث اشتمل على مضمون أحدث نظريات التفوق في العصر الحديث، وذلك منذ أكثر من أربعة عشر قرناً.

٢- إضافة علمية مفقودة من الكتب يمكن الاستفادة منها في تاريخ التربية الخاصة، إضافة إلى أنها فكرة بحثية قد تكون في معزل عن المفكرين والطلاب.

٣- إثراء مادة التربية الإسلامية من النواحي التالية:

أ- الجانب القصصي المشوق الذي له الأثر في تقريب المفاهيم وشد انتباه الطالب.

ب- ربط الطالب بالقدوات الإسلامية من خلال التعمق في دراسة الشخصيات.

٤- استنتاج دروس تربوية مستقاة من مواقف وأحداث إسلامية أصيلة.

٥- معرفة أن التفوق ليس وليد العصور الحديثة بل قد عرف منذ زمن بعيد، مثلما ظهر في العهد النبوي حيث أدى ثماراً ونتائج عظيمة دون أن يكون هناك دراسات حقلية أو برامج تعنى بالطلبة المتفوقين، وامتد هذا التفوق في الإنجازات إلى الدولة الأموية والعباسية، مما يعني وجود سر عظيم في الإسلام، في حين كانت أوربا نائمة في عصرها الأسود المتوسط (العصور المتوسطة). فكيف طبق المسلمون مظاهر التفوق وتمثلوا بخصائصه حسب ما جاء في أحدث نظريات العصر الحديث؟

إنها عظمة الإسلام وتوجيهات النبي -عليه الصلاة والسلام- الذي لا ينطق عن الهوى إنما هو وحي يوحى، إنها الحنكة السياسية، فلا بقاء للدولة ولا عز لها ولا تقدم دون أن تهتم بتلك المظاهر وتغرسها في سلوك أبنائها لتكون لهم أسلوب حياة.

# التوصيات

من خلال ما توصل إليه الباحث في بحثه من نتائج ودروس مستفادة فإنه يُوصي بما يلي:

١- أن نقدم لأبنائنا الطلاب نماذج من سير الصحابة (رضوان الله عليهم) ليكونوا لهم خير قدوة في زمن قلت فيه القدوات، وتقدم هذه النماذج من خلال المواد الدراسية.

٢- المزيد من الدراسات والبحوث لإلقاء الضوء على العناوين التالية:

أ- أوجه التفوق في صدر الدولة الإسلامية.

ب- مهارات في القرآن الكريم.

جـ- دور المعلم والمجتمع في رعاية المتفوق في صدر الدولة الإسلامية.

د- المرأة المتفوقة في صدر الإسلام.

# المراجع

١ ـ القرآن الكريم .

٢ ـ أبو بكر جابر الجزائري (١٩٩٥) هذا الحبيب يا محب ، الطبعة الأولى : دار الفكر .

٣ ـ أحمد الأصفهاني (بدون تاريخ) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، بيروت : دار الكتب العلمية .

٤ ـ أحمد شلبي (بدون تاريخ) موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، مصر : مكتبة النهضة المصرية .

٥ ـ أحمد بن حنبل (١٩٨٣) فضائل الصحابة ، الطبعة الأولى ، بيروت : مؤسسة الرسالة .

٦ ـ أحمد عادل كمال (١٩٨٦) الطريق إلى المدائن ، الطبعة السادسة ، بيروت : دار النفائس .

٧ ـ أحمد عادل كمال (١٩٩٠) الطريق إلى دمشق ، الطبعة الرابعة ، بيروت : دار النفائس .

٨ ـ أحمد الهاشمي (بدون تاريخ) جواهر الأدب في أبيات وإنشاء لغة العرب ، بيروت : مكتبة المعارف .

٩ ـ أسامة حسن معاجيني (١٩٩٤) دور الجامعات بالدول العربية في رعاية المتفوقين والموهوبين ، ورقة عمل مقدمة للمؤتمر السنوي الخامس عشر للمنظمة العربية للمسؤولين عن القبول والتسجيل في جامعات الدول العربية بالتعاون مع جامعة الخليج العربي خلال الفترة من ٢٨ ـ ٣٠ مارس ١٩٩٤م ، البحرين : جامعة الخليج العربي .

١٠ ـ أسامة حسن معاجيني (١٩٩٦) مذكرة التربية الخاصة ، غير منشورة ، البحرين : جامعة الخليج العربي .

١١ـ إسماعيل عبدالفتاح عبدالكافي (١٩٩٥) الذكاء وتنميته لدى أطفالنا ، الطبعة الأولى ، القاهرة : مكتبة الدار العربية للكتاب .

١٢ـ إسماعيل بن كثير (١٩٩٠) البداية والنهاية ، الطبعة الثانية ، بيروت : مكتبة المعارف .

١٣ـ أنور الجندي (بدون تاريخ) أعلام الإسلام : دار الاعتصام .

١٤ـ جلال شوقي (١٩٩٠) العلوم العقلية في المنظومات العربية، الطبعة الأولى، الكويت: مؤسسة الكويت للتقدم العلمي.

١٥ـ حسن أيوب (١٩٨٥) السلوك الاجتماعي في الإسلام ، الطبعة الرابعة ، الكويت : دار البحوث العلمية .

١٦ـ حمد بليه العجمي (١٩٩٧) تقدير الذات ودافع الإنجاز لدى الطلبة المتفوقين عقلياً والعاديين في المرحلة الثانوية بدولة الكويت، رسالة ماجستير غير منشورة، البحرين: جامعة الخليج العربي.

١٧ـ خالد محمد خالد (١٩٧٣) رجال حول الرسول ، الطبعة الثانية ، بيروت : دار الكتاب العربي .

١٨ـ خليل ميخائيل معوض (١٩٨٤) قدرات وسمات الموهوبين، الإسكندرية: دار الفكر الجامعي.

١٩ـ رفيق العظم (١٩٧٣) أشهر مشاهير الإسلام في الحروب والسياسة ، الطبعة الثانية : دار الكتاب العربي .

٢٠ـ ريمي شوفان (١٩٩٢) الموهوبون، ترجمة وجيه أسعد، الطبعة الثانية، دمشق: دار البشائر.

٢١ـ سعد مرسي أحمد (١٩٦٦) تطور الفكر التربوي، القاهرة: عالم الكتب.

٢٢ـ سيد إبراهيم الجيار (١٩٧٧) دراسات في تاريخ الفكر التربوي، القاهرة: مكتبة غريب.

٢٣ـ شمس الدين محمد أحمد الذهبي (بدون تاريخ) سير أعلام النبلاء : مؤسسة الرسالة .

٢٤ـ شمس الدين الذهبي (بدون تاريخ) معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، الطبعة الأولى ، مصر : دار الكتب الحديثة .

٢٥ـ شهاب أحمد العسقلاني (بدون تاريخ) الإصابة في تمييز الصحابة ، بيروت : دار صادر .

٢٦ـ صفوان عدنان داوودي (١٩٩٠) زيد بن ثابت ، الطبعة الأولى ، دمشق : دار القلم .

٢٧ـ عايض القرني (١٤١٥هـ) صور من سير الصحابة ، الطبعة الثالثة ، الرياض : دار ابن خزيمة .

٢٨ـ عباس محمود العقاد (بدون تاريخ) عبقرية خالد ، بيروت : المكتبة العصرية .

٢٩ـ عبدالملك هشام بن أيوب (١٩٨٥) السيرة النبوية لابن هشام، بيروت: دار إحياء التراث العربي .

٣٠ـ عبد الرحمن رأفت الباشا (١٩٩٢) صور من حياة الصحابة ، الطبعة الأولى : دار النفائس .

٣١ـ عبد الرحمن بن علي الجوزي (١٩٨٩) صفة الصفوة ، الطبعة الأولى، بيروت : دار الكتب العلمية .

٣٢ـ عبدالرحمن بن علي الجوزي (١٩٩٠) كتاب الأذكياء، الطبعة الأولى، بيروت : دار الفكر العربي .

٣٣ـ عبد الرحمن بن علي الجوزي (١٩٩٢) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، الطبعة الأولى ، بيروت : دار الكتب العلمية .

٣٤ـ عبدالناصر عبدالرحيم فخرو (١٩٩٨) فاعلية برنامج النشاطات الموجهة في تنمية مهارات التفكير العليا لدى الطلبة المتفوقين عقلياً وغير المتفوقين بالمرحلة الإعدادية بدولة البحرين، رسالة ماجستير غير منشورة، البحرين: جامعة الخليج العربي .

٣٥ـ عز الدين بن الأثير (١٩٨٧) الكامل في التاريخ ، الطبعة الأولى ، بيروت : دار الكتب العلمية .

٣٦ـ عز الدين بن الأثير (بدون تاريخ) أسد الغابة في معرفة الصحابة، القاهرة: دار الشعب.

٣٧ـ علاء الدين علي المتقي (١٩٧٤) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، الطبعة الأولى ، حلب : مكتبة التراث الإسلامي .

٣٨ـ فتحي عبدالرحمن جروان (١٩٩٨) الموهبة والتفوق والإبداع، الطبعة الأولى، الإمارات العربية المتحدة: دار الكتاب الجامعي.

٣٩ـ فوزية أحمد أخضر (١٩٩٣) المدخل إلى تعليم ذوي الصعوبات التعليمية والموهوبين ، الطبعة الأولى ، الرياض : مكتبة التوبة .

٤٠ـ كمال أبو سماحة وآخرون (١٩٩٢) تربية الموهوبين والتطوير التربوي، الأردن: مكتبة دار الفرقان.

٤١ـ محمد أمين فرشوخ (١٩٩٢) موسوعة عباقرة الإسلام في العلم والفكر والأدب والقيادة ، بيروت : دار الفكر العربي .

٤٢ـ محمد بن جرير الطبري (بدون تاريخ) تاريخ الأمم والملوك ، بيروت : دار الكتب العلمية .

٤٣ـ محمد رفقي عيسى (١٩٨٨) الدافعية، الطبعة الأولى ، الكويت: دار القلم.

٤٤ـ محمد سعد البصري (١٩٥٧) الطبقات الكبرى ، بيروت : دار صادر.

٤٥ـ محمد صلاح الدين مجاور وزملاؤه (١٩٨٨) التربية الإسلامية للمرحلة الثانوية، الطبعة الثالثة ، الكويت : وزارة التربية .

٤٦ـ محمد مصطفى الأعظمي (بدون تاريخ) مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم لعروة بن الزبير ، الرياض : مكتب التربية العربي لدول الخليج .

٤٧ـ محمد ناصر الدين الألباني (١٩٨٨) صحيح الجامع الصغير وزيادته الفتح الكبير، الطبعة الثالثة، بيروت: المكتب الإسلامي.

٤٨ ـ محمد ناصر الدين الألباني (١٩٩١) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها ، الطبعة الأولى ، الرياض : مكتبة المعارف .

٤٩ ـ محمد نور سويد (١٩٩٠) منهج التربية النبوية للطفل ، الطبعة الرابعة ، المنصورة: دار الوفاء .

٥٠ ـ محمود شاكر (١٩٩١) التاريخ الإسلامي ، الطبعة السابعة : المكتب الإسلامي .

٥١ ـ محمود شيت خطاب (١٩٧٣) خالد بن الوليد المخزومي ، الطبعة الثالثة : دار الفكر .

٥٢ ـ محمود شيت خطاب (١٩٧٧) قادة فتح العراق والجزيرة ، الطبعة الثالثة : دار الفكر .

٥٣ ـ مشاري محمد بن رطام العجمي (١٩٩٦) دور الأسرة في تنشئة الابتكار، بحث غير منشور، البحرين: جامعة الخليج العربي.

٥٤ ـ مصطفى أحمد كمال (١٩٩٣) إعداد الجيش في عهد الرسول صلى اللّه عليه وسلم : دار الفكر العربي .

٥٥ ـ مصطفى أحمد كمال (١٩٩٥) المدرسة العسكرية الإسلامية الأولى القادة والفرسان، الطبعة الأولى : دار الفكر العربي .

٥٦ ـ مصطفى سعيد الخن (١٩٩٤) عبداللّه بن عباس ، الطبعة الرابعة ، دمشق : دار القلم .

٥٧ ـ ناديا هايل السرور (١٩٩٨) مدخل إلى تربية المتميزين والموهوبين، الطبعة الأولى، الأردن: دار الفكر.

٥٨ ـ هاشم محمد علي محمود (١٩٩٤) الأطفال الموهوبون ، الطبعة الأولى ، بنغازي : جامعة قار يونس .

٥٩ ـ ونسك وآخرون ، (١٩٣٦) المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، ليدن: مكتبة بريل .

٦٠ - يوسف بن عبدالبر القرطبي (بدون تاريخ) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، بيروت : دار صادر .

٦١ - يوسف محمد الشيخ، وعبدالسلام عبدالغفار (١٩٨٥) سيكولوجية الطفل غير العادي والتربية الخاصة، الطبعة الأولى، القاهرة: دار النهضة العربية.

62 - Cary A. Davis & Syluia B. Rimm, (1989) Educational of the Gifted and Talented; Prentice-Hall, Inc. A division of Simon & Schuster Englewood. New Jersey.

63 - C. June Maker. (1982) Curriculum Development for the Gifted, London.

64 - Engelsgjerd, J. (1988) characteristics of Gitteed and Talented studints. in J. Sorenson (Ed), the gifted program hardbook (PP. 13 - 20) PaloAito CA: Dale seymour.

65 - George, D. (1992). The Challenge of the Able Child. London; Davied Fullion Publishers.

66 - Maajeeny, O.H. (1990) Gifted & Talented Learners in the Saudi Arabian Regular Classroom; a need assessment. (Unpublished Doctorate Dissertation) Lionois, University of Illinois, University of Illinois at Urbane Champaign).

67 - Renzulli, J. S. (1985) The Schoolwide Enrichment Moded: A comprehensive Plan for Educational Excellence. Creative Learning Press, Inc.



# فهرس الموضوعات



## الفصل الأول

### التفوق قديما وحديثا

## الفصل الثاني
## زيد بن ثابت

## الفصل الثالث
## عبد الله بن عباس



## الفصل الرابع
## خالد بن الوليد

## الفصل الخامس

## مظاهر وخصائص التفوق بين سير الصحابة رضي الله عنهم ونظريات التفوق الحديثة


العبيكان
Obeikan
(01) 4983392